فى

تحديث الخليج العربى

دكتور / محمد نصر مهنا
أستاذ العلوم السياسية
كلية التجارة
جامعة أسيوط

المكتبة الجامعية
الأزاريطة / اسكندرية
تليفاكس ٤٨٤٣٨٧٩

٢٠٠٠

« مذهبى صواب يحتمل الخطأ ومذهب غيرى خطأ
يحتمل الصواب »

« الامام الشافعى »

المحتويات

الباب الثالث : بعض مظاهر التحديث

مقدمة

لعل من أهم معالم التحديث التى شهدتها منطقة الخليج العربى عبر تاريخنا الحديث هى دخول المجتمع الخليجى فى نمط جديد من الحياة اقتضته ماجرى فى العالم من تطورات علمية وصناعية واقتصادية وسياسية واجتماعية. وتعتبر كل من الحداثة والمعاصرة خطوتان فى مرحلة واحدة من مراحل دراسة تاريخ الخليج العربى الحديث ففى توجه نمط الحضارة فى منطقة الخليج العديد من ايجابيات تجعل بعض الباحثين الاجتماعيين يميلون إلى التفاؤل ويتفق معظم الباحثين العرب على أن المرحلة الراهنة هى واحدة من المراحل المهمة فى تاريخ الخليج الحديث والمعاصر حيث بروز المحصلات الاسلامية الحضارية والعربية المتقدمة ، وقد صبت هذه المحصلات فى مجرى واحد تمهيدا لبدء المرحلة الخليجية الراهنة مرحلة حضارة العلم والتكنولوجيا والمعرفة وتعتبر المرحلة الراهنة أشبه بالبناء المتصاعد كل مرحله تقوم على ماقبلها، وأن مابعدها قائم عليها. وفى ظل العصور الحديثة التى بدأت منذ عدة قرون من الزمان، نجد حلقات السلسلة الخليجية العربيه تتداخل فى تطور مستمر فالسلسلة متصلة ، رغم مايشوبها من تقطع وتراجع بسبب الحروب الأقليمية المعاصرة .

ومهما يكن من أمر، فقد كانت حركة التحديث الخليجية العربيه هذه خطوة ضرورية لخطوة لاحقة من خطوات المرحلة الراهنة وهى مايطلق عليه اسم «الثورة العلمية والتكنولوجية». التى أخذت بها دول الخليج العربى .

لقد اسهم سعى الشعوب العربية الخليجية إلى التحديث مع رغبتها فى المحافظة على شخصيتها وهويتها وقناعتها بحقها فى الأستقلال، وتبلور مفهوم الحداثة ثم مفهوم المعاصرة من ثنايا نهجها مسيرة تحديثية وتقديم

أنماط جديدة من الحياة السياسية والاقتصادية الحديثة وادخال تجارب تحديثية على العالم العربى مما قد اسهم فى تمييز مفهوم التحديث فالى أي مدي يرتبط مفهوم تحديث الخليج العربى الحديث بدلالة لفظه التاريخ عموما : ان التاريخ يبدأ تدوينا لحوادث واخبار مفردة أو تخليدا لمآثر ملك ومن ثم فالتاريخ من أهم الميادين الفكرية التى أهتم بها الانسان فكما فكر الانسان فى الكون المحيط به كيف خلق ؟ ولماذا خلق ؟ ومن خالقه؟ ثم تحول الأمر الى كتابة التاريخ فى صورة يوميات ثم حوليات فى تعايش الأحداث يوما بعد يوم وشهرا أو سنة فى أثر شهر وسنة . وكان للعرب الفضل كل الفضل فى هذا النوع من أنواع التاريخ الذى قصد به مؤرخوهم تثقيف العامة، وعرض العظات والعبر على أبصارهم ولا يخفى أن التدوين التاريخى شيء والتأليف التاريخى شيء أخر مختلف تماما. فالأول مجرد نقل الاحداث والأخبار من الذاكرة الى البردى أو صفائح الحجر أو الواح الطين. والثاني سرد للأحداث وتبويب لها وتفسير لطبيعتها وتسلسلاتها وأسبابها.

فالأول مادة التاريخ والثانى هو التاريخ والتأريخ. وفى مدارج بلوغ هذه النظرة الحديثة ألمت بالتاريخ واساليب المؤرخين فى معالجته تقلبات واتجاهات عديدة.

فمن المؤرخين من ركز اهتمامه علي الحوادث والاخبار ومنهم من قال بان التاريخ ليس فقط اخبارا وانما هو ثبت لاعمال الناس، وهناك المؤرخ الاجتماعى. والمؤرخ الاقتصادى والمؤرخ السياسى ومادام التاريخ علما ككل العلوم، فلماذا لا تنطبق عليه هو الآخر فكرة التطور التى طبقت على علم الأحياء من نبات وحيوان وقلبت نظرياته تماما ، وهنا ظهر مايسمى التطور فى التاريخ، أو التاريخ التطورى كما لاحظ ذلك فريق من الباحثين والمؤرخين المعاصرين وهو مايمكن تلمس منهجية ذلك فى الكتاب الذى ابديناه.



ومن ثم فإن لكل أمة نصيبها فى هذا المضمار تقيمه على ما اتخذته من آراء وما اعتنقته من مبادىء وما رأته مثلا عليا ينبغى أن يعمل عليها الفرد والمجموع جهد وسعهم ليصلوا الى مايشتهون من سعادة ويبلغوا مايريدونه من راحة بال.

وتأسيساً على ذلك أن كتابة التاريخ لا يمكن أن تقتصر على مجرد الحوادث، وانما ينبغى أن يجتمع الى ذلك عملية اخرى عقلية وتفسيرية عملية لا يقف فيها المؤلف عند مجرد الخبر والسرد بل يضم الي الخبر رأيه فيما يورده من معلومات . فان تعمق الرأى تحول الي فلسفة للتاريخ تخرج به عن التاريخ نفسه الى أى فكرة جديدة يستشفها المؤرخ وقد يستطيع اذ يستخلصها من الماضى ان يعود فيطبقها على الحاضر. ثم اذا هو بعد الاستقراء والكد فى استنتاجها، يستطيع ان يستفيد منها ويستشف بواسطتها الاحداث التى ستأتى بها الايام كأنما هو يقرأ نقلا عن الماضى فى كتاب المستقبل. وتسائل العلماء : هل الأفضل ان يكون لديهم فيلسوف أوتى قسطا معقولا من التاريخ أم يكون لديهم مؤرخ اوتى قسطا من الفلسفة.

الحق ان التاريخ هو وعاء الخبرة البشرية ، هو العلم الخاص بالجهود البشرية أو هو المحاولة التى تستهدف الاجابة على الاسئلة التى تتعلق بجهود البشرية فى الماضى وتستشف منها جهود المستقبل. ومن الثابت أن التاريخ بهذا المعنى يتحول الي علم له أصوله فما دام الانسان يعمل فكره فى تلك الخبرات البشرية ويصدر فيها أحكامه تشكل له منها علم. أن العلم هو الكشف عن طبيعة الأشياء ثم تصنيفها وتبويبها وأصدار الأحكام عليها ولابد للتاريخ من وثائق يعتمد عليها المؤرخ فى أصدار أحكامه، والوثيقة هى الشيء الموجود فى زمان ومكان معينين . فكأن المؤرخ حين يجمع الوثائق ويشكل التاريخ

ويفسره، يسلم بأن هدف التاريخ هو معرفة الانسان بنفسه وتلك غاية لها أهميتها.

فى هذا السياق تأتى معالجة موضوعات هذا الكتاب التى تتناول اعادة صياغة تاريخ الخليج العربى الحديث فى ضوء مظاهر التحديث التى شهدتها هذه المنطقة ؛ فيما يعرف بالدول الخليجية العربية الست على وجه الخصوص فى تطورها وتوجهاتها التحديثية مع التعرض للتغييرات الاقليمية التى شهدتها هذه المنطقة منذ مطلع القرن العشرين وصولا إلى الثمن الفادح بسبب ازمات الخليج العربى المتعاقبه وآخرها ما أحدثه الاحتلال العراقى للكويت فى الهزيع الأخير من القرن العشرين مع ان المعتدى والمعتدى عليه دولتان عضوان فى النظام العربى وهو ماأوجد جرحا عربيا عميقا لدى الرأى العام العربى حول جدوي العروبة والوشائج القومية والتى قد تستمر لفترة من الزمن في القرن الواحد والعشرين ولحين ايجاد صيغة توفيقية حول الوسائل والمبادىء والافكار المطورة والمعدلة والموضوعية فى ضوء الظروف الراهنه لدول الخليج العربى .

ويمكن القول بقدر معقول من الثقة ان هذه الدول تتطلع قدما لدور متميز فى شئون الخليج العربى وأوضاعه بغية ان يكون الخليج العربى عامل قوة ووصل وليس عامل ضعف وفصل - على حد قول الدكتور نزار عبيد مدنى - وفى تطلع نحو تحقيق مستوى - مرتفع من الدينامية السياسية والوظيفية .

ومن الثابت ان نظرة فاحصة على محتويات هذا الكتاب وخاصة الخلفية التاريخية الحديثة والمعاصرة عن الخليج العربى توضح للباحث والدارس والقارىء العربى كيفية الربط بينها وبين بعض مظاهر التحديث التى تمت معالجتها فى السعى نحو تحقيق توجه اقليمى شامل ليس لعملية التنمية فحسب وانما صوب مقتضيات التحديث التى تستلزم مزيدا من الجهود المثابرة



والنشطة والدؤوبة للأخذ بوسائل التقنية الحديثة من ثنايا محاولة استخدام ثروات منطقة الخليج العربى الاستخدام الأمثل وافساح المجال أمام الانسان الخليجى العربى لاكتساب المهارة والمعرفة وافساح المجال له للابداع والابتكار.

والله وحده الموفق والمستعان .

رمل الاسكندرية فى ٢٠٠٠/١/١

دكتور محمد نصر مهنا



فصل تمهيدى

بعض الملاحظات الجيوبرلكتيلية

من الثابت أن طبيعة البيئة الجغرافية لشبه الجزيرة العربية عامل هام من عوامل انتشار الإسلام الحنيف. فالبيئة فى شبه الجزيرة صحراوية تتخللها الوديان الجافة والهضاب المتنوعة المظهر ، والجبال المتفاوتة الأرتفا ع، وسماؤها صافية يسطع فيها القمر وهذه أسباب تحفز الأنسان على التأمل فى السماوات والأرض ، والتفكير فى الخالق العظيم الذي رفع السماوات بغير عمد ، وجعل فى الارض رواسى حيث أنعكس الأسلام فى عقلية العرب على مظهرين : الأول أن التعليم الاسلامى جاء مختلفاً تماماً لعقائد العرب، والثانى : أن الأسلام قد مكن العرب من فتح بلاد فارس وبلاد الروم وقد ضغطت البيئة الصحراوية السكان ودفعت بهم إلى الهجرة قبل ظهور الأسلام فى موجات من القبائل تجاه الأودية والسهول الخصبة فى العراق والشام بحثا عن الرزق ، وحينما ظهر الأسلام كانت تلك القبائل العربية المهاجرة فى مواطنها الجديدة بالعراق والشام مجالا خصبا للدعوة الأسلامية التى حملها أقرباؤهم وأنسابهم من قبل شبه الجزيرة ، وغدت تلك القبائل خير عون على انتشار الإسلام فى تلك الجهات، وأصبحت الشام بعد ما حظيت بنعمة الإسلام مقر دولة بنى أمية الإسلامية ، وورثها العراق مقرا للدولة الاسلامية فى عهد بنى العباس.

وبالقاء نظرة فاحصة على العالم القديم يمكن ملاحظة شبه جزيرة العرب تشغل مكاناً وسطاً بين تلك القارات وأقاليمها ، وفى شمالها وشمالها الغربى يقع أقليم البحر المتوسط فى جنوب أوربا وشمال أفريقيا بانتاجه المتميز، وكان لابد من قيام التبادل التجارى بين هاتين البيئتين المختلفين

بانتاجهما المتميز ، وكان لابد أن يشتغل عرب الجزيرة بالوساطة التجارية وكان الخليج العربى ، بحكم موقعه طريق الملاحة بين جنوب أسيا وجنوبها الشرقى وبين بلدان البحر المتوسط .

وقد تمكن العرب من تعبئة كل إمكاناتهم وخبراتهم فى التجارة، واسهموا فيها بما كان لديهم سالكين طرق القوافل التى خبروها وحفظوها، والتى امتدت خلال شبه الجزيرة بين اليمن والحجاز من جهة، والخليج وبلاد الشام والعراق من جهة أخرى. وحين ظهر الاسلام ، أضحت تلك الطرق التى طالما سلكها العرب لنقل المتلجر زمن الجاهلية، سبل الأسلام، ومسالك الدعاة لنشر الدعوة الأسلامية بالحسنى والقدوة والموعظة الحسنة .

وكانت مكة ذات موقع فريد، فهى فى واد حصين ، تحيط به المرتفعات ، وتقع على طريق التجارة بين شمال شبه الجزيرة وجنوبها ، كما ينتهى إليها طريق الحج والتجارة من العراق مارا بحائل والمدينة .

وكان هناك طريق يصلها بميناء الجرع القديم الذى كان يقع فى ساحل الاحساء مقابل جزر البحرين، والذي كان يمتد مارا بواحات الهفوف وبعض واحات نجد إلى مكه، وكانت لها قداستها ومكانتها ومركزها الدينى المرموق، ففيها وضع إبراهيم ومعه اسماعيل، جد العرب جميعاً، قواعد بيت الله الحرام. وهكذا تتعدد العوامل : سياسية واقتصادية ودينية ، لتدعيم مكانة مكه وسكانها فى شبه الجزيرة، وقد أقتضت أرادة الله سبحانه وتعالى أن يختارها لبعثة محمد ﷺ خاتم النبين ، فازدادت قداستها ، وعلا شأنها فى العالمين .

وفى سياق سهولة اتصال مكه بمختلف انحاء شبه الجزيرة وبالبحر يمكن تفهم كيف تمكن الاسلام أن ينتشر منها إلى شتى أرجاء شبه الجزيرة ، كما سهل على المسلمين أن يهاجروا منها إلى الحبشة عن طريق البحر حين

اشتد ايذاء المشركين لهم ومنها أيضا هاجر الرسول ﷺ إلى يثرب ، حتى يجد ظروفا أكثر ملاءمة لنشر دعوة الاسلام ، وحين عاد الرسول ﷺ إلى مكه ظافراً منتصراً اتخذها قاعدة ينطلق منها الدعاه الذين كان يرسلهم إلى قلب شبه الجزيرة وشمالها وجنوبها وشرقها ، ومن هذا المقر القدسى خرجت جحافل المجاهدين لتدخل نور الأسلام إلى الحيرة والعراق والشام، ثم إلى بلاد فارس، ومصر وبلاد شمال أفريقيا غرباً ، وقد قضت تعاليم الاسلام الحنيف بأنه إذا أراد المسلمون غزو بلد وجب عليهم أولا الدعوة إلى الدخول فى الاسلام، فأن أسلموا كانوا وسائر المسلمين سواء، وأن لم يسلموا فأن عليهم أن يسلموا بلادهم للمسلمين يحكمونها ، ويبقوا على دينهم - أن شاءوا - ويدفعوا الجزية - فاذا قبلوا كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، وكانوا فى ذمة المسلمين يدفعون عنهم ويتعهدونهم بالحماية .

أن مظاهر الحضارة الإسلامية التى تركها العرب المسلمون ، هى مظاهر بناءة ومشرقة ودليل ذلك أن الفتوحات الأسلامية ، قد خلفت تأثير عظيما حيث أرتقى العرب بهذه الشعوب ، ولعل أوضح مثال على ذلك أنجازات محمد بن القاسم الثقفى عندما غزا شبه القارة الهندية سنة ٩٣هـ فقد أستأثر بتقدير شعوبها له، ولدى مغادرته فقد ودعته بالدموع والعواطف الجياشة مما يعد من أقوى الدلائل على أندماج العرب المسلمين بهذه الشعوب رغم أنها غريبة عنها فى اللغة والتراث التاريخى والعادات، فالعرب أهل عقيدة وحضارة عريقة مما جعل الشعوب الأخرى تندمج فى الحضارة الأسلامية . ومن الثابت أن انتشار العقيدة الأسلامية فى السند والبنجاب ووسط آسيا وتغلغلها حتى الوقت الحاضر هو خير دليل على عراقة وقوة الحضارة الاسلامية التى تم خلالها بناء هذه الدولة .

وفى هذا السياق سوف نتعرض فى تفصيل غير قليل للاوضاع الجيوبولتيكية لدول شبه الجزيرة العربية والخليج العربى .

فالمملكة العربية السعودية تبلغ مساحتها نحو ٠٠٠ر١٥٠ر٢ كيلو متر مربعاً ، وهى بذلك تحتل من شبه الجزيرة العربية أربعة أخماس مساحتها . وتقع أراضيها بين البحر الأحمر غربا. والخليج العربى شرقا وتتصل حدودها من جهة الشمال بحدود العراق ومن ناحية الشمال الغربى بحدود المملكة الأردنية الهاشمية . ومن جهة الجنوب بحدود الجمهورية العربية اليمنية ومن جهة الشرق بحدود دول الأمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان.

ويزيد طول حدود المملكة فى الجنوب وفى الشمال على ١٢٧٠ كيلو مترا ويبلغ طول ساحل المملكة على الخليج العربى نحو ٦١٠ كيلو مترا، وتقوم عليه موانى سعود. والجبيل ، ورأس تنورة والدمام والعقير ويبلغ طول الساحل الغربى للمملكة المطل على البحر الأحمر ١٨٠٠ كيلو متراً بين ميناء العقبة شمالا وجيزان جنوبا ، وفى هذا الساحل تقع موانى الوجه، ضباء وينبع وجده والقنفدة ، وجيزان وبلغ عدد سكان المملكة حسب أحصاء تقديرى فى عام ١٩٧٨ نحو ثمانية ملايين وقدر عددهم فى عام ١٩٨٣ بأكثر من تسعة ملايين نسمة ومن المتوقع زيادة عدد السكان فى الوقت الحاضر بإضافة ملايين أخرى بالإضافة إلى أعداد غفيرة من الأجانب يعيشون فى المملكة ويقدر عددهم باكثر من مليونين معظمهم من العرب ويتوزع السكان بين مكه المكرمة، والرياض ، والمنطقة الشرقية ، وعسير ، والمدينة المنورة، وجيزان ، والقصيم وحائل وطبيعى أن ترتفع نسبة السكان فى مناطق الحدود حيث تشيع المرعى الصحراوى وينتشر الرعى، اذا تبلغ هناك نحو ٦٧٪ على حد ماذكرته إحدى المصادر(١) .



ويلاحظ أيضا أن المملكة مناطق أخرى لا تسمح ظروفها بقيام الزراعة وحيثما توافرت ظروف جغرافية مواتية للاستقرار، والاشغال بحرف ثابتة كالزراعة والخدمات والتاريخ ، فان نسبة المستقرين بالطبع تزداد ، ومثل هذا نجده فى منطقة القريات ، وفى منطقة نجران وفى عسير وفى منطقة القصيم فى منطقة الرياض يستقر نحو ٧٦٪ أو أكثر من جملة ساكنيها.

وتتميز منطقتا جيزان والباحة بإرتفاع نسبة السكان المستقرين وفيها تسود حرفة الزراعة المستقرة . وتزيد نسبة الاستقرار كثيرا فى المنطقة الشرقية بسبب انتشار حقول البترول ومعامل تكرير البترول، والصناعات البتروكيماوية ، وما يترابط بها من نشاط وخدمات.

وسكان المكلة فى جملتهم مسلمون سنيون، وفى المنطقة الشرقية تعيش قلة من الشيعة ، وبخاصة فى مدينة القطيف .

أرتبطت البداوة فى المملكة العربية السعودية بمجموعة من العوامل الطبيعية التى كان لها أبعد الأثر فى تشكيل ظواهر البيئة الطبيعية للبدو والبداوة ، واتصلت البيئة الاجتماعية والاقتصادية والحضارية للسكان منذ البداية مع البيئة الطبيعية اتصالا وظيفيا وثيقاً ، وتداخلتا بحيث تشكلت منها جميعا البيئة العامة للمجتمع السعودى (٢)

ومن منظور تاريخى فقد شهد سكان المملكة فترات انتعشت وأزدهرت فيها أحوالهم بشكل ملحوظ ، حين استفادت بعض مراكزها العمرانية من أهمية مواقعها على طرق التجارة القديمة، فنمت وارتفع شأنها كأسواق ومحطات منذ الألف الرابعة قبل ميلاد السيد المسيح ، مثل مكه المكرمة ، والمدينة المنورة

وكان الطريق المهم يبدأ من مأرب التى تقع شرقى صنعاء باليمن بحوالى ١٣٠ كيلو متر وكانت مأرب مركز تجميع للسلع الموسمية من الهند القادمة عن طريق موزع قرب مخا الحالية على البحر العربى ، ومن الأقليم المدارى عن طريق ميناء عدن ومن مأرب يسلك الطريق اتجاهاً شمالياً إلى معين ونجران ، ثم مكة ويثرب ، فالعلا. إلى مدائن صالح ، إلى تيماء ، وأخيراً إلى بترا .

وكان هناك طريقان أخران أحدهما يصل الشرق بالجنوب وكان يبدأ من ميناء «جيرها» على الخليج العربى بالقرب من ميناء العقير الحالى ماراً بواحات «الحفوف» فمنطقة اليمامة إلى وادى الافلاج ، ومنه إلى وادى الدواسر ثم وادى نجران إلى مأرب . والطريق الثانى يصل الشرق بالشمال ، ويبدأ إيضا من «جيرها» إلى الحفوف ، فشمال اليمامة عند حوالى مدينة الرياض الحالية ، ومنه شمالا وغربا بمحاذاة جبل طويق ، ثم غرباً إلى بريدة ، فحايل ، ومنها إلى تيماء ثم إلى بترا .

وقد اتجه بعض السكان الي احتراف التجارة الداخلية ، فلم تنقطع منذ القدم قوافل تجارة نجد وتهامة والحجاز، متخذة وسائل متطورة مع الزمن، ومع عوامل التحضر والاتصال المعاصرة فى المملكة كان من الضرورى أن تستبدل الجمل بالسيارة والشاحنة تبعا لما حدث من تطور .

لم تكن البيئة الطبيعية السعودية رغم خشونتها وقسوتها تمثل اغلال وقيودا يستحيل كسرها والفكاك منها . فكان التغير والتطور من سمات السكان ، الذين اعتنقوا الاسلام الحنيف فى القرن السادس الميلادى ، ثم فاتحين لامصار أمتدت رقعتها بين المحيط الاطلسى غربا وحدود الهند شرقا ، كما تقبل هؤلاء السكان التغيير الكبير الذى احدثه اكتشاف البترول فيما يعد ، وهو العامل الجديد الذى غيّر بناء بيئة المملكة السكانية المعاصرة .



كان عنصر توافر الماء وكمياته وتوزيعه ونوعيته ، إن تحددت أحوال السكان الاقتصادية ويتصل الماء بمصدرين رئيسيين يتصلان بالبيئة الطبيعية السعودية هما المناخ، وخاصة المطر ، ثم المياه الجوفية ، فعلى أساس هذين المصدرين تحددت مساحات المراعى ونوعيتها .

ولم يكن تنقل السكان وراء المرعى فحسب، بل بهدف التجارة أيضا كما سبقت الاشارة ، لكن أتصال البداوة بالرعى أوثق من غيره فى بيئة المملكة الصحراوية ، ومثلت القبيلة نظامها الاجتماعى الذى كان يزداد صلابة مع قسوة المناخ.

وقد أسهم الحرس الوطنى السعودى -فيما بعد- فى استقرار البدو عن طريق انتظام كثير من ابناء البادية فى صفوفه . كذلك تم مد خط أنابيب البترول التابع لشركة «التابلاين» وحفر الأبار المتعددة على طول ذلك الخط على استقرار كثير من أفراد القبائل فى المنطقة الشمالية (٣)

وتجدر الاشارة أنه قبل اكتشاف البترول واستثماره بصفة خاصة، لم يكن من بين مدن المملكة الحالية سوى مكة المكرمة والمدينة المنورة، بحكم مكانتها الدينية السامية بالنسبة للعالم الاسلامى ، وحتي بعد اتخاذ الرياض كعاصمة سياسية للمملكة فقد كانت مكة المكرمة – ولا تزال بمثابة أكبر مدن المملكة حجما وباعتبارها المدينة أبرز مدن المملكة الاكثر سكانا .

أما المدينة المنورة فقد مرت فى بداية هذا القرن بمرحلة انتعاش احوالها بوضوح، وارتبطت هذه المرحلة على وجه التحديد باتمام انشاء خط حديد الشام – الحجاز سنة ١٩٠٦ ، حيث برزت أهمية موقعها من جديد ورغم قصر مدة تشغيل هذا الخط التى لم تدم أكثر من عشر سنوات، إلا أنه كان بالغ الدلالة فى نتائجه بالنسبة لها ، فقد ارتبطت المدينة المنورة من جديد بالعالم

الخارجى ، فتضاعف عدد سكانها عدة مرات عشية نسف الخط فى عام ١٩١٥ اثناء الثورة العربية .

أما جدة فكانت معروفة باعتبارها مدخل للاماكن المقدسة فى المدينتين الساميتين .

أما بقية المراكز الحضرية الاخرى فى البلاد فلا تعدو ان تكون مجرد اسواق محلية وهى أسواق قامت تاريخها اعتماداً على مواقعها ويسر الحركة والمواصلات منها واليها ويستوى فى ذلك موانى البحر الأحمر ، وأسواق تهامة والمرتفعات الغربية والهضبة عند أتصالها بالسهول الشمالية والشرقية.

واذا كانت بعض هذه الأسواق والمرافق كان لها لفترة من الزمن أهمية وشهرة محلية وخارجية ، كالقنفذة والليث وخيبر والعلا وتيماء ، بفضل مواقعها على شبكة الطرق التجارية الى خارج شبه الجزيرة العربية إلا أن هذه الاسواق والمحطات والمرافىء قد عادت إلى وظيفتها الاولى كمراكز لتبادل فائض انتاجى بين الزرا ع وبعضهم ، وبين الرعاة (٤)

ويمكن اعتبارا قيام المملكة العربية السعودية واكتشاف البترول بأراضيها عقب قيامها بنحو عقد من الزمن ، بمثابة عامل التحول نحو الحضرية والأخذ بمقتضيات التحديث ومن أهم مظاهرها ظهور المنطقة الشرقية كمنطقة حضرية رئيسية فى المملكة وسارت بخطى واسعة نحو التحديث وهو ما يستدعى وقفة للتحليل :

فلقد أدى اكتشاف البترول بكميات وفيرة إلى ظهور بعض المراكز الحضرية المرتبطة بمناطق أنتاجه مباشرة ، وموانى تصديره ومعامل تكريره، ثم انتقلت أثاره تدريجياً إلى خارج مناطق إنتاجه ، وخاصة إلى مراكز الحضرية القديمة ، والاسواق التاريخية فانتعشت بما تدفق فى اسواقها من



رواج ، ونمت مع نزوح سكان البادية والريف اليها مما أدى إلى اعادة توزيع السكان بالعاصمة الرياض وجده ومكه والطائف والمدينة المنورة والدمام والهفوف وتبوك وبريدة وخميس مشيط والخبر ونجران وحائل وجيزان وابها وتزخر أرض السعودية بعدد من المعادن الفلزية ذات القيمة الاقتصادية أهمها: الذهب والنحاس ، والحديد ، الفضة ، الرصاص ، والزنك والكروم والمعادن المشعة .

كما تحول أرض المملكة من المعادن الفلزية مثل الفوسفور الذى يوجد بمنطقتي ثنية وطريف ، ويقدر احتياطيه الممكن باكثر من ألف مليون طن والمغنسيوم والفلوريدات والبريليوم والميكا فى وادى الحمض وفى منطقة غامد وزهران ثم البترول والذى بدأ استثماره الحقيقى على نطاق واسع فى أواخر عام ١٩٣٣ ، حينما تأسست شركة «استاندر - كاليفورنيا العربية للنفط » California-Arabian Standard Oil Company واختصارها Casoc وذلك بهدف البحث عن البترول واستغلاله فى السعودية . وعندما تاكدت هذه الشركات من ضخامة الاحتياطى ، واحتياج الانتاج الكبير لرأس مال كبير ، وأسواق واسعة لتصريفه . رأت اشتراك عدد من الشركات الأمريكية الكبيرة . وهكذا دخلت شركة تكساس بحصة مقدارها ٣٠٪ ، وشركة استاندر - نيوجيرسى بنصف ٣٠٪ أيضا ، وشركة سوكونى فاكوم بنصيب ١٠٪ واحتفظت شركة استاندر - كاليفورنيا لنفسها بملكية ٣٠٪ من جملة الاسهم ، واصبحت الشركات الأربع مالكة للشركة الجديدة التى أصبح أسمها «شركة الزيت العربية الأمريكية» Arabian American Oil Company واختصارها أرامكو Aramco .

وقد انتقلت ملكية شركة ارامكو إلى الحكومة السعودية حيث أصبحت الشركة اداة فنية السعودية ، تقوم بها تكلفها به الحكومة من أعمال التنقيب

عن البترول وانتاجه وتكريره وتسويقه ، ومازال الشركة أكبر شركة منتجة للبترول في العالم، وهي تنتج مايزيد على ٩٦٪ من مجموع انتاج المملكة السعودية.، وهناك عدد من الشركات الاخرى مثل شركة الزيوت العربية اليابانية وشركة جيتي (الامريكية)، وشركة وكسيراب (فرنسية أو أمريكية) وشركة اجيب (ايطالية وامريكية) وشركة سن - ناتوماس

وتستثمر شركة الزيت العربية الامريكية (ارامكو) معظم الحقول الهامة والمنتجة واهمها حقل ابقيق وحقل أبو حدرية وحقل بري وحقل الدمام .

أما الامير عبد العزيز آل سعود - الملك فيما بعد - والذى تم اكتشاف البترول فى عهده فقد سعى حثيثا إلى تكوين مملكة تأخذ بمقتضيات التحديث وخاض من أجل ذلك معارك كثيرة شرق وغرب نجد للدفاع عن مملكته لكن لم يسبق له أن حارب جنوبها ، إذ تفصل بين نجد وبين الدول الواقعة على البحر العربى منطقة الربع الخالى الواسعة التى لم يكن يدخلها إلا قليل من الناس، والتى لم يكن أحد يرى جدوى من القتال من أجلها . لكن كان هناك خصم قوى فى الجنوب الغربى من جزر العرب متمثل فى دولة اليمن وكانت احتمالات الحرب مع ذلك الخصم تزداد بازدياد نفوذ ابن سعود . ذلك أن حدود اليمن الشمالية وقتئذ كانت متاخمة للحدود الجنوبية من المملكة العربية السعودية على شواطئ البحر الاحمر الخصبة المكتظة نسبياً بالسكان وبعد استيلاء ابن سعود على الحجاز وعسير - كما سيأتى تفصيل ذلك فيما بعد - بدأ النزاع بين السعوديين واليمنيين ويعتقد المانع (٥) أن سبب ذلك يرجع جزئيا إلى عدم الثقة الناتج عن الاختلاف المذهبى بين الطرفين . فأحدهما يتبع المذهب السنى، والثانى يتبع المذهب الزيدى الشيعى ، ومع أن الخلاف بين المذهبيين لم يكن خطيراً من الناحية النظرية فإن كل طرف كان يعتبر الأخر مخالفاً للدين .

على أنه كانت هناك أسباب سياسية فالامام يحيي ملك اليم ، قد اعتبر ازدياد نفوذ ابن سعود تهديداً لاستقلاله ، وخاف أن يستولى على بلاده .

وكانت الفكرة العامة أن اليمن بلاد صعبة شاقة يسكنها أناس أشداء، وأن الملك لن يكسب كثيراً من ضمها إلى مملكته ويذكر المانع (٦) أنه حين أخبر الملك بشأن أستيلائه على اليمن كان رد فعله الفورى رفض الفكرة تماماً، إذ قال «أن اليمن ليست لى » ومع هذا فلم يكن الامام يحيى ملوما على قلقه على حد قول محمد المانع والذى أضاف قائلا :

كانت جازان حتى أواخر العشرينات إمارة صغيرة مستقلة تجاور الحدود الشمالية لليمن على البحر الاحمر، وكان قصر اميرها فى مدينة صبيا فوقع خلاف بين هذه الامارات وبين اليمن نتج عنه طلب أمير جازان من ابن سعود حمايته فوافق جلالته على مساندة ذلك الامير دون تردد ، واقرح أن يرسل إلى جازان مفوضا يساعده فى شؤون الحكم وذهب المفوض السعودى صالح بن عبد الواحد إلى هناك ، وقام بالاعباء الموكولة إليه ، وبعد ذلك واجه الامير مشكلات مالية ، فطلب من الملك أن يقرضه مالا فوافق جلالته على ذلك.

ولم يمضى وقت طويل حتى أصبح الأمير نفسه قليل المقدرة على البت فى أمور حكومته ، وقد أدرك بعد فوات الاوان ما كان يجرى حوله حيث جمع ما استطاع جمعه من قوات وضم جازان إلى مملكته وقد تم ذلك بسرعة ودون أراقة كثير من الدماء هرب أمير جازان إلى اليمن .

شاهد الامام يحيى هذا المثال من ذكاء الملك السعودى وصمم على أن لا تعانى مملكته مصيراً مثل مصير جازان وقد رأى أن قليلا من مظاهر الحرب هو السبيل الامثل لاقناع ابن سعود بأن اليمن لا تريد أن تصبح جزءا من أراضيه وكانت الطريقة التى اختارها المطالبة بمنطقة نجران الواقعة على



حدود الشمال الغربية وبمنطقة جنوبى عسير الواقعة على حدوده الشماليه الغربية وكانت المنطقتان قد أصبحتا ، بعد ضم الحجاز وعسير ، من أطراف المملكة العربية السعودية وإن لم تكونا قد أدخلتا تماماً ضمنها فكانتا تتمتعان بنوع من الاستقلال القلق المضطرب تحت إدارة أمر محليين وكانت حدودها مع كل من السعودية واليمن غير محددة وإن كانت الاولى تقول بأنها جزء منها وكان ابن سعود من الحكمة بحيث لم يحاول أن يغير ذلك الوضع لان جنوب عسير ونجران كانتا فى الواقع منطقتين فاصلتين بين مملكته وبين اليمن وكان واضحا أن أية محاولة يقوم بها الامام يحيى لتغيير الوضع الراهن حينذاك سيكون مصدر قلق كبير للملك .

ويستطرد محمد المانع قائلا : كان مطالبة الإمام يحيى بنجران أول الامر شفوية وقد بحث هذا الأمر بواسطة العديد من الاطراف حاولت مسح حدود اليمن واعادة تخطيطها لكن جهود الوفود لم تثمر لان تثبيت الحدود لم يكن يعتبر ضروريا قبل ذلك ابدا ولانه لا يستطيع إنسان أن يحدد مكانها فحدثت منازعات لا نهاية لها حول جبل من جبال نجران ، وأحال الوفدان اليمنى السعودى أمره أولا إلا الامام يحيى فأعلن أنه يترك الحكم فيه لاخيه الملك عبد العزيز وأرسلت برقية من اليمن إلى جلالته بهذا المضمون وقرأها الملك مبتسما وهو يقول «لقد طلب منى أن أحكم فى النزاع حول الجبل» وأننى «اعلن من الآن أن الجبل لليمن» وقد شاع هذا الخبر بسرعة فى كل البلاد العربية وكان عنوان إحدى الصحف المصرية «الحق يتكلم» (٧).

غير أن ملكية الجبل لم تضع حدا للخلاف حول نجران فأخذت المفاوضات تطول وتزداد مرارة . وازداد التوتر بين الطرفين حين قرر الامام يحيى بان يساند دعواه بارسال فصائل من قواته إلى نجران وأخذت الابل



اليمنية تدخل إلى مواقع القوات السعودية المرابطة هناك ، فاحتج السعوديون لدى الامام على ذلك التدخل ، لكنه اصر على عدم سحب قواته ، بل أنه أجاب على الاحتجاج بأن أرسل إلى الملك رسائل احتجاج مصوغة بعبارات ذات إفراط فى بلاغتها ، ولعله كان فى ذلك المثل العربى القائل: إن من البيان لسحراً ، وقد أزعجت الملك صياغة تلك الرسائل التى قصدت الامام بها ، على ما يبدو ، إظهار تبحره باللغة ، والتى كانت خالية من المعنى على أية حال وزاد من غضب جلالته أن الامام كان يسيء استخدام المسألة الدينية ليؤيد دعواه ولم يكن مستغرباً أن ييأس جلالته من إيجاد حل سلمي للمشكلة بينها .

حلت قضية نجران حلا مؤقتا فى سنه ١٩٣٢م عندما طردت قوات سعودية ، بقيادة خالد بن لؤى ، اليمنيين من المنطقة وضمتها رسمياً إلى ابن سعود ، ورغم أن ذلك كان نكسة خطيرة لليمن فإن لم يخضع الامام يحيى، بل ضاعف جهود للمطالبة بجنوب عسير وتدهورت العلاقات بين السعودية واليمن حتى سنة ١٩٣٤م حيث قرر الملك بأنه ليس لديه بديل عن اللجوء إلى القوة وكانت خطوته الأولى أن دعا جمعاً صغيراً من رؤساء القبائل الموالين له وكانت الضربات الموجهة أخيراً إلى الاخوان ، وإن كانت ضرورية لأمن المملكة وقد جعلته فى حاجة ماسة إلى محاربين مدربين يعتمدون عليهم . وكانت البطون الرئيسة من عتيبة ومطير فى حالة ذلة بعد الهزائم التى لحقت بها ولذلك كانت القبيلتان ممثلتين ببطونها الثانوية ، وكانت هذه قد ظلت موالية للملك ، لكنها كانت أقل عددا من البطون الاخرى ، ولم تكن لها شهرة مثل شهرتها من الناحية الحربية على أن رجال القبائل كانوا يتفجرون حماسة للمعركة ، وكان يمثل عتيبة الروقة وقد وقف رئيسها ، عمر بن ربيعان ، وصاح مخاطباً للملك بقوله : « يا عبد العزيز أن كنت تريد اليمن فاسمح لى بقيادة الهجوم وتستطيع أن تبقى فى مكه المكرمة أو الرياض وسأتى بها اليك» . لكن

ابن سعود رفض عرضه فى تولى قيادة الجيش لأنه كان بدون شك ، يفكر فيما حدث بعد الاستيلاء على الحجاز حين طمع كل من الدويش وابن بجاد فى حكمها لما قاما به من دور فى السيطرة عليها وكانت إجابته لابن ربيعان مختصرة واضحة ، إذا قال «لن تتحرك قبيلتك خطوة واحدة دون أمر منى وأنى قد عينت ولدى سعوداً وفيصلا لقيادة جيوشنا وستذهب أنت معهما ». على أن الملك قبل جزءاً من نصيحة ابن ربيعان حيث قرر أن يبقى فى مكة المكرمة .

جاء ذلك القرار مفاجئاً إلى حد ما لأن الملك كان ، عادة ، يقود جنوده بنفسه فى الغزوات الكبرى ، وكان لديه . ومن المحتمل أنه لم يكن يرغب فى ضم اليمن، بل كان يريد مجرد إخضاع الامام يحيى وكان يدرك أنه لابد من التوصل إلى حل سلمى . وكان يدرك أنه من الأيسر عليه أن يبدى شهامة وهو بعيد عن ميدان القتال أكثر مما لو كان مشاركاً ، وشخصياً ، فى القتال وربما كان غير مطمئن إلى الحجاز التى لم يمضى على دخولها فى حكمه أكثر من ثمان سنوات .

وانتهى المؤتمر وذهب رجال القبائل كما أمروا ، ليأخذوا مواقعهم قرب حدود اليمن وينتظروا أوامر جديدة قبل أن يقوموا بهجومهم . وكانت لحلمات الملك الوداعية لرجاله هى ما كان يردده دائما قبل كل معركة «إياك نعبد وإياك نستعين».

وينطلق محمد المانع موضحا اصرار الملك عبد العزيز على تنفيذ خطته قائلاً : وفى محاولة أخيرة للسلم بعث الملك إنذاراً نهائياً إلى الامام ويحيى واضعاً شروطا معتدلة لتسوية الخلافات الجديده المعلقة ومهدداً بالحرب إذا تقبل تلك الشروط . لكن الإمام تجاهل الانذار . وفى الخامس من ابريل سنه

١٩٣٤م عبرت القوات السعودية حدود اليمن ، وكانت الخطة أن يشن الامير فيصل (الملك فيما بعد) فى الوقت نفسه بالهجوم من الغرب عبر تهامه على الشريط الساحلي الموازى لشواطيء البحر الاحمر ، وكان تقدم الامير سعود بطيئاً على أن المهمة التى أسندت إليه كانت عسيرة ، وكانت المشكلة هناك هى طبيعة البلاد الوعرة التى كانت كثيراً ما استدعت رفع وسائل النقل وإنزالها بالجبال فوق المنحدرات الشديدة . وكان الامير أحمد ولى عهد اليمن ، قائد القوات اليمنية فى تلك المنطقة ، قد جعل مركز قيادته فى مدينة صعدة الواقعة على رأس جبال منبع فلم تكن أبداً عرضه لخطر استيلاء السعوديين عليها وكان ولى العهد لسبب معقول ، يسمى أباجنية فقد كانت تستبد به موجات غضب جامع ، وكان جنوده وخدمه يخافونه أشد الخوف وكان الأمير قائد ناجحا وكان تحت إمرته جانب كبير من الجيش اليمني ، فقاده بمهارة وظلت قواته على العموم مرابط فى مواقع حصينة فى الجبال وكلما قامت القوات السعودية بهجوم ضدها قاومتها مقاومه عنيفة واذا تعب السعوديون شنت القوات اليمنية عليهم هجوماً مضاداً وأجبرتهم على التراجع نحو السهل وقد وصلت القوات اليمنية إلى معسكر الأمير سعود ونهبته وقضت على ذخيرته ومؤنه وأحرقت خيامه قبل أن تنسحب إلى قلعتها الجبلية ونتيجة لهذه الهزيمة حاول الامير سعود خطة جديدة فبعثت قوات تحت قيادة ابن عمه فيصل بن سعد وفهد بن سعد وأمرهما أن يتجها جنوبا يهاجما السفوح الشرقية للمنطقة الجبلية من عدة نقاط لكن هذا الهجوم فشل وكان السعوديون أينما ذهبوا يضطرون إلى تسلق حافات جبلية أشد وعورة من تلك السفوح الشمالية وكان اليمنيون يصدون الهجوم دون أية صعوبة .

لم يكن من الممكن وصف الحملة كلها على المنطقة الشمالية الشرقية إلا بأنها فشل ذريع لكنها ، على أية حال ، خدمت غرضاً ، وهي أنها أبقت جانبا



كبيراً من الجيش اليمنى مرابطاً فى الجبال وذلك ما أعطى للامير فيصل حرية نسبية فى التحرك غربا ، وكانت حملة فيصل (٨) ، على عكس حملة أخيه سعود قد لقت نجاحا باهراً ذلك أنه انطلق من جازان وعبر الحدود اليمنية مكتسحاً سهل تهامة حتى واجه فرق كبير من القوات المرابطة فى مدينة حرض واستطاع اليمنيون أن يقفوا تقدمه فترة من الزمن ولكنه فى نهاية الامر خاض معهم معركة شاملة فهزمهم وانسحبت فلولهم بعد أن تكبدوا خسائر كبيرة فى الارواح والعتاد ومن سوء الحظ أن القائد السعودى ، حمد الشويعر ، قتل فى تلك المعركة لكن النصر منح السعوديين ما كانوا يحتاجون إليه من معنويات ولم يواجه الأمير فيصل بعد معركة حرض أية مقاومة حقيقية ، فاستطاع أن يتقدم بسرعة عظيمة بمحاذاة البحر صوب الحديد الميناء الرئيسى لليمن ، وكان يتغلب على الجيوب القليلة العدد فى طريقه دون صعوبة وكانت بعض القوات اليمنية تتخذ مواقع لها فوق التلال الواقعة شرق خط تقدم السعوديين لكن فيصلا لم يحاول الهجوم عليها كما أنها لم تجرؤ على مهاجمته فى السهول.

وبينما كانت القوات السعودية تتقدم الي الجنوب دون مقاومة تذكر وصلت أنباء إلى الامير فيصل بأن الإمام يحيى استجد بقوات أجنبية عديدة لتساعده ، وأن الايطاليين قرروا مساعدته وبعثوا قوات عبر البحر الاحمر إلى الحدبدة وكان غرضها فيما يبدو ، الاستيلاء على هذه المدينة ومنع السعوديين من دخولها ولم يكن الأمير فيصل ليدع ذلك يحدث وكان رد فعله سريعاً ومستلهما من التدريب الذي تلقاه على يدى والده فأرسل فورا طلائعه أمامه إلى الحديدة وأمر جيشه أن يتقدم إليها بأقصى سرعة ولأنه انطلق بخطوات أسرع من بقية قواته وصل إلى ضواحى تلك المدينة مع مائة من رجاله حيث التقى بطلائعه عائدين منها .

علم الامير فيصل بأن اليمنيين انسحبوا من الحديدة وأن عدداً من السفن الحربية الايطالية على وشك إنزال قوات لاحتلالها ونظرا لضآلة من كانوا معه أمام القوات الايطالية فقد حثه رفاقه على التراجع لكنه لم يخسر سباقه مع الزمن ، وكان مصمما على أن لا ينهزم فى اللحظة الاخيرة ، فأمر رجاله أن يتقدموا فورا إلى الميناء ويطلقوا نيرانهم على الايطاليون قبل أن تتاح لهم فرصة النزول إلى البر وكان أن فعلوا ذلك واعتقد الايطاليون بأن السعوديين كانوا فعلا يسيطرون على الميناء فانسحبوا بسرعة إلى مكان مأمون وسر الامير بهذه النتيجة ، وأشار إلى السفن المتراجع قائلا لمن حوله : «انظروا ربما لم أكن مجنونا كما ظننتم حين أمرت رجالى بإطلاق النار عليهم»(٩).

كان سقوط الحديدة ، رغم محاولة التدخل الاجنبى ، ضربة قاصمة للإمام يحيى وازدادت حالته سوءاً فجنح للسلم ووافق ابن سعود على الهدنة وظلت قواته تسيطر على المناطق التى استولت عليها والمفاوضات بين ممثلى البلدين تجرى فى الطائف وقد حثت بعض الدول العربية الملك على أن يدع اليمن تحتفظ باستقلالها ضمن الحدود القائمة وكان جلالته سعيدا بالموافقة على تسوية الخلاف وفق هذا الأساس ، وانسحبت القوات السعودية بعد أن رضى الإمام بدفع غرامة حربية مقدارها مائه ألف جنيه استرلينى إلى ابن سعود تعويضا له على نفقات الحملة ، ثم وقعت معاهدة سلامة بن الطرفين مكه المكرمة وأنشئت لجنة حدود مشتركة استطاعت أن تتفق على تعيين الحدود ، ومع أن ابن سعود كان قادرا على أن يطيح بالامام يحيى ويستولى على اليمن بالقوة دون صعوبة فإنه لم يفعل ذلك واكتفى بهزيمة حاكم تلك البلاد والتأكد من أنه لن يستطيع بعد ذلك أن يشكل تهديداً له .

وعموما منذ قبل اليمن حدوده مع السعودية فى عام ١٩٣٤ وفقا لاتفاقية السلام التى انعقدت بالطائف لتخطيط الحدود بينهما وبموجبها تصبح نجران ضمن أراضى المملكة العربية السعودية ، غير ان هذه الاتفاقية أثارت بعد عدة عقود الجدل بين اليمنين والسعوديين حيث شهد تطور الاحداث فى الهزيع الاخير من القرن العشرين تسوية مشكلات الحدود السعودية اليمنية من خلال العديد من الاتفاقيات ومن ثنايا الدبلوماسية الهادئة التى تتسم بها السياسة السعودية الخارجية .

واذا مارجعنا إلى الاوضاع الجيوبولتيكية لليمن فالملاحظ ان اليمن يقع فى الركن الجنوبى الغربى لشبه الجزيرة العربية ويطل على البحر الاحمر بساحل طوله ٥٠٠ كيلومترا يمتد من قرب بلدة ميدى في الشمال الى الرأس الجنوبية المواجهة لجزيرة برين في مدخل البحر الاحمر ويحتل اليمن بموقعة هذا موضعا جغرافيا هاما على طريق الملاحة العالمية بين المحيط الهندى وحوض البحر المتوسط كذلك قربه من أفريقيا جعل منه حلقة وصل بينها وبين أسيا ولهذا فقد اشتغل سكان اليمن منذ القدم بالتجارة والوساطة التجارية كما اشتغلوا أيضا بالزراعة وفلاحة الأرض . ونجحوا فى تشكيل حضارة قديمة كانت لها صلاتها الوثيقة بالحضارة الفرعونية فى مصر وحضارات سومر وبابل وأشور بالعراق ، ومن الثابت أن العوامل التى ساعدت على تشكيل هذه الحضارة القديمة قد أدى إلى تكوين حضارة حديثه ومعاصرة تقوم على اكتفاء اليمن الذين يحاولون الاخذ بأسباب العالم الحديث لاستثمار موارد البلاد الطبيعية وهذه الحضارة اليمنية العريقة قد استأثرت باهتمام الكثيرين على المستشرقين الأوروبيين ومن الناحية الجغرافية تعتبر أرض اليمن امتداد لاقليم عسير بالمملكة العربية السعودية فى بنائه الجيولوجى ومظاهر السطح .



ويتكون الاقليم الجبلى من صخور نارية قديمة بلورية ومتحولة ، استمرت وقتا طويلا مغمورة بمياه البحر ، فترسبت عليها رواسب بحرية كانت أخرها رواسب رملية يبلغ سمكها نحو ٣٠٠ متر ، الأمر الذى أدى إلى ارتفاع الارض على شكل مدرج ، وعلى هذا الاساس يمكن اعتبار ساحل تهامة احدث المدرجات ظهورا ، أما اقدمها فيمثل اعلى الحافات . (١٠)

وقد احدث ارتفاع ارض اليمن بين خطى الانكسار شقوقا كثيرة انبثقت خلال المصهرات البركانية بكميات كبيرة ، حتى بلغ سمكها فى بعض الاحيان اكثر من ٦٠٠ متراً ، وتغطى مساحات واسعة وقد دخلت اليمن المعاصرة المجتمع الدولى بثقل كبير فى العقود الثلاثة الاخيرة عن القرن العشرين سياسيا عن ثنايا التجربة الديمقراطية التى تمر بها واقتصاديا من ثنايا اكتشاف البترول فيها بكميات وفيرة .

أما سلطنة عمان العربية الاسلامية فتبدو أرضها فى هيئة شبه جزيرة تلاطمها مياه البحر من ثلاث جهات هى الشرق والغرب والشمال وتجاورها دولة الامارات العربية المتحدة ، والمملكة العربية السعودية وجنوب اليمن ، وتمتد وتبلغ مساحتها الاجمالية ٢٧٢ ألف كيلو متر مربع .

وقد عرفت باسم عمان من قديم الزمن ، لكن الاسم كان يطلق على مساحات أوسع تمتد من شبه جزيرة قطر حتى سواحل المحيط الهندى وبحر العرب ثم اقتصرت التسمية فى القرن الثامن عشر على القسم الجنوبى الشرقى من شبه جزيرة العرب، والذى يشمل حاليا أرضى سلطنة عمان ودولة الامارات العربية المتحدة .

ويختلف اقليم عمان فى تركيبه الجيولوجى عن باقى أقاليم شبه الجزيرة، كما انه منعزل تفصله عن الداخل صحراء شاسعة تسمى بالربع الخالى ،

ولهذا فان اتصاله بأقطار العرب فى الغرب والشمال كان محدودا حتى عهد قريب .

ويتركب أقليم عمان من التواء عظيم حدث لمجموعة كبيرة من الصخور المختلفة الاعمار وتتكون نواه الالتواء من صخور اركية قديمة اصابها الاضطراب والتحول، ثم غطتها طبقات رسوبية احدث يتركب معظمها من صخور جيرية ، وقد تأثرت الاقاليم بالعديد من الانكسارات وعمليات الزحف والانتقال خاصة في الشمال وتطل ارض السلطنة على خليج عمان وبحر العرب ، وتتصف السواحل المطلة على بحر العرب بتعرجات منخفضة وكثرة مستنقعاتها.

أما دولة الامارات العربية المتحدة :

فتقع دولة الامارات العربية المتحدة بين دائرتين عرض ٢٢-٥ر٢٦ درجة وبين خطى طول ٥١-٥ر٥٦ درجة شرقا وهى بذلك تمتد على دائرة العرض مسافة تبلغ نحو ٤٠٠ كم ، وبين خطوط الطول حوالي ٥٠٠ كم وتطل على الساحل الجنوبى للخليج العربى بجبهة عريضة طولها ٦٥٠كم تبدأ من جنوب خور العديد ، وتنتهى عند رأس الموساندم على مضيق هرمز كما يطل جزء من الدولة وهو امارة الفجيرة على خليج عمان وقد عرف ساحل الامارات باسم ساحل الهدنة ، أو السال المهادن ، أو الساحل المتصالح نسبة إلى معاهدة السلام البحرى الدائم بين شيوخ الامارات وبريطانيا ، والتى تم توقيعها عام ١٨٥٣ ، وتجاور دولة الامارات كلا من دولة قطر ، وسلطنة عمان والمملكة السعودية وتشرف على مدخل الخليج العربى ، مما يمنحها موقعا هاما من الوجهة الاستراتيجية والاقتصادية ، فهى قد استفادت من البحر كسبيل للمواصلات ، وكمصدر للثورة (١١).

وتتألف الدولة من سبع امارات هى : أبو ظبى ، دبى ، الشارقة ، رأس الخيمة ، عجمان ، أم القيوين ، الفجيرة ، ولكل امارة منها استقلالها الذاتى، وحكومتها المحلية الخاصة بها ضمن اطار الاتحاد العامل للدولة وعاصمة الدولة هى مدينة أبو ظبى ، وهى مقر الحكومة المركزية وبها مقر المجلس العام للاتحاد ويتبع الدولة أكثر من مائتى جزيرة أهمها جزيرتان هما : أبو ظبى وداس وبالأولى عاصمة الدولة .

وبالثانية أكثر حقل للبترول بدولة الامارات ، وبها صناعة للغاز الطبيعى.

وتبلغ مساحة الدولة بدون الجزر ٧٧٧٠٠كم٢ ، ومساحتها مع الجزر ٨٤ ألف كيلو متر مربعا .

وتشمل تجارة اعادة التصدير كل أنواع السلع التى تضمها القائمة الموحدة للتجارة الدولية وهى : السلع الغذائية ، والمشروبات والتبغ ، والمواد الخام والوقود المعدنى ، والزيوت النباتية والحيوانية والكيماويات والسلع المصنعة والآلات ووسائل النقل، ومعدات حقول النفط .

أما إمارة قطر فهى شبه جزيرة تبرز فى مياه الخليج العربى من منتصف ساحلة الغربى وتجاورها من الجنوب المملكة العربية السعودية ، وأمارة أبو ظبى من امارات دولة الامارات العربية المتحدة ويبلغ مساحتها الكلية نحو ١١٤٠٠ كيلو مترا مربعا.

وأرض قطر فى معظمها سهل صخرى رملى وقد تعرضت أرض قطر لحركات أرضية ضاغطة لكنها كانت ضعيفة أدت إلى تقوس أرضها فى هيئة ثنية محدبة فسيحة هيئة الانحدار ، يمتد محورها بين الشمال والجنوب بطول شبه الجزيرة .

ويعتبر البترول المصدر الرئيسى للدخل القومى في قطر ، وتشكل عائداته ٩٥٪ من جملة الدخل القومى وتعمل فى ثلاث شركات تبحث عن البترول وتنتجه وهى : شركة نفط قطر المحدودة وشركة شل قطر المحدودة ، وشركة البندق المحدودة ، وقد أوضحت أحداث التاريخ المعاصر أن شركه نفط قطر المحدودة للتنقيب عن البترول بدأت عام ١٩٣٧م ، ونجحت فى امتشاقة ، سنة ١٩٣٩ ، وتوقفت الشركة عن العمل بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية ، واستأنفته عام ١٩٤٧ ، حيث نجحت فى حفر تسعة آبار منتجة فى أرض منطقة دخان ، واختيرت بلدة أمسعيد ميناء لتصدير البترول ، وتم تصدير أول شحنة فى أواخر عام ١٩٤٩ .

ويبلغ طول حقل دخان ما يقرب من ٥٥ كم ، وعرضة حوالى ٥ر٧ كيلو مترا وينقسم الحقل إلى ٣ مناطق رئيسية للانتاج بكل منها وحدة لفصل الغاز عن البترول .

ويتجمع الغاز فى الحقل فى ٣ طبقات هى : طبقة العرب الجيرية رقم ٣ وطبقة الهرب الجيزية رقم ٤ وهى أغنى الطبقات الثلاثة وأخيرا طبقة العوينات الجيرية ويبلغ عدد الابار بحقل دخان ٩٤ بئر ، منها ٦٠ منتجة للبترول وأربعة أبار منتجة للغاز حيث توسعت قطر فى تصدير إلى الاسواق الخارجة .

أما شركة شل قطر المحدودة فقد حصلت على امتيازها عام ١٩٥٢ وهى تنتج البترول من مساحة تبلغ ٥٠٠٠ كيلومتراً مربعا من مياه الخليج الاقليمية التابعة لقطر ويستخرج البترول من ثلاثة حقول من هذه المساحة هى :

هى حقل العد الشرقى ، وحقل ميدان محزم ، وحقل أبو الحنين.

ويتم تصدير بترول شركة شل عن طريق جزيرة حالول .



ويقع ميدان نشاط شركة البندق المحدود على الحدود البحرية بين قطر وأبو ظبى وقد دخلت قطر عام انتاج البترول سنه ١٩٤٩ بانتاج قدره ٨٠ ألف طن ، وأخذ الانتاج يزداد عاما بعد عام وتتدخل الدول للحد من زيادة الانتاج كى تحافظ على الثروة البترولية، وتمد فى بقائها إلى أبعد حد ممكن وتحافظ شركة نفط قطر على معدل انتاجى يبلغ حوالى ثمانية ونصف مليون طن وذلك منذ عام ١٩٦٠ ، أما شركة شل قطر فقد بدأت أنتجاها سنة ١٩٦٤ بمقدار ١ر٢ مليون طن تقريبا وزاد انتاجها بسرعة فى الوقت الحاضر .

ويتم تصدير بترول دولة قطر عن طريق ميناءين أحداهما وهو امسعيد يقوم بتصدير حقل دخان ويأتيه البترول عن طريق أنابيبت عبر شبه الجزيرة طولها ٧٩كم والميناء الثانى هو ميناء حالول الذى يصدر بترول الحقول البحرية لشركة شل هذا ويقوم ميناء داس فى أبو ظبى بتصدير انتاج حقل البند ق.

اما دولة البحرين :

فتتألف من ثلاث عشر جزيرة تقع فى مجال ذراع بحرى يمتد من الخليج العربى فى باريس شبه الجزيرة العربية فيما بين شبه جزيرة قطر وساحل السعودى ، ويعرف هذا الذراع البحرى باسم خليج سلوى أو دوحة سلوى وتبلغ مساحة الجزر حوالى ٦٦٣ كيلو مترا مربعاً ، وتتكون من مجموعتين غير متكافئتين فى المساحة : المجموعة الكبرى ، وتقع فى وسط خليج سلوى وتضم جزيرة البحرين ، والمحترق وسترة وجدة وأم نعسان أما المجموعة الصغرى فتقع قريبة من ساحل دولة قطر وتمتد من الشمال إلى الجنوب فى هيئة سلسلة متتالية من الجزر ، وتعرف باسم أرخبيل جزر حوار وسواد.

والموقع الجغرافى لجزر البحرين هام وحيوى ، وهو الذى أعطى ومازال يعطى البحرين أهمية خاصة ذلك أن الجزر صالحة للسكنى ، فهى مأهولة بالسكان منذ القدم ، وتقع فى حوالى منتصف المسافة بين مضيق هورمز ، ومصب شط العرب، كما أنها قريبة كما رأينا من ساحل شبه جزيرة العرب ، وقد عاونها هذا الموقع أن تكون أرض عبور للتجارة والمواصلات البحرية فى المنطقة ، وقد استمرت أهمية هذا الموقع عبر عصور التاريخ ، وهى الان محطة هامة على طريق معظم السفن العابرة للخليج ، وعلى خطوط الطيران العالمى فى منطقة الشرق الاوسط .

وتعتمد البحرين فى اقتصادها على عائدات البترول ، ودخل الجمارك ، المطار والموانى ، ومن نصيبها فى أرباح معمل صهر الالومنيوم وشركة البحرين لصيد الاسماك ومصنع الالبان الدنمركى البحرينى (١٢).

أما دولة الكويت :

فتقع على شاطىء الركن الشمالى الغربى للخليج العربى ، محتلة جزء من رأسه وتجاورها العراق فى الشمال، والمملكة العربية السعودية من الجنوب ونظرا لموقعها على رأس الخليج العربى ، فقد اكتسبت أهمية تجارية منذ عهد بعيد ، لانها كانت وماتزال منفذا طبيعيا لشمال شرقى شبه الجزيرة العربية واقليم نجد وقد تمتعت الكويت بمميزات موقع الخليج العربى ، فلقد صار الخليج بموقعه الفريد همزة الوصل بين بيئات العالم الموسمى فى جنوبيه وبيئات البحر المتوسط وأوربا فى شماليه وكانت السفن قبل شق قناة السويس وتدور إليه حامله سبع الشرق الاقصى وجنوب أسيا وعن طريق الكويت والعراق وعبر بلاد الشام إلى عالم البحر المتوسط وأوربا وكانت سلع أوربا تأخذ نفس الطريق مارة بالكويت ومع نمو التجارة العالمية زادت أهمية الكويت

كمحطة تلجأ إليها السفن وخاصة أن مياهها صالحة للملاحة ، وكانت سفن الاسطول البريطانى فى المنطقة ، منذ النصف الاول من القرن التاسع وترسو فيه طلبا للراة والراحة والزاد ومن الأرجح أن الكويت تأسست سنة ١٧١٢(١٣) .

ويقال أن لفظة «الكويت» تصغير كلمة «كوت» التى تطلق على عدد من المبانى المتجاورة التى تستعمل مخازن للسلاح والمؤن ، وتقع مشرفة على مياه البحر ، وهذا ما انطبق عليها بداية نشأتها (١٤)

وتبلغ مساحة الكويت الاجمالية نحو ١٩٦٥٢ كيلومترا مربعا منها نحو ١٠٠٠ كم٢ تمثل مساحة الجزر التابعة لها ، و٣٦٥٢ كم٢ تمثل مساحة الجزء الذى حصلت عليه بعد تقسيم المنطقة المحايدة بينها والسعودية تقسيما اداريا ، تمارس كل دولة فى قسمها حقوق السيادة ، مع استمرار المشاركة بينهما فى دخل البترول المستخرج من المنطقة .

فقد اعتمدت اقتصاديات الكويت قبيل اكتشاف البترول على الغوص بحثا عن اللؤلؤ وفيما بعد تمكنت اليابان من اغراق الاسواق بانتاجها من اللؤلؤ الاصطناعى، بالاضافة إلى أن البادية لم تعد قادرة على تلبية الاحتياجات المتزايدة لسكانها وبعد اكتشاف البترول اعتمدت على الهجرة الوافدة من الخارج للعمل فى ميادين التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، والتى أخذت تتعاظم حتى أصبحت نسبة السكان الوافدين أكبر من نسبة السكان الكويتيين .

ولقد سار التحضر فى اتجاه سريع نحو تحديث الكويت بمعدلات عاليه فاقت كافة توقعات النمو السكانى ، كما ازداد نمو العمال الاجانب باضطراد مع النمو السكانى والاقتصادى للبلاد ، بدلا من الاستغناء عنهم كما كان يظن.



ومن الناحية الجيوبولتيكية:

تقع مدينة الكويت عند الزاوية الشمالية الغربية من رأس الخليج العربى، على مقربة من مينائى البصرة بالعراق ، وبوشهر فى ايران وهى مدينة حديثة النشأة ، وترجع نشأتها إلى أواسط القرن السابع عشر حينما اتخذها بعض الصيادين مقر لهم ، ثم وفدت اليها جماعات العتوب ، وهذا أسر عربية مختلفة النسب ، من شبه الجزيرة العربية التى حل بها الجذب حينذاك .. ثم قدم آل الصباح لنفس السبب واستقروا بها ، واستمر نزوح القبائل العربية اليها ، حتى غدت فى أواخر القرن السابع عشر عامرة بالسكان ، الذين قدر عددهم أحد الرحالة فى عام ١٧٦٥ بنحو ١٠٠٠٠ نسمة ، كما قدر ممتلكاتهم من قوارب صيد السمك واللؤلؤ بحوالى ٨٠٠ قارب .

وقد شيد الاهالى سورا للدفاع عنها من الطين و وأبراجه من الطين والطوب اللبن ، وكانت له أربعة أبواب ، أما المدينة فكانت تنقسم إلى أربعة أحياء هى الان الاحياء القديمه التى تحمل أسماء القبلة ، الشرق ، المرقاب، الوسط .

وكانت المدينة ذات بيوت صغيرة ، مقامة على امتداد طرقات ضيقة ومبنية بالطين والحجارة وتتميز بباحات واسعة من الداخل تحيط بها الغرف ، وبنوافذ عالية وضيقة وبدأ انتاج البترول فى سنه ١٩٤٦ ، ودخلت الكويت فى تحديث اقتصادى واجتماعى بايقاع سريع . وشرع المسئولون فى اعادة تخطيط المدينة على أسس حديثة لتناسب العصر ، والثروة المتدفقة الجديدة والعمالة الوافدة المتزايدة ، فأزيلت معظم الدول القديمة وأنشئت الطرق المرصوفة الواسعة ، لتوكب حركة النقل المتزايدة ، وشيدت المبانى الحديثة ، والحدائق والملاعب .

وكانت رقعة السكن في المدينة لا تتجاوز ٨كم٢ في حدود سور المدينة، ثم امتدت خارج السور ، وضمت إليها العديد من شمال الكويت ومناقيش ، وأم قدير فى غربى حقل البرقان .

وقد أنشىء ميناء الاحمدى سنه ١٩٤٩ ، تجاه مياه هادئة وعمق مناسب، ومدت إليها انابيب البترول من حقل البرقان ، وهو يعد أكبر ميناء لتصدير البترول فى العالم .

ويأتى أكثر من ٨٠٪ من مجموع انتاج شركة نفط الكويت من حقل البرقان الكبير فى جنوب شرقى الكويت ، ويأتى باقى الانتاج من حقول شمال الكويت اضافة لكميات قليلة من حقلى أم القدير والمناقيش فى الغرب.

وينتقل النفط والغاز المنتج عبر الانابيب إلى مراكز التجمع حيث يفرز الغاز البترول على ثلاث مراحل ثم يضخ البترول الخالى من الغازات من صهاريج التخزين إلى حظيرتى الصهاريج فى الاحمدى ولدى شركة نفط الكويت ٢٥ مركزا لتجميع البترول ، ١٤ مركزا منها فى حقل البرقان ، وأربعة مراكز فى حقلى المقوع والاحمدى ، ويوجد فى شمال الكويت أربعة مراكز ، تخدم حقول الروضتين والصابرين كما يقع مركز فى حقل المناقيش ، ومركزان أحدهما فى شرقي أم القدير والآخر فى غربيها .

ومنذ أن بدأ انتاج البترول فى عام ١٩٤٦ وهو فى زيادة مستمرة تدل عليها أرقام شركة بترول الكويت ، كبرى الشركات العاملة فى الكويت ، ومن الثابت أن احتياجات العراق للكويت عام ١٩٩٠ قد ترك بصمات تؤثر على الفائض الجيويولنيكية وخاصة من جانب المواطنين الكويتين وأيضا على الصعيد الاقتصادى فى تحديث وعلاج مشكلات الهيكل الاقتصادى على وجه الخصوص من ثنايا دور المواطنين الكويتين فى الأخذ بالثورة التكنولوجيه المعاهدة .



الهوامش :

١- راجع فى تفصيل ذلك ، جودة حسين جوده شبه الجزيرة العربية - دار المعارف الجامعية ١٩٨٤ ص ٦٩ وما بعدها .

٢- نفس المرجع السابق ص ٧٢ وما بعدها

٣- محمد المانع - المرجع نفسه ترجمه الدكتور عبدالله صالح العيتنمين - توحيد المملكة العربية السعودية - الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ بدون مكان اصدار ص ١٩٧ - ٢١١ .

٤- المرجع نفسه .

٥- محمد المانع م.س.ذ - ص ٢٠٦- ٢٠٧ .

٦- المرجع السابق .

٧- المرجع نفسه وراجع أيضا دكتور عبدالله صالح العيثنمين ، تاريخ المملكة العربية السعودية الجزء الاول ، الرياض ١٤٠٤م ، ١٩٨٤ م

٨- محمد المانع ، مرجع سابق صص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

٩- المرجع نفسه .

١٠- جودة حسين جوده ، م. س. ذ

١١- المرجع نفسه

١٢- المرجع نفسه وراجع : دكتور محمد نصر مهنا ، الخليج العربى ، منشأ المعارف ، الاسكندرية .

١٣- راجع فى تفصيل تأسيس دولة الكويت ، دكتور محمد نصر مهنا ، الخليج العربى ، م. س. ذ ص ص ٢٢٩-٢٣٦.

١٤- جودة حسين جوده ، م. س. ذ. ودكتور محمد نصر مهنا م. س. ذ.

١٥- دكتور / محمد نصر مهنا ، م. س. ذ. وجوده حسين جودة ، م. س. ذ. ص ص ٤٠٨ - ٤١٠ .



الباب الأول

الساحل الشرقي: إعادة صياغة حركة تاريخه

الفصل الاول : بريطانيا والقبائل حتى عام ١٨٥٣ م

الفصل الثاني : الاحساء

الفصل الثالث : الساحل العماني ١٨٣٩ - ١٨٩١ م

الفصل الرابع : مسألة البوريمي

الفصل الخامس : اليمن منذ عام ١٩٠٦ م

الفصل السادس : دور الشيخ زايد بن سلطان حتى عام ١٩٠٩م

الفصل الاول الساحل الشرقى

بريطانيا والقبائل حتى ١٨٥٣ م

سبقت الاشارة إلى ما يمثله الخليج العربى وأمتدادا للمحيط الهندى من أهمية استراتيجية وجيولوليتكيه وفى هذا السياق سبقت شواطئه إلى ثلاثة أقسام: السواحل العربية تضم عدة إمارات كالكويت وقطر والبحرين ومشيخات الساحل العمانى (الساحل المهادن) وسلطنة مسقط وإمامة عمان، والسواحل الشمالية حيث تضم سواحل عربستان والعراق والسواحل الفارسية التى تمتد من الجنوب الشرقى قرب مضيق هرمز إلى الشمال الغربى من المحمرة والاهواز (١) .

وقد قامت دول عربية كبيرة تملك أساطيل ضخمة على الساحل العربى فى القرنين السابع عشر والثامن عشر كسلطنة مسقط وإمامة عمان واستطاع الكثير من العرب العبور إلى السواحل الفارسية .

وللخليج العربى مميزات هامة ، جعلت منه قبلة الانظار فى التجارة والسياسة وتنبع أهميته قبل اكتشاف النفط من موقعه الاستراتيجى إذ أنه يمثل أحد الطرق الرئيسية للهند إلى أوربا وفارس والعراق.

وقد شهد الخليج العربى غزوات أستعمارية أوربية منذ القرن السادس عشر ، حيث كان البرتغاليون قد احتلوا منذ عام ١٥١٥ مسقط وهرمز والبحرين ذات الاهمية التجارية الاستراتيجية ، وذلك من أجل تحقيق سياستهم الراهنة إلى انتزاع التجارة الشرقية من أيدى العرب.

على أن مكانة البرتغاليين فى البحار الشردية أخذت تتدهور منذ خضعت بلادهم للتاج الاسبانى عام ١٥٨٠ ، فتراخت سيطرتهم على تلك الانحاء

وانتهزت القوى المحلية فى الخليج العربى فرصة ضعف البرتغاليين ، فقاموا باسترداد المواقع التى كان البرتغاليون قد احتلوها .

وفى أثناء ذلك كان الهولنديون قد وصلوا خلال السنوات الاخيرة من القرن السادس عشر إلى الهند وجزر الهند الشرقية وفى الوقت نفسه تقريبا أخذ الانجليز فى الظهور كقوه بحرية ، وتطلعوا بدورهم إلى الشرق .

ويذكر العابد (٢) أن الهولنديين قد تحالفوا أولا مع الفرس والانجليز ضد البرتغاليين ، وكان الاخيرون منذ أن طردوا من هرمز قد حطوا فى مسقط والشحر واتخذوا من أوكار ساحل عمان قواعد لاغاراتهم البحرية ، ولكنهم لم يلبثوا أن أضطروا إلى مغادرة تلك القواعد ، وذلك بسبب الثورات العربية ضد حكمهم .

وبتصفية النفوذ البرتغالى من الخليج ، بدأ الصراع بين الانجليز والهولنديين على السيطرة على تجارة المنطقة ، غير أن أسهم الانجليز آخذت ترتفع تدريجيا فى القرن الثامن عشر على حين زادات ظروف الهولنديين سوءا ، ومع ذلك فإن ممثلى الشركه الهولندية فى منطقة الخليج أصروا على التشبث بالنفوذ المتداعى ومن بين هؤلاء كان البارون نبهاوزن Nibhouzen الذى تولى وكالة البصرة (٣) ما بين عامى ١٧٣٠ ، ١٧٥٣ وتقرر نقل الوكالة الهولندية من الموانىء الخاضعة لفارس أو الدولة العثمانية والانتقال إلى جزيرة خرج ، التى تنازل عنها حاكمها العربى الشيخ مهنا بن نصر للهولنديين مقابل إتاوة سنوية .

وتجدر الاشارة أن فرنسا (٤) وانجلترا لم تكونا بمعزل عن هذا الصراع ، إذ ان حرب السنوات السبع التى اندلعت بينهما منذ عام ١٧٥٦ لم تقتصر على الديار الاوربية ، بل امتدت لتشمل أملاك الدولتين فيما وراء البحار.



وبانتهاء حرب السنوات السبع لصالح انجلترا اضطرت فرنسا إلى التنازل لها - بموجب صلح باريس فى ١٠ فبراير عام ١٧٦٣ - عن معظم ممتلكاتها فى الهند ، ولم يتبق فى حوزتها سوى بعض المراكز التجارية ، غير ان الفرنسيين ما لبثوا أن جددوا نشاطهم الاستعمارى والتجارى فى الشرق ، وتطلعوا للانتفاع بثغر مسقط الذى يتمتع بأهمية استراتيجية فائقة فى الخليج العربى والبحر الاحمر والذى تجد السفن فيه مكانا للاحتماء والتزود بالمياه ونجح الفرنسيون فى عقد اتفاقية تجارية مع سلطان عمان واقامة وكالة لهم فى مسقط عام ١٧٨٥ (٥) .

اما السياسة الانجليزية فكانت تتمحور منذ القرن الثانى عشر حول تأمين الطرق الى الهند والانتفاع بموانىء جزيرة العرب كموانى صالحة ضد اية قوة كبرى من التسلط على هذا الطريق ولعل التقرير الذى رفعه الماريشال دي كاسترى وزير البحرية الفرنسية الى الملك لويس السادس عشر قد زاد من خوف بريطانيا وجعلها تحرص على المحافظة على طريقى البحر الاحمر والخليج العربى بكل ما أوتيت من قوة وذكاء فقد قال كاسترى فى تقريره « أن البحر الاحمر والخليج العربى يشبهان ذراعين مدتهما الطبيعة لكى تصلا الهند بأوروبا (٦) وعموما فعند نشوب الحروب النابليونية ، أتضحت لساسة فرنسا الحاجة إلى إنشاء مراكز اتصال بالشرق ، فبادرت الحكومة الفرنسية إلى اتخاذ خطوتين بخصوص منطقة الخليج العربى .

وقد راقبت بريطانيا نشاط هذه البعثات الفرنسية بحذر شديد ، فقد تبين لها بعد الغزو الفرنسى لمصر ، أن فرنسا تعد العدة للهجوم على مستعمراتها فى الشرق ، ومن ثم راحت السلطات البريطانية فى الهند تتخذ الاجراءات اللازمة لمجابهة الموقف .



كذلك اتخذت ادارة شركة الهند الشرقية فى لندن منذ شهر يوليو عام ١٧٩٠م إجراءات معينة لتأمين المنافذ البحرية المؤدية إلى الهند ومنها إرسال حملة بحرية إلى البحر الاحمر عن طريق رأس الرجاء الصالح بقيادة الاميرال جون لانكيت J. Blankett ، وتعيين ممثل سياسى فى بغداد.

وأخيرا عقد اتفاق مع سلطان مسقط لمنع الفرنسيين من التسرب للخليج وقبيل خروج الحملة الفرنسية من طولون كان مانيستى Manisty ممثل شركة الهند الشرقية الانجليزية فى البصرة ، قد اقترح الدخول مع مسقط فى اتفاق عسكرى للتعاون ضد قراصنة العرب فى الخليج ، وكانت السياسة السائدة فى الهند حتى ذلك الوقت ترمى إلى عدم التوسع أو التدخل ما أمكن حتى لا تتكلف الشركة نفقات لا تعود عليها بربح مؤكد . ولكن هذه السياسة تغيرت فى ابريل ١٧٩٨م عندما وصل إلى كلكتا حاكم عام جديد وهو اللورد ولزلى Wolsely ، وكان من دعاة سياسة التوسع وتقوية النفوذ البريطانى فى منطقة الخليج العربى (٧) .

وما كاد عام ١٧٩٨ يقترب من نهايته حتى كانت الصدمة التي احدثتها الحملة الفرنسية فى الهند قد أخذت تزول، ولكن حملة بونابرت على بلاد الشام لم تلبث أن أثارت مخاوف السلطات البريطانية فى الهند من جديد كما ان اتصالات بونابرت بشريف مكه وإمام مسقط (٨) جاءت لتجعل من تلك المخاوف حقيقة واقعة ، اذ خشيت بريطانيا من أن يكون بونابرت بحملته على بلاد الشام إنما يمهد الطريق لغزو الهند عن طريق الخليج أو البحر الأحمر وعموماً فقد ظلت بريطانيا منذ مطلع القرن التاسع عشر تنظر بحظر وحيطة لمشروعات بونابرت فى الشرق ، ولعل ذلك يرجع لان بونابرت أرسل عام ١٨٠٢ لكولونيل سباستيانى Sebastiani إلى سوريا «لتقييم قوة القوات الانجليزية والعثمانية هناك» كما أرسل عام ١٨٠٣م الجنرال ديكان Decaen إلى الهند

«المحاولةالتوصل إلى تفاهم مع ابن تبو صاحب وامراء البلاد» واقترح عام ١٨٠٧ على القيصر اسكندر بأنه يجب على فرنسا وروسيا أن تجبر تركيا على فتح بوابات الشرق » .

المحاولات البريطانية لفرض السيطرة البحرية على الساحل المهادن:

لم يكن انسحاب الحامية البريطانية من قسم فى أوائل عام ١٨٢٣ م نهاية للمحاولة البريطانية لفرض السيطرة البحرية على الساحل المهادن ، بل كان يمثل انتهاج أسلوب جديد فى هذه المحاولات ، إذ اتجهت السلطات البريطانية إلى أسلوب تخصيص أسطول متجول فى الخليج لتأمين خطوط الملاحة التجارية الهندية البريطانية .

ويذكر العابد أنه لا يخفى أن سلطان بومباى البريطانى قد تكبد الخسائر المادية والبشرية من جراء استعمال بريطانيا للقوة مع القبائل العربية الشيء الكثير ، مما جعلها تلجأ إلى أسلوب مهادنه هذه القبائل ، فى محاولة التوصل إلى مأربها فى فرض سيطرتها بأقل خسائر ممكنه من ثنايا ضرورة العمل على تشجيع القبائل العربية على التحول إلى التجارة وتعويدهم على المسالمة بمنحهم كل حماية ممكنة ، وعدم التدخل فى شؤونهم بشكل سافر والابتعاد عن أخذهم بالحزم والقوة . غير أنه فى مطلع عام ١٨٢٤ م صدرت ثلاث دوريات قواسمية لإحدى سفن الساحل الجنوبى للجزيرة العربية واستولت عليها فأثار هذا العمل المقيم البريطانى ستانوس Stannus ، مما جعله يصدر تعليمات لقيادة الاسطول البريطانى المتجول بملاحقة الدوريات القواسمية المعنية وإلقاء القبض عليها أن أمكن ، واتخاذ اقصى العقوبات ضد المراكب التى تعترض السفن البريطانية أو تلك التى تحمل العلم البريطانى ، بإرسالها إلى المقيمية فى بوشهر .

وأدى ذلك إلى إثارة العرب ضد السلطات البريطانية ، وبالتالى انهيار سياسة الطرق السلمية التى أخذت تتبعها بريطانيا لمعالجة الموقف وبات واضحا أن كل المحاولات المبذولة للقضاء على القراصنة عديمة الجدوى فى ظل الصراع البحرى المستمر بين سكان الخليج ومع ذلك فقد استمرت السلطات البريطانية توجه جهودها لمنع هذا الصراع من التأثير على تقدم التجارة .

غير أن الصراع على طول شاطىء «القراصنة» استمر طيلة الاشهر الاخيرة من عام ١٨٣٤م ، مما حرم سكان ذلك الشاطىء من مواردهم الرئيسية التى كانت تتمثل فى صيد اللؤلؤ ، وحل الدمار بالمحاصيل والمزروعات وازدادت أعمال القراصنة .

وفى ظل هذه الأوضاع فقد شهدت الفترة الممتدة بين عامى ١٨٢٩ ، ١٨٣٥ م نزاعات مستمرة بين القبائل العربية المختلفة على الساحل المهادن ، كان أهمها تلك النزاعات التى قامت بين قبائل بنى ياس فى أبو ظبى والقواسم، وامتدت برا وبحرا وأدت إلى تعريض التجارة فى الخليج إلى مخاطر جمة .

وكانت أحداث عام ١٨٣٤ - كما سبق الاشارة - على جانب كبير من الخطورة لدرجة أصبح معها الأمن البحرى فى الخليج فى مهب الريح ، ففى نوفمبر من نفس العام استغل والى صحار حمود بن عزان فرصة غياب السيد سعيد فى أملاكه الأفريقية وقام بهجوم على مدينة سويق على ساحل الباطنة ونهبها، مما دفع بكل من هلال بن السيد سعيد وابن عمه محمد بن سالم إلى طلب المساعدة من سلطان بن صقر وخليفة بن شخبوط شيخ أبو ظبى لمجابهة الموقف المتردى والتصدى لأبن عزام فاستجابا لهذا النداء الذى وجد فيه كل منهما فرصة لتحقيق مصالحة ومطامحه ، فسلطان كان يرنو الي السيطرة

على أرض مسقطية ، وأما إبن شخبوط فقد كان يعانى شعبه من ضائقة اقتصادية ، فرأى فى هذه الفرصة ما يهيىء له مجالا يحقق من خلاله ربحا ماديا يخفف من وطأة تلك الضائقة (٩)

وتأسيسا على ذلك ، أمر سلطان بن صقر أسطوله بالابحار إلى خليج عمان وتوجه بنفسه على رأس قوة إلى خليج خورفكان، الذى احتله ، وكذلك فعل خليفة بن شخبطو ، فأمر مراكبه بالتمركز أم القوين وف مدل الخليج حتى تقوم بمهاجمة السفن التجارية وسلبها ، فقامت هذه المراكب بسلب العديد من السفن وإرسال غنائمها إلى أبو ظبى ، ولم تكتف مراكب أبو ظبى بهذا ، بل تحدي الاسطول البريطانى الذى تصدى بدوره لها ، دون أن يحقق أى نجاح فى بادىء الامر ، بل كانت كفة أسطول بنى ياس راجحة ، حيث استولى على سفينة بريطانية ، غير أن ذلك لم يستمر طويلا إذا أخذ الاسطول البريطانى يبذل جهودا مضاعفة لمجابهة الموقف ، حتى استطاع استرداد السفينة التى وقعت فى الاسر ، وإجبار بنى ياس على دفع تعويضات عن هذا العملية وازاء هذا الموقف المتفجر ، أخذت سلطات بومباى فى التخطيط تضع حدا لهذا الوضع ، بإيقاف المشاحنات البحرية فى الخليج من خلال سيطرة بريطانية فاعترضت خط سير هذا التخطيط عقبة تمثلت فى مجلس مديرى الشركة الانجليزية الذى كان قد اتخذ قرارا فى أغسطس ١٨٣٤ م بمنع سلطات بومباى من جعل نفسها حكما فى النزاعات البحرية .

ومن الملاحظ أن المدة الممتدة ما بين عامى ١٨٣٥ ، ١٨٤٣م لم تشهد أيه أعمال قراصنة بين سكان الساحل الهادن ، ولم يعكر صفو الهدوء فى مياه ذلك الساحل اية حوادث تستحق الذكر.

وكان عام ١٨٣٥م قد شهد اتفاقية تقضى بوقف النزاعات البحرية

ومعاقبة من يخل بها بدفع تعويض مناسب وشجعت النتائج الايجابية لمعاهدة عام ١٨٣٥م أوائل عام ١٨٤٣م الشيوخ جميعا فى إبرام معاهدة لمدة عشر سنوات ، كمعاهدة بين شيوخ الساحل المهادن ، حيث وقعوا فى الأول من يونيو ١٨٤٣م تم بموجبها إقامة هدنة بحرية لمدة عشر سنوات وأن يتعهد كل شيخ بدفع التعويض عن أى اعتداء بحرى يقوم به أحد رعاياه وتتم المطالبة بالتعويض فى مثل هذه الحالات عن طريق الحكومة البريطانية بصفتها ضامنة للمعاهدة .

كانت بريطانيا تعتبر نفسها مسؤلة عن حماية الامن البحرى فقط وبذلك كانت تتجنب أى تدخل فى العداوات التى تحصل حتى على الشاطىء ، إذ كانت تعتبر ذلك خارج نطاق العداوات البحرية ، وقد بينت ذلك للشيوخ قبل توقيع الاتفاقية ، ومع ذلك ، فقد حقق هذا النظام نجاحا انعكست أثارة على تخفيض عدد الدوريات البريطانية المقيمة فى الخليج .

ويرى العابد (١٠) أن هنالك عاملين أساسين قد ساعدا على نجاح نظام الهدنة هما :

١- إبتعاد الوهابيين عن شمال عمان مابين عامى ١٨٣٩م ، ١٨٤٥م بعد طرد حاميتهم من واحة البريمى عام ١٨٣٩م .

٢- الاستقرار النسبى فى عمان نفسها أثناء هذه الفترة ، نظر لتوجه أهلها إلى استثمار خيرات أراضيهم ، مما أبعدهم عن خضم الاحداث فى الخليج.

وعموماً ، فأن هذا المعاهدة لم تضع حدا نهائيا للنزاعات البحرية ، بل وقعت بعد ذلك نزاعات عنيفة بين بنى ياس والقواسم ، بالاضافة إلى تلك التى نشبت داخل بعض المشيخات التى لم تكن مشتركة فى الهدنة ، كالصراع على



السلطة البحرية أضف إلى ذلك وجود ثغرة كانت تهدد بناء الهدنة بالانهيار وهو ما يقتضى وقفة للتفسير .

فلقد كانت لمعاهدة العشر سنوات سالفة الذكر أثر كبير فى توطيد نظام المهادنة ، لما نتج عنها من سيادة للنظام والامن فى مياه الخليج إلى حد ما وما تمخض عن ذلك من كسب مادة جناه شيوخ الساحل المهادن، ومن الجانب الاخر، أصبح لبريطانيا مركز هام فى تلك المنطقة ، حيث ازداد نفوذها لدرجة أصبحت معه فى أوائل الخمسينات من القرن التاسع عشر تمثل فى نظر شيوخ الساحل المهادن محامية لنظام المهادنة وملزمة بالدفاع عنهم ضد أى خطر يتعرض له أحدهم .

ولقد عملت بريطانيا من خلال وضعها هذا ، بكل ثقلها لمنع عودة الوهابيين إلى ساحة الاحداث ، غير أن ذلك لم يكن له نصيب من النجاح المتكامل، إذ ما لبثت قوة الوهابيين أن عادت إلى الظهور فى أواخر الاربعينات من القرن التاسع عشر ، وذلك رغم حذر الساسة البريطانيين وعملهم الدؤوب على الوقف فى وجه هذا التيار . حيث تدخلت بريطانيا عام ١٨٤١ للافراج عن الامير فيصل بن تركى السعودى من معتقل محمد على وكانت تأمل من ذلك استمالة الامير والحصول على مساعدته فى تهدئة الموقف فى الساحل المهادن ، إلا أن الامير لم يحقق هذا الامل ، فما لبث أن وطد نفوذه بعد عودته للحكم متطلعا إلى استعادة قوة الوهابيين ونفوذهم فى المنطقة .

ساعدت الظروف فيصل بن تركى ، فهيأت له أوضاع البحرين الداخلية الفرصة لتحقيق طموحاته ، حيث كانت تعانى من الاضطرابات نتيجة طرد حاكمها عبد الله بن أحمد على أيدى بعض منافسيه ، فوجد فيصل فى ذلك مجالا للعمل تحت ستار الوساطة وبالفعل استطاع بسيره فى هذا الطريق أن يصل إلى إقامة علاقات مع شيوخ الساحل المهادن .

وبعثت بريطانيا إلى الامير برد ودى بشأن اهتمام الحكومة البريطانية بأستقبال الامن فى الساحل المهادن ، وما يترتب على ذلك من حرص على أن لا يؤدى أى تدخل من قبل الامير إلى عرقلة تنفيذ الشيوخ للاتفاقات المعقودة بينهم .

ومن هنا فقد سارت الامور بهدوء حتى عام ١٨٤٥ ، ففى مطلع ذلك العام قام القائد السعودى سعد بن مطلق على رأس قوة كبيرة بالتوجه إلى البريمى ، التى استقبله زعماؤها دون مقاومة ، مما دفع السيد توينى بن سعيد إلى استشارة المقيم البريطانى فيما يمكن اتخاذه من اجراءات لمجابهة النفوذ الوهابى ، ولما كان المقيم مقيدا بتعليمات حكومته التى لم تكن آنذاك راغبة فى الاحتكاك مع الوهابيين ، فقد بعث برد يخفف من مخاوف السيد ثوينى وينصحه بعدم إثارة أى إشكال مع القائد السعودى ، غير أن الامر لم يقف عند هذا الحد بل تطور إلى أبعد من احتلال البريمى ، حيث مالبث القائد السعودى أن استقر فى البريمى ، مما جعل السلطات البريطانية فى موقف حرج ولم يخرجها من تلك الورطة غير توصل السيد سعيد إلى اتفاق مع القائد السعودى لحل الاشكال القائم بشكل ودى ، وعودة البريمى إلى سلطات مسقط فى أواخر عام ١٨٤٨ .

ومن ثم ، أخذت الامور تسير بين الهدوء تارة والاضراب تارة أخرى حتى عام ١٨٥٠ ، حين تمكن الامير فيصل من الوصول إلى مشارف قطر وأخذ يرنو بنظره إلى الساحل المهادن لكى يضمه إلى حكومته، الأمر الذى أثار مخاوف شيوخ الساحل وبريطانيا ، وهذا مادفع القواسم وقبائل بنى ياس إلى تناسب خلافاتهم ومحاولة استمالة شيخ البحرين إلى جانب للوقوف أمام اطماع الامير السعودى .

غير أن هذا الوفاق بين القواسم وبنى ياس لم يدم طويلا بل زال بزوال مسبباته وعادت العداوة لتنمو مع جديد فى وصولا إلى عام ١٨٥٢ الذى شهد أثر وفاة شيخ دبى مكتوم بن بطى فى أغسطس ١٨٥٢م ترتب عليه من حدوث نزاع على المشيخة بين أخيه سعيد وبين أبنائه الذين إلتجأوا إلى سلطان بن صقر ، طالبين منه المساعدة فى تعضيد موقفهم ، على حين التجأ سعيد إلى السيد سعيد الذى لم يكن آنذاك على استعداد للتدخل فى مثل هذه المشاكل، فانعكس أثر هذا الموقف على الساحل المهادن وجعله يسير باتجاه الاضطرابات والقلاقل ويرى العابد أن ذلك يدل على ماقام به الامير عبد الله بن فيصل السعودى فى يناير ١٨٥٣ من عودته لاحتلال البريمى .

تم التوقيع بين كل من الشيخ سلطان بن صقر شيخ عجمان ورأس الخيمة، وعبدالله بن راشد شيخ أم القيوين ، وحميد بن راشد شيخ عجمان، وسعيد بن بطى شيخ دبى ، وسعيد بن طحنون شيخ أبو ظبى - على معاهدة سلام بحرى دائم مابين الرابع والتاسع من مايو ١٨٥٣م ، تعهدوا بموجبها بالاصالة عن أنفسهم وعن ورثتهم وحلفائهم بالمحافظة على السلام ، ومعاقبة كل منهم لأى من رعاياه أو أتباعه يرتكب عدوانا بحريا على أحد رعايا أو ممتلكات الفريق الاخر ، وأن لا يرد أحدهم على هجوم قد يشنه آخر ، بل يقوم بالابلاغ ذلك إلى المقيم البريطانى فى الخليج أو إلى قائد البحرية الانجليزى الذى يتولى تحصيل التعويضات المناسبة .

الهوامش :

١- د. فؤاد سعيد العابد ، سياسة بريطانيا في الخليج العربى خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر منشورات ذات السلاسل ، الكويت بدون تاريخ أصدار ص ٢١ ومابعدها .

٢- المرجع السابق ص ٢٢

٣- كانت البصره - بحكم موقعها على شط العرب الذى ينتهى إلى الخليج العربى - أكثر مدن العراق إتصالا بالصراع الدائرى على النفوذ فى الخليج وقد شهدت البصره فنونا من هذا الصراع .

٤- كانت فرنسا قد بدأت بدورها تتطلع للحصول على نصيبها من ثروات الشرق ، وذلك بعد أن تخلصت من مشكلاتها الداخلية ممثلة فى الحرب الأهلية وشرعت تبنى قواها الداخلية إستعدادا لمنازلة هولندا وإنتزاع سيطرتها البحرية راجع : العابد م . س . ذ

٥- كان الفرنسيون قد أسسوا قبل ذلك وكالتهم فى البصرة عام ١٧٥٥ ، ثم تحولت عام ١٧٦٥ إلى قنصلية ، المرجع السابق ص ٢٤ .

٦- المرجع نفسه نقل عن د. عبد الحميد البطريق - الامة العربية ، ص ٥٦ .

٧- توالت رسائل ولزلى على الحكام العرب يحذرهم من نيات بونابرت نحو الشرق العربى ، ويطلب إليهم مد كل للاسطول الانجليزى ولم ينس ولزلى أن يقول لهم أن فرنسا هى عدوة السلطان العثمانى والعرب والانجليز معا وأوفد مبعوثا سياسيا هو «بويهام» لابرام معاهدة بين الحكومة والهند والحكام العرب وعلى رأسهم شريف مكه وكان ولزلى يعتمد لنجاح تنفيذ سياسته على عدة اعتبارات منها دهاء بويهام وسياسته ومعرفته اللغة العربية ، والهدايا التى حملها بويهام إلى الحكام ورؤساء القبائل ، ومنح العرب بعض الامتيازات وأغراؤهم بالحديث المعسول عن سياسة الأخاء والمساواة والمودة ، العابد م. س. ذ ، ص ٢٧ .

٨- العابد ص ٢٨ .

٩- العابد ص ١٧٥ .

١٠- المرجع نفسه ص ١٨٠ - ١٨١ .

الفصل الثانـــى

الاحســـاء

تذكر المصادر أن أول غزوة وجهها قادة الدرعية للاستيلاء على الاحساء كانت بقيادة سعود بن عبد العزيز ثم وصلت القوات السعودية إلى الاحساء فى سنه ١٢٠٢هـ بقيادة سليمان بن عفيصان ، وفى السنة التالية توجه سعود بن عبد العزيز بقواته إلى الإحساء ثم عاد إلى الدرعية ، غير أنه كرر هجومه بقوات كبيرة فى سنة ١٢٠٤هـ لمحاربة قبيلة بنم خالد فى المنطقة الشرقية محققا بذلك نصراً عليهم، وتلى ذلك غزوه للقطيف سنة ١٢٠٦هـ حيث أنزل بهم خسائر فادحة واعلن أهل الاحساء ولاءهم له ، غير أنهم تمردوا عقب خروجه مما جعله يتوجه بقوات كبيرة إلى الإحساء موجهاً ضرباته الشديدة إلى مدن المنطقة الشرقية جزءاً من الدولة السعودية (١) ، ونتج عن ذلك فيما يتعلق بمجال هذه الدراسة أن الجهات الخارجية التى لها مصالح فى الخليج العربى بدأت تهتم بأمر الدولة السعودية ومن هذه الجهات شركة الهند الشرقية البريطانية والدولة الفارسية ، فضلا عن أن الدولة السعودية الفتية أصبحت ذات حدود مع بقية إمارات الخليج العربى وكانت أهم النتائج لاستيلاء آل سعود على منطقة الإحساء هو نجاح الدولة السعودية فى الوصول إلى البحر وإضافة المنطقة الشرقية إلى رقعتها الزراعية مما زاد إنتاجها (٢) ومن منطقة الإحساء والمنطقة الشرقية أخذ آل سعود يتطلعون إلى جهات الخليج العربى حيث كانت غاراتهم قد بدأت على قطر سنه ١٢٠٢هـ، وتذكر بعض المصادر أن هذه الغارات قد بدأت قبل الاستيلاء على منطقة الإحساء (٣) وكانت الزبارة أهم مدن قطر باعتبارها مقراً لآل خليفة ، وقد تمكن آل سعود من الاستيلاء

على قطر واضطر حكامها المعارضون لمغادرتها والتوجه للبحرين ، ويذكر المؤرخ الذائع الصيت ابن بشر (٤) أن قطر أصبحت بذلك جزءاً من الدولة السعودية الأولى ، على أن آل سعود قدموا المساعدة إلى آل خليفة عندما غزا سلطنة عمان البحرية سنة ١٢١٦هـ واستطاع الاستيلاء عليها، وكان آل خليفة يقيمون فى البحرين وقد أنعكست مساعدة آل سعود على ابعاد العمانيين عن البحرين وحققوا بذلك نفوذاً كبيراً وسرعان مانشب الخلاف بين آل سعود وآل خليفة ودارت بينهما مفاوضات أدت إلى قيام آل خليفة (٥) بحكم بلادهم .

وفيما يتعلق بالكويت ، فقد غزتها القوات السعودية مرتين ، الأولى فى سنة ١٢٠٨ والثانية فى سنة ١٢١٢هـ بالاضافة إلى المناوشات التى حدثت بين الفريقين سنة ١٢١٨ هـ ومع ذلك لم تتمكن الدولة السعودية من إدخال الكويت ضمن سيادتها .

وقد سبقت الإشارة إلى أن طلائع القوات السعودية حين وصلت إلى عمان كان حاكم مسقط سلطان بن أحمد البوسعيدى الذى اجرى اتصالات مع كل من الدول الفارسية والدول العثمانية ، وكانت الدولتان تنظران بحسد إلى المكاسب التى حققتها الدولة السعودية ، ويفسر ذلك تشجيعها لسلطان بن أحمد البوسعيدى لمناوئة آل سعود ووعودهما له بتأييده وتقديم المعونات له ، وأعقب ذلك ذهاب حاكم مسقط إلى مكة سنة ١٢١٧هـ ١٨٠٣م تحت ستار تأدية فريضة الحج ، وكان هدفه فى الواقع التفاهم مع امير مكة الشريف غالب بن مساعد ، والاتفاق معه على مقاومة الدعوة الاصلاحية ، غير أن آل سعود كانت سيادتهم قد انتقلت إلى مكة ، الأمر الذى جعل حاكم مسقط يرضخ فى النهاية لآل سعود ويعقد اتفاقاً معهم تعهد فيه بدفع الزكاة السنوية (٦) لهم



غير أن ذلك لم يحل دون تجدد المصادمات بينه وبين السعوديين الذين زحف أميرهم سالم الحرق من البريمى إلى الباطنة وكاد يحتل البلاد لولا وفاة الامام عبد العزيز سنة ١٢٦٨هـ ليحل محله نجله سعود الكبير الذي كان يتسم بشجاعة ومقدرة فائقة . أما سلطان بن أحمد البورسعيدى - حاكم مسقط - فقد سقط قتيلا ثم حل محله بدر بن سيف الذي كان صديقا لآل سعود ومتعاطفا معهم ، وساعد ذلك علي استقرار دام لمدة سنتين عندما اغتيل هو الاخر ، وتولى الحكم بعده سعيد بن سلطان فاضطرب موقف السعوديين داخل عمان وارتدت قواتهم التى كانت متمركزة فى الباطنة إلى البريمى واستمرت المناوشات بين الفريقيين حتى سنة ١٢٢٣هـ حين هزم السعوديون سلطان مسقط وجيشه ، ودخلت عمان تحت مظلة الدولة السعودية فى هذا العام (٧)

وسواء تعلق الامر بالدولة الفارسية أو بريطانيا أو الدولة العثمانية ، فقد أحدثت الانتصارات السعودية فى الخليج ردود فعل متباينة من جانب هذه القوى التى كانت لها مصالحها مع الدول السعودية الفتية فالدولة الفارسية اهتمت باستيلاء السعودين على منطقة الإحساء ، ومن الطبيعى أن تنظر الدولة الفارسية التى تأخذ بالمذهب الشيعى - تنظر بقلق إلى ما حققته الدولة السعودية التى تأخذ بالمذهب السنى ، وتذكر (٨) المصادر أن اهتمام الدولة الفارسية يجد تفسيره من أنه إذا كان خلاف حاد قد وجد بين انصار الدعوة الاصلاحى وبين كثير من المنتمين إلى المذهب السنى حينذاك فقد كان من الطبيعى أن يوجد خلاف أكثر حدة بين أولئك الانصار وبين حكومة فارس التى كانت تدين بالمذهب الشيعى ، ويذكر العثيمين (٩) أن بعض سكان المناطق الشرقية معلوم أنهم ينتمون إلى هذه المذاهب، ومع أن هؤلاء كانوا تحت حكم زعماء بنى خالد السنيين قبل دخولهم المنطقة المذكورة تحت حكم آل سعود إلا



أن حكم أولئك الزعماء من بنى خالد لم يكن قائماً على أساس من العقيدة مثلما كانت عليه الحال بالنسبة للحكم السعودى ، ويفسر ذلك سبب نظرة الحكومة الفارسية بأن يتدخل شركاؤها فى المذهب الشيعى تحت ظل حكومة سنية متحمسة لعقيدتها نظرة تختلف عن ذي قبل ليس هذا فحسب، بل أن الحكومة الفارسية قد تلقت صدمة نتيجة الهجوم الذى شنه السعوديون على كبراء ، البلدة المقدسة لدى الشيعة حيث تعمق الخوف لديهم من الدولة السعودية، وازداد كرهها لها ولم يكن غريبا أن تقف الحكومة الفارسية بعد تلك الحادثة بعام واحد مع سلطان مسقط فى نزاعه مع آل خليفة وحلفائهم السعوديين (١٠) واستمرت الحكومة الفارسية تدعم السلطان العمانى فى مواجهة آل سعود ثم جاء القضاء على الدولة السعودية على يد محمد على حاكم مصر ليشكل شعوراً بالطمأنينة لدي الحكومة الفارسية إذا أنها رأت فيه أفول نجم دولة فتية كادت توحد منطقة الخليج برمتها (١١).

أما فيما يتعلق ببريطانيا ، فأن التنافس البريطانى الفرنسى على عمان فى هذه الفترة رجحت كفته لصالح بريطانيا من خلال الاتفاقيتين اللتين عقدتا بين سلطان مسقط وبريطانيا فى ١٢١٣هـ، ١٢١٥هـ، غير أن هاتين الاتفاقيتين كانتا موجهتين فى الواقع ضد الغزوات السعودية فى تلك البلاد، وقد سبقت الاشارة إلى ازدياد نشاط القواسم بحريا بحيث لم يقتصر على مهاجمة السفن العمانية فقط، وإنما تلك التى تتعاون أيضا مع بريطانيا من سفن عمان، وتسبب ذلك فى الهجوم البريطانى على رأس الخيمة سنة ١٢٢٠هـ ، ١٢٢٤هـ، وتشير المصادر (١٢) أن بريطانيا حاولت أن تتعامل مع القواسم وكأنهم جهة مستقلة عن آل سعود الذين لم تكن لديهم الرغبة أو الاستعداد لمواجهة بريطانيا، فضلا عن أن حكومة الهند البريطانية قد أعربت للأمام

سعود عن رغبتها فى استمرار العلاقات الطيبة بينهما ، وقد تجاوب الإمام سعود مع بريطانيا وأمر اتباعه بعدم التعرض للسفن البريطانية .

والواقع أن بريطانيا كانت مدركة لقوة آل سعود فى شبه الجزيرة العربية ، وفى الوقت ذاته لم تكن راغبة فى تنامى هذه القوة ويستدل على ذلك من شعور بريطانيا بالارتياح حينما انتصرت قوات محمد على على الدولة السعودية على نحو ما سينفذ الإشارة إليه ، حيث تلاشت قوة القواسم نتيجة لافول نجم الدولة السعودية الفتية ، واغتنمت بريطانيا هذه الفرصة لتفرض سيطرتها على شيوخ الخليج العربى بسلسلة من المعاهدات غير المتكافئة.

وأخيراً يأتي رد فعل الدولة العثمانية من خلال باشوية بغداد، أى العراق العثماني على نحو ما أشار إليه أبو حاكمة من خلفيات تاريخية طوال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أما وقد وصل سعود بن عبد العزيز بقواته إلي الإحساء ، فقد كان ذلك بمثابة صدمة لحاكم بغداد العثمانى ، وقد حدثت بين الطرفين العديد من المصادمات والمعارك أدت فى النهاية إلى تبادل الرسائل والاتفاقات على صلح يتم بموجبه عودة الجيش العثمانى إلي العراق، وقد تم ذلك بالفعل (١٣) ١٢١٤هـ، غير أن العلاقات ما لبثت أن توترت بين باشوية بغداد وبين الدولة السعودية الأولى وبلغت (١٤) بمهاجمة سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود منطقة الزبير والبصرة والحق هزائم متتالية بالقوات العثمانية فى العراق، ولم تتوقف الهجمات السعودية إلا حينما انشغلت الدولة السعودية الأولى بالحملة المصرية العثمانية التى انطلقت من مصر للقضاء عليها (١٥) ويلاحظ العثمانيين أن آل سعود لم يضموا أية أراضى عراقية إلى دولتهم .

الهوامش:

١- تنتمى أسرة آل سعود إلى قبيلة عنزة طبقا للمفهوم الشائع لدى الكثيرين في حين تذكر بعض المصادر أن السعوديين ينتسبون إلى بنى حنيفة، ومعروف أن عنزة وبنى حنيفة من وائل وتأسيسا على ذلك يمكن القول أن آل سعود وائليون ، وكانت الاسرة السعودية قبل تسميتها بهذا الاسم تدعى آل مقرن نسبة إلى مقرن بن مرخان جد محمد بن مسعود مؤسس الدولة السعودية الأولى ، وكان أحد أجداد آل سعود ، مانع المريدى ، مقيما فى مكان يقال له الدرعية قرب بلدة القطيف فى المنطقة الشرقية من جزيرة العرب، وقد تم اطلاق اسم «الدرعية» احياءاً لاسم البلدة القديمة نسبة لابن درع الذي منحهم ذلك المستقر ، والباحث فى تاريخ الاسر السعودية منذ استقرارها في الدرعية حتي تولي محمد بن سعود إمارة هذه البلدة - أي ما يقرب من مائتين وثمانين عاما - يرى أنه مشابه لتاريخ كثير من القبائل التى كانت تحكم بلدان نجد فى تلك الفترة ومنذ تولى محمد بن سعود زمام الامور فى الرياض سنة ١١٣٩هـ والاستقرار الداخلي يسود هذه المنطقة ، ثم جاء الإمام محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود حيث تستمر الزعامة السياسية لآل سعود وأن تكون الشئون الدينية لمحمد عبد الوهاب ونسله ، وقد أيدت الفئات الاجتماعية المختلفة دعوى الشيخ بالاضافة إلى العلماء ورؤساء البلدان وقبائل نجد وخاصة فى جهود الشيخ للانضمام للدولة الجديدة .

راجع فى تفصيل ذلك المؤرخ الذائع الصيت عثمان بن عبدالله بن بشر، عنوان المجد فى تاريخ نجد - تحقيق عبد الرحمن آل الشيخ ، إصدار وزارة المعارف السعودية ، الرياض ، ١٣٩١ هـ.

- حسين بن غنام روضة الافكار والافهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذى الاسلام ، القاهرة ، ١٣٦٨هـ .

- اعتمدنا فى هذا الجزء من الدراسة على التحليل القيم للدكتور عبدالله صالح العثيمين ، تاريخ المملكة العربية السعودية ، الجزء الأول ، الرياض ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

وتجدر الاشارة إلى قيام تمرد أخر ضد أل سعود من جانب بعض أعوان المنطقة الشرقية سنة ١٢١٠هـ غير أن سعود بن عبد العزيز تمكن من إخضاعهم تماماً .

٢- الدكتور عبد الله صالح العثيمين ، مرجع سابق ، ص ١٢٠-١٢١.

٣- عثمان بن عبدالله بن بشر ، مصدر سابق، ص ١٤٤.

٤- المصدر نفسه ، ص ١٩٥ - ١٩٧ .

٥- المصدر نفسه ص ١٩٥ - ١٩٧ .

٦- وربما يفسر ذلك إطلاق لقب الكبير عليه ليصبح اسمه سعود الكبير ولازال خلفه يحملون هذا اللقب فى المملكة العربية السعودية «الباحث».

٧- أمين سعيد ، ص ٥٠

٨- الدكتور عبدالله صالح العثيمين ، مرجع سابق ص ١٦٤ .

٩- المرجع نفسه ، ص ١٦٥ .

١٠- المرجع نفسه ، ص ١٦٥ نقلا عن : دكتور عبد الرحمن عبد الرحيم ، الدولة السعودية الاولي (١٧٤٥-١٨١٨م) (١١٥٨-١٢٢٣هـ) الطبعة الثالثة، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة : ١٩٧٦م ، ص ٢٨٨ ، ٢٩١.

١١- الدكتور عبد الله صالح العثيمين ، مرجع سابق ، ص ١٦٦-١٦٧.

١٢- المرجع نفسه ، ص ١٥٨ وكان نص الرسالتين المتبادلتين بين الطرفين بشأن شروط الصلح وهى :



أ – تخلى السعوديين عن الاحساء

ب – دفع تكاليف الحملة .

ج – عدم تعرض السعوديين بأذى لقوافل الحجاج العراقيين ، والواقع أن الدولة السعودية كانت تحرص دائما على تحقيق الأمن لقوافل الحجاج .

١٣– وكان أحد العراقيين قد اغتال الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود وهو يصلى فى أحد مساجد الدرعية فى أحد أيام شهر رجب سنه ١٢١٨هـ وذلك بتشجيع من على باشا حاكم العراق العثمانى .

١٤– الدكتور عبد الله صالح العثيمين ، مرجع سابق ، ص ١٦١ ، وراجع أيضا :

El Batrik A. H. Turkish and Egypt Rule in Arabia (1810-1840).

ph. D. Rbesis, University of London pp. 75-84 .

الفصل الثالث

الساحل العمانى ١٨٣٩ - ١٨٩١ م

لم تهتم بريطانيا بما يجرى داخل الساحل العمانى ولم تكن تنوى إقحام نفسها فيما لا يعود عليها بفائدة اقتصادية أو سياسية وكانت بريطانيا كما سبقت الاشاره قد اجبرت فى الفترة منذ عام ١٨٣٠ حتى عام ١٨٤٠م على التدخل فى شئون المنطقة الداخلية فى الساحل العمانى ، وغدت بعد هذه الفترة ترقب ما يجرى وتوجهه ما كان ذلك فى امكانها كما سبقت الاشارة أيضا إلى أن سياسة بريطانيا منذ ١٨٣٠ إلى ١٨٤٠م فى داخل المنطقة كانت تميل إلى تجميع القبائل فى اتحادات بعد الحد من خلافاتهم الموروثه (١)

وعموما فقد استعاد السعوديون زمام الامور لصالحهم فى أواسط الجزيرة العربية منذ عام ١٨٢٤م ولم يأت عام ١٨٣٠م حتى امتدت سلطتهم إلى الاحساء، ولكن السعوديين وقد علمتهم التجارب السابقة ابتعدوا عن التدخل فى شئون مشيخات الساحل العمانى رغم ما لهم فيه من عقيدة وانصار ومريدين . ولم يلب السعوديون دعوة راشد بن حمد شيخ عجمان حين دعاهم للتعامل معه ضد الشيوخ الأخرى فى الساحل العمانى ، وأعربوا للشيخ راشد عن اعترافهم الصريح بأن سيد مسقط وشيخ الشاقرة هما رأس القبائل العمانية ولن يقوم اتصال الا بواسطتهما (٢) . وقام الامير تركى بارسال راشد بن حمد ليمد جسور الصداقة والتفاهم مع الحكومة البريطانية (٣)

اعترف السعوديون بالشيخ سلطان بن صقر الذي كان حذا ومن الناحية الظاهرية تظاهر سلطان للسعوديين بالود ولكنه خابر ستانوس عنهم وسأله عنهم وسأله عن موقف بومباى إذا اضطره السعوديون للعمل ضد السيد سعيد ورد ستانوس بأن اتصال سلطان بالسعوديين يجب أن لا يكون ذريعة

لاحياء «القرصنة» وان أى هجوم مسلح ضد السيد سعيد، هو فى نظر الحكومة أمر غير ودى ولا يحظى بالقبول وتأكد قول المقيم بخطاب افلنستون الذى جاء فيه بأنه لا ضير من امتداد السعوديين ماداموا قد قصروا نشاطهم العسكرى على البر، أما اذا تطلعوا إلى البحر فيجب مواجهتهم (٤) .

سبقت الاشارة إلى تطلع ابن عفيصان والى السعوديين على الاحساء إلى عمان، وقصرت جهوده ، رغم حشوده ، دونها وذلك لخوفه من ان يهاجمه طحنون بن شخبوط ويقطع عليه خط امداداته إلى الاحساءواتت ابن عفيصان فرصة غزو عمان حين عمت فوضى الاضطرابات مشيخة ابو ظبى لتحتل طحنون وتنازع شيوخ أبو ظبى على السلطة فى ابريل ١٨٣٣م/١٢٤٨هـ (٥).

ويرى الدكتور عبد العزيز عبد الغني أنه في غمار هذه الفوضى سقطت أبو ظبى ، مؤقتا ، للسعوديين ولحقت جيوش ابن عيصان اطراف عمان وطلبت من السيد سعيد دفع الزكاة واسرع سعيد إلى النجدة ويطلبها من المقيم البريطانى الذى لم يزيد على نصحه بانتهاج سياسة سلمية تجلى السعوديين ومعالجة اموره بمقتضى الحال (٦).

لم تقف حكومة بومباى موقف العداء الصريح للامتداد السعودى فى عمان ورأى البعض ان سقوط عمان فى ايدى السعوديين وبسط نفوذهم عليها لا تعنى بالضرورة عودة «القراصنة» بل يمكن ان يعين ذلك فى حماية تجارة بريطانيا نتيجة للتجانس الذى سيفرضه السعوديون على المنطقة ورأت حكومة الهند ان لا تتدخل ما احترم السعوديون العلم البريطانى وامتنعوا عن الشغب فى البحار كما رأت ان تترك مسقط لمصيره اما اذا بدأت القرصنة فأن أمر كبحها سيكون أهون على الحكومة وأقل نفقة من ان تعين قوتهم سيد مسقط كلما هدد السعوديون سلطتهم وكثيرا ما كانوا يفعلون . كما فضلت الحكومة

التعامل مع حاكم واحد يدرك سطوة بريطانيا على التعامل مع الامام ومجموعة الشيوخ ، وقررت الحكومة اخيرا التزام الحياد ونفض يدها من التحالف الوثيق مع امام مسقط اطلق سراح خالد بن سعود الذى أخذته جيوش محمد على على معية أخيه بعد خراب الدرعية ويبدو أنه كان «مصرى النزعة والأهواء» واستطاع التغلب على فيصل بن تركى واخذ الرياض حيث تراجع فيصل إلى الاحساء فادركه خورشد هناك واحتل الاحساء فى ديسمبر ١٨٣٢م./ ١٢٤٨هـ وهنا تدبرت السياسة البريطانية خططها ورأى البعض ان امتداد قوة والى مصر على سوريا والعراق والخليج قد يكون مفيدا ذلك لأن القوات المصرية قد تتحد مع القوة الفارسية ويقيمان سد يقف ضد اطماع روسيا فى المنطقة ، اما الاحتمال الثانى هو أنّ اتحاد هاتين القوّتين قد يكون مضرا بالمصالح البريطانية إذ قد يولد هذا التزاوج قوة بحرية تربط ساحلى الخليج إلى بعضهما وتقف ضد المصالح البريطانية «ففارس في أعمها ، مسلمة وبرغم اختلاف الشيع والاحزاب الاسلامية فى المنطقتين إلا أنهما قد يلتقيان عند هدف مقدس يحتم عليهما طرد المسيحيين من الهند التى بها عدد من المسلمين عظيم». كما رأى هؤلاء الساسة ان تحالف القوتين المسلمتين قد يكون ضد روسيا لتخليص مسلميها من زبقة الروس. ورأي البعض ان مصر قد تتفق وروسيا على اقتسام فارس مما يسبب لحكومة الهند مشاكل متأزمة ومع ذلك فقد وصلت السياسة البريطانية إلى نتيجة فحواها انه ليس من الحكمة ان تشجع محمد على باشا على التوسع .

أخذت كل من الحكومة البريطانية والهند تعملان فى تناسق تام بهدف وقف النفوذ المصرى فى الخليج وبعث بالمرستون إلى كامبل ممثل الحكومة البريطانية فى مصر خطابا بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٨٣٨م يطلب وليه فيها ان

يوضح لمحمد على بأن الحكومة البريطانية تود جادة ان لا ترى قواته على ساحل الخليج (٧).

وقام سلطان بن شخبوط بتأكيد تضامن أخيه حاكم أبو ظيبع شيخ البحرين وكانت هذه محاولة بريطانية لتوحيد المنطقة لتقف فى وجه الزحف المصرى .

وفى الأول من مايو ١٨٣٩م – ١٢٥٥هـ عرف أحد قادة السفن البريطانين فى الخليج بوصول جماعة مسلحة قومها ١٥٠ رجلا إلى الشارقة بقيادة سعد بن مطلق (٨).

وعرف القائد أن هذه القوة قد أتت من القطيف تحمل تفويضا من الامير خالد باسترداد السيادة السعودية فى البوريمى من النعيم . طير ذلك القائد الخبر الي المقيم الذى تحرى فيه وعرف أن شيخ الشارقة قد أعد لسعد منزلا محصنا ، وأن سعداً قد نادى على قبائل البوريمى بالتسليم وتمنعت القبائل بقيادة النعيم عليه واستعصت وشد حمود بن عزان والى صحار من ازر رجال هذه القبيلة بارسال ٢٠٠ محاربا بقيادة اخيه ، كما عضدهم خليفة بن شخبوط حاكم أبو ظبى .

وقد دافع سلطان بن صقرعن نفسه حين أوى القائد السعودى بأنه يخشى اتخاذهم مع شيخ ابو ظبى ، أو أى اخر من شيوخ المنطقة وأن قوة أى شيخ متحد مع السعوديين يمكن أن تنال من مركزه وأرضه(٩) بموجب ما ذكره الدكتور عبد العزيز عبد الغنى نقلا عن الوثائق البريطانية .

استطاع المقيم المساعد فى غضون هذه الاحداث أن يحصل على تعهد مكتوب من شيوخ ابو ظبى ودبى والشارقة وام القوين جاء فيه أن هؤلاء الشيوخ يساندون السياسة البريطانية لانها ترمى إلى الحفاظ على

(استقلالهم) ويعرضون السياسة المصرية التى تسعى (لافساد) استقلالهم (١٠) وأضاف المقيم إلى تعهد سلطان بن صقر بندا الزم فيه الشيخ نفسه بعدم الدخول فى علاقات تعاهد مع أى قوة اجنبية كما التزم هذا الشيخ ايضا بان لا يتفاوض مع اي جهة اجنبية إلا عن طريق الحكومة البريطانية وأنه يعتبر صديق بريطانيا صديقه وحليفه ومن يعاد بريطانيا عدوه (١١)

وافقت حكومة الهند على كل ما قام به مكتب المقيم من اجراءات وقائية ، وعموما فقد زال خطر محمد على عن مشيخات الساحل فى سبتمبر ١٨٤٠م/١٢٥٦هـ حين تصدت له تركيا وبريطانيا والنمسا ووافق بمقتضى ميثاق الاسكندرية على ان ينسحب من سوريا والجزيرة العربية وعدن وكريت (١٢).

صار موقف الأمير خالد بعد هذا ضعيفا فأخرج من الرياض فى ١٨١٤ وعاد إلى الاحساء وقام الامير فيصل بن تركى فى ١٨٤٣م/ ١٢٥٩هـ ليحكم فى منطقة الدولة السعودية وما عادت حكومة الهند بعدها تهتم بالمنطقة الداخلية من الساحل العمانى اهتماما مباشرا ، أنما كانت تسترق السمع ثم تحاول معالجة الامر بما يتطلبه الموقف كان هنيل يثق ان فيصل بن تركي سيعمل على صداقة البريطانيين الذين لابد وأن قد عرف عنهم وهو فى منفاه ، القوة والمنعة .

ولما جاء فيصل من مصر واستقر له الأمر كتب فى يوليو عام ١٨٤٣م/١٢٥٩هـ الى شيوخ البوريمى يعلن عن عزمه على استرداد سلطة السعوديين فى المنطقة واتصل هؤلاء الشيوخ بالمقيم يسألون المساندة فلم يتحمس لقضاياهم ورد عليهم بأن ما يحدث فى الداخل لا يعنى حكومته البته لأن حكومتهم كانت تحميهم من الامتداد المصرى ولكن ما يحدث حاليا يعتبر

نزاعا بين القبائل فى المنطقة وليس بينهم وبين الاتراك والمصريين هذا أمر لا يهم حكومته قام الأمير فيصل بن تركى بايفاد سفارة فى عام ١٨٤٣ يسأل تجديد علاقات الصداقة التى امتدت اواصرها منذ عهد ابيه تركى. وقد رحب المقيم بالسفارة وقال ان غاية الحكومة البريطانية من التواجد فى الخليج هو العمل على كبح «القرصنة» وصيانة أمن البحر، وحفظ اموال المواطنين، وارواحهم فوق مياه الخليج (١٣).

ان ما سبقت الاشاره اليه يعتبر تبريرا زائفا للسياسة البريطانية للتواجد بالمنطقة وفيما يتعلق بنفوذ الدولة العثمانية فانه لم يتخذ شكلا جديا فى المنطقة إلا منذ سنة ١٨٧٠م، وقد مهدت لهذه عوامل مختلفة تضافرت جميعها على دفع العثمانيين نحو الخليج، منها تولى مدحت باشا حكومة بغداد (١٨٦٩/١٨٧٢م) وكان الرجل يمثل فريق المصلحين الذين يرون ضرورة تثبيت السلطة الفعلية فى جميع المناطق التى تخضع للدولة اسميا وان خير وسيلة لتعويض الخسائر الاقليمية فى البلقان هى تأكيد السلطة العثمانية فى البلاد الاسلامية التابعة (١٤) هذا فضلا عن أن مدحت باشا كان ينطلق من رغبة ملحة لمناوئة البريطانيين فى الخليج وكان يقدر استجابة الخليجيين السنيين باعتبارهم رعايا الخليفة العثمانى.

أدت التنظيمات فى الجيش العثمانى، بعد حرب القوم، إلى أن يصبح هذا الجيش جيشا نظاميا مما مكن للسلطان عبد العزيز (١٨٦١/١٨٧٦م) ان يخضع بعض المقاطعات التى تزعزع ولاؤها للدولة، وعمل السلطان عبد العزيز على مضاعفة حامية مكة والحجاز وبدأ يتجه إلى نجد والخليج العربى (١٥). وقد سبقت الاشارة ان حملة الاحساء خرجت بقيادة نافذ باشا فى ابريل سنة ١٨٧٠م/١٢٨٧هـ وجرت وراءها عديدا من القبائل العربية التى

تنزل جنوب العراق، كما ساعدها عبد الله الصباح حاكم الكويت بوضع عدد كبير من سفنه تحت تصرفها وانتهز الشيخ قاسم آل ثانى فرصة وصول العثمانيين إلى أطراف بلاده وطلب منهم اقامة حامية عثمانية ببلاده وكان دافع قاسم الي ذلك مقاومة ادعاءات حاكم البحرين على شبه جزيرة قطر . وقد أثار وجود العثمانيين فى قطر مشكلة الحدود بين قطر وبين أبو ظبى ، ولم تعترض حكومة الهند على تحركات مدحت باشا فى حدود المناطق المعترف بها للعثمانيين فى شمال قطر ، ولكنهم ما ان بلغوا قطر حتى استمات البريطانيون فى وضع حد لزحفهم عند العديد ، كما قامت بريطانيا بتأكيد اتفاقاتهامع شيوخ البحرين حتى لا يصل اليهم العثمانيون (١٦).

ولما كانت الحكومة العثمانية تتطلع الي ضم البوريمى التى تعتبرها جزءا من نجد فان ذلك الشيخ سيجد فيها حليفا طبيعيا مما جعل شيخ أبو ظبى يستجيب لنداء العثمانيين وهو ان القبيسات وهم فرع من بنى ياس قد هجروا ابو ظبى ونزلوا عند خور العديد فى ١٨٦٩، وكان هذا دأبهم كلما اختلفوا مع احد شيوخ أبو ظبى ، وزحل هؤلاء القوم مرتين قبل هذه الفترة الي هذه المنطقة ، مرة فى ١٨٣٥م(١٧) أخرى فى عام ١٨٤٩م وكان الرأي البريطانى الغالب ان هذا قد يجعل شيخ ابو ظبى يركن للاتراك لمساعدته ضد القبيسات ، كما ان قبول شيخ ابو ظبى لدعوة الاتراك سيؤكد تبعية القبيسات له اذ رفض العثمانيون اعتبار شيخ أبو ظبى تحت الحماية التركية (١٨).

غير ان الوضع ظل على حاله حتى عام ١٨٧٦ م ولم تهتم الحكومة البريطانية بأمر القبيسات ونزاعهم مع شيخ ابو ظبى ، وانقلب الوضع فى تلك السنة اذ قام بعض بنى هاجروبنى مرة Murrah بتعكير صفو الأمن البريطانى على الخليج اذ حدث ان قتل بعض بنى هاجر فى يوليو ١٨٧٦م (ناخودة)

لمركب تابع لأبو ظبى عند خور العديد (١٩) ، واستولوا على المركب وما عليها من لآلىء. وما ان حل العثمانيون بالمنطقة حتى تعقد الأمر وقد «سبب هذا طعنة نجلاء لمصالحنا فى الخليج وهيبتنا فوق مياهه فنحن ما دمنا نغل أيدى الشيوخ المهادنين عن القبائل الاخرى بحرا فليس أقل من ان نحميهم من قراصنة الاخرين الذين ليس لنا معهم اتفاقات مماثلة (٢٢) كما ذكر المقيم البريطانى فى المنطقة والذى أشار أنه يرى ان تشجع زايد بن خليفة على ضم خور العديد وأضاف بانه يخشى من تأزم الأمر اذا حدث ان إتصل بطى بن خادم بالاتراك ليعنيوه . واستقر رأى المقيم اخيرا إلى انه يرى ان يفوض البريطانيون العثمانيين ليقنعوهم بأن آلبدع ووكره والعديد وغيرها من هذه المناطق هي مناطق مجدبة فقيرة لا تعود على الاتراك بنفع ولن تجلب لهم ربحا، ولكنها فى نفس الوقت تضايق سير التجارة البريطانية وتعوق السياسة البريطانية فى الخليج وعرف الشيوخ المهادون أنه لابد لهم من احترام تلك السياسة التى هى جزء من النظام التهادنى . غير أن هذه السياسة يمكن التدخل فيها من الجهات الاخرى بسهولة ويسر لتضع حداً للسيادة البريطانية فوق الخليج .

اشار السكريتر البريطانى فى مذكرته الحكومة الهندية إلى ضرورة تعديل الاتفاقات التى تربطهم وبالشيوخ المهادنين وغيرهم فى المنطقة وان تعاد صياغتها بطريقة تسمح بالتدخل البريطانى بشكل مباشر . وعموما فقد ارسلت حكومة الهند إلى المقيم فى الخليج لكى يعالج الوضع بما يراه مناسبا.

كتب المقيم فى يونيو ١٨٧٧م أيضا الى شيخ ابو ظبى ينهى اليه ان حكومة الهند قررت ارجاع منطقة العديد لتكون تحت سيادته . وأرسل الى حكومة الهند لترسل له بارجة حربية كبيرة لتعينه على إرجاع المنطقة لسيادة



شـــيخ أبو ظـبى ، واســـتــجــابت له حكومـــة الهند فــارسلت في مـــارس ١٨٧٨م/١٢٩٧هـ سفينة الحرب الملكية تسر Teaser الى بوشهر (٢١).

وقد أوصى المقيم فى الخليج العربى بأن تعاد صياغة الاتفاقات مع هؤلاء الشيوخ لأن الأمير السعودى وهو مسئول تركى يرى أن البحرين وأبو ظبى ودبى جزء من نجد وأضاف أن على الحكومة البريطانية أن تتخذ موقفا صارما حيال هذا الأمر (٢٢).

بريطانيا تقاوم المد الفارسى على أرض الساحل المهادن :

حاول الفرس فى النصف الثاني من عام ١٨٧٧م أن يتدخلوا فى سياسة الساحل وكان أمين سر السلطان هو قائد هذا الاتجاه لدى الحكومة الفارسية وقد وجد هذا الاتجاه قبولا لدى الحاج احمد خان نائب حاكم بوشهر ، وتحمسا من ملك التجار احد اثرياء بوشهر ، الذى كان يسيطر على الموانيء الفارسية ودخل جماركها فى ذلك الوقت . عرف روث Ross المقيم فى الخليج حنيذاك ان الحاج احمد خان يزمع زيادة أبو ظبى وبعض مشيخات الساحل العمانى وقد حجز له مكانا عى الباخرة كاديت Caddet التابعة للشركة التجارية لبومباى والخليج ، وأدرك روث خطورة هذه الرحلة ونبذ ان يكون الغرض من ورائها ، كما هو معلن ، زيارة مجاملة للأصدقاء فى تلك الارجاء.

وقد ارسل المقيم الى حكومة الهند بأنه يرى ان يقاوم النفوذ الفارسى فى المنطقة بفرض قيود اتفاقات جديدة على شيوخ الساحل المهادى واقتراح المقيم عقد اتفاق بمنع شيوخ الساحل المهادن من التعامل مع ممثلى الدول أو ايجاد نوع من الصلات مع اى قوى اجنبية ويمنع الشيوخ من ان يتصرفوا فى اي قطعة من أراضيهم الى وكلاء أى حكومة بغرض السكن فى المنطقة .



وقد اعقب ذلك توقيع تعهد غير متكافىء فى صيغة اتفاق يقطع على كل القوى كل أمل فى حيازة المنطقة أو اقامة علاقة بها لحماية تجارة بريطانيا على الخليج ، ووقع على هذا التعاهد شيوخ ابو ظبى ورأس الخيمة وعجمان وأم القوين والشارقة ودبى كل فى تاريخ يختلف عن الآخر ، ولعل أبرز ما جاء فى هذا التعهد (٢٣).

أ - أن الشيوخ لن يقيموا أى علاقات إلا مع الحكومة البريطانية.

ب - سوف لن يسمح الشيوخ المعنيون لوكيل أية دولة ان يسكن فى مناطقهم إلا بموافقة الحكومة البريطانية .

وبالرغم من ذلك فقد رأي المقيم البريطانى أن اتفاق ١٨٨٧ م غير كاف وانه يقيد هؤلاء الشيوخ فقط ولا يمتد إلى خلفائهم ووافقت حكومة الهند بموجب خطابها رقم ١ المؤرخ فى ٢٤ نوفمبر ١٨٩١م/١٣٠٩هـ على البنود التى اقترحها المقيم بعد تعديلها وقد وقع شيوخ أبو ظبى ودبى وعجمان والشارقة على هذا الاتفاق الذى عرف فيما بعد باسم الاتفاق المانع أو الابدى أو السرمدى وكانت بنوده تنص على مايلى :

أ - ألا يتدخل هؤلاء الشيوخ فى علاقات إلا مع الدولة البريطانية.

ب - الا يمنحون الاذن بالإقامة فى مناطقهم لممثلين لأى حكومة أخرى.

ج - إلا يتنازلوا بيعا أو رهنا أو هبة أو ايجارا بأى صورة من الصور عن أى قطعة أرض من أراضيهم لأى اجنبى إلا بموافقة الحكومة البريطانية.

د- أن يكون هذا الاتفاق مقيدا لهم ولورثتهم ومن يخلفهم .

وقد وافقت حكومة لندن على هذه الاجراءات بموجب خطابها الصادر إلى وزير الدولة لشئون الهند بالرغم ٢٧ - سرى - فى ٢٧ يوليو ١٨٩٢م/١٣١٠هـ.

وبهذا الاتفاق كما يؤكد الدكتور عبد العزيز عبد الغنى أن تم لبريطانية مطلق السيطرة فى التصرف فى مقدرات الساحل المهادن . وظل الاتفاق ورقة رابحة فى يد بريطانيا تقامر بها ضد كل الظروف المحلية والاقليمية والدولية.

الهوامش:

١- دكتور عبد العزيز عبد الغنى ابراهيم علاقة ساحل عمان ببريطانيا مطبوعات دار الملك عبد العزيز الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ص ٢٧٥-٣٠٢.

٢- (1.0) Kemball, S. H. E. in S. R. I. XXIV p. 511.

٣- (1.0) Loc. cit

٤- (1.0) Hennel, H. S. J. in S. R. I. XXIV.

٥- دكتور عبد العزيز عبد الغنى ، م. س. ذ.

٦- H. S. J. in S. R. I. XXIV

٧- المرجع نفسه نقل عن :

(P. R. O.) F. O. /78/343, Palmerstone to Campbell. 29 th Mov 1838.
(P. R. O.) F. O. /78/373, Campbell to Pamerstone 21, and 26 Jon 1939.

(P. R. O.) F. O. /1/220. Okland to wood enclosing notes of a cont between Admiral Sir F. Okland and Sheiks of the Persan Gulf between 22-30 April 1839.

٨- دكتور / جمال زكريا باسم الخليج العربى ١٨٤٠ - ١٩١٤ ص ٦٩.



٩-(1.0) Envlosure to Bobary Sec. letters, Vol. 14 Mvllah Hussain to Hennell, 3 Rabi, Gulf, 1255/17 May 1839.

١٠- المرجع نفسه نقلا عن :

(1.0) Kemball, H.S. W. in S. R. I. XXIV. p. 447

١١- المرجع نفسه نقلا عن :

(1.0) Enclosure to Bombay Sec. letters. Vol. 14, Hennellt ot Willoughby, 10 June 1839.

١٢- المرجع نقلا عن :

Abu Hakima, A. M. "Political" mnovment in Arabia and its impact on India In 19th Century India and the Arab World. ed S. M. Mohammed (new Delhi. Sept. 1969) p. 22.

١٣- المرجع نفسه نقلا عن :

(1.0) Hennellt. H. S. W. in S. R. I. XXIV p. 454.

١٤- دكتور صلاح العقاد. التيارات السياسية في الخليج العربي ص ١٨٣ - ١٨٤.

١٥- المرجع نفسه ص ١٣٧ .

١٦- دكتور عبد العزيز عبد الغني ، م. س. ذ. ص ٢٨٦-٢٨٧ .

١٧- المرجع نفسه نقلا عن :

(1.0) Mann (Major Clorence. C.) Abu Dhabi Birth of An Oil Sheikhdom (Beirut, 1969) p. 35-36

١٨- المرجع نفسه نقلا عن :

(1.0) Sec. letters and seclos. from india, Vol. 16 Grant to Ross 1873.

١٩- المرجع نفسه نقلا عن :

(1.0) Mann (Major Clorence) op. Cil. p. 55.

٢٠- المرجع نفسه نقلا عن :

(1.0) Pol. & Sec. Letters and Enclose. From India, vol. 7 got i Council to sec. of state for India & fed. 1876.

٢١- المرجع نفسه نقلا عن :

(1.0) Pol. & Sec. Letters and Enclos. From India, vol. 22 Lyt-ton S, Despatch on 22 May 1879 on Turkish Jurisdiction on the Ara-bian Coast.



الفصل الرابع

مسألة البوريمـــــى

إستعاد بنو خالد حكم الأماكن المطلة على ساحل الخليج العربى بعد القضاء على الدولة السعودية الأولى ، غير أن المناوشات سرعان ما بدأت بين الإمام تركى بن عبد الله وبين زعماء بنى خالد سنة ١٢٤١هـ ووصلت ذروتها سنة ١٢٤٥هـ حينما غزت القوات السعودية الإحساء ودارت إشتباكات عنيفة بين الجانبين حيث إنتصرت القوات السعودية وبايع كبار الإحساء (٢) الإمام تركى وخرجت الإحساء من حكم بنى خالد لتصبح جزءا من الدولة السعودية الثانية بعد أن بايعه أيضا زعماء القطيف كما وفد إليه زعماء رأس الخيمة مجددين ولاءهم له بعد أن إستقرت الأحوال فى المنطقة الشرقية، والواقع أن هؤلاء الزعماء ظلوا على ولائهم لآل سعود فى محنتهم إبان فترة حكم محمد على ، وقد أرسل الإمام تركى حملة قوية (٣) إلى عمان سنة ١٢٤٨هـ وإضطر سلطان عمان إلى إظهار المودة ووصل نفوذ آل سعود مرة أخرى إلى جهات عمان ، وكان لذلك تأثيره على العلاقات السعودية البحرينية حين كان آل خليفة يحكمون البحرين وجزءاً كبيراً من قطر ، وقد إعترف آل خليفة بولائهم للإمام تركى على أن يساعدهم فى مواجهة أى عدوان ضد البحرين (٤).

ويذكر العثيمين (٥) أن هذا الإتفاق لم يستمر حتى نهاية عهد الإمام تركى ، فقد إنتهز آل خليفة فرصة الخلافات التى قامت فى القطيف وأغروا بعض رجال بنى خالد للثورة ضد الإمام تركى حيث توجه نجله فيصل بن تركى إلى القطيف للقضاء على هذا التآمر ، غير أن أخبار إغتيال أبيه فى الرياض (٦) جعلته ينسحب عائدا إلى الرياض ، والواقع أن الإمام فيصل قد بذل جهداً كبيراً للوصول إلى عديد من الإتفاقيات مع إمارات الخليج ، كذلك

سارت سياسته الإقليمية تنهج الحلول السليمة تارة والمناوشات الحربية تارة أخرى ، وكان يأخذ فى الإعتبار ضرورة التفاهم مع كل من الدولة العثمانية وبريطانيا، وهما القوتان اللتان كانتا تشكلان أهمية فى منطقة الخليج العربى فى هذه الفترة ، وهو مايحتاج إلى تفسير غير قليل.

يلاحظ الباحثون أن المصادر التاريخية لم تهتم بالعلاقة بين الإمام فيصل بن تركى وبين الكويت ، فى حين كانت العلاقات مع البحرين سارت على نهج سلفه الإمام تركى بن عبد الله من حيث التوصل إلى إتفاق يدفع بموجبه آل خليفة الزكاة إلى الإمام فيصل وأن يساعدهم الإمام فيصل فى مواجهة أى عدوان خارجى، غير أن العلاقات مع البحرين كانت تسير فى منحنى متذبذب من التقليات، فأحيانا يسود الوفاق وأحيانا أخرى تتوتر العلاقات وقد يتطور الأمر إلى المناوشات العسكرية أو التهديد بالغزو ، وكان التدخل البريطانى ذا تأثير على العلاقات بين الإمام فيصل وآل خليفة ، وتفسير ذلك أن بريطانيا كانت تقف بجوار حاكم البحرين وذلك وفق مصالحها فى الخليج العربى ، وعلى العكس من علاقاته بالكويت والبحرين ، فقد نجح الإمام فيصل فى مد نفوذه إلى جهات عمان حتى كادت سيادته تصل إلى مسقط وصحار ، ومرة أخرى تحركت بريطانيا ضد الإمام فيصل ، إلا أن حاكمى هاتين المدينتين كانا يدفعان الزكاة إلى ال سعود، ومن المرجح أن الإمام فيصل بن تركى قد وافق على تبعيته - كما ترى (٧) المصادر - للدولة العثمانية - أسميا على الأقل - ويرى أحد الباحثين الغربيين (٨) أن الإمام فيصل قد ذكر فى إحدى رسائله إلى المقيم البريطانى فى الخليج أنه تابع للسلطان العثمانى ، وأن والى بغداد ممثلا للدولة العثمانية قد إحتج على بريطانيا لإعتدائها على أراضى الإمام فيصل (٩) .

وكان موقف بريطانيا من الإمام فيصل يسير وفق تحقيق مصالحها فى

الخليج العربى حيث كانت تعارض بشدة أية دولة قوية تحاول مد نفوذها فى الخليج وساحل عمان، وقد حدث ذلك مع الدولة السعودية نفسها حيث كانت بريطانيا تقف ضدها ، ثم عارضت محمد على لدى وصول قواته إلى ساحل الخليج العربى ، وفيما يتعلق بالامام فيصل بن تركى فقد سبقت الإشارة إلى رغبته فى إقامة علاقات ودية مع بريطانيا على غرار تلك العلاقات التى كانت قائمة مع أبيه ، غير أن القوات السعودية حينما توغلت فى عمان ، فقد وقفت السياسة البريطانية للحيلولة دون إستيلاء الإمام فيصل على مدينتى مسقط وصحار ، فضلا عن أن بريطانيا قد شجعت حاكم البحرين ضد أية محاولة من جانب الإمام فيصل لغزو بلاده (١٠).

وسواء تعلق الأمر بالدولة السعودية الأولى أو الدولة السعودية الثانية فهناك حقيقة تاريخية ثابتة يمكن إيجازها فى عمق العلاقات بين العربية السعودية والمشيخات الساحلية التى تشمل قطر والإمارات وسلطنة مسقط وعمان وفى إطار هذه الحقيقة التى تشير إليها المصادر السعودية فإن أمور الخليج العربى كانت تستأثر دائما بإهتمام آل سعود وقد سبقت الإشارة إلى جهود الإمام تركى بن عبد الله بن سعود والذى أرسل فى سنة ١٢٤٤هـ أحد قادته - عمر بن محمد عفيصان - أميرا على البريمى ، وأحد علماء الدين الإسلامى - الشيخ محمد بن عبد العزيز العوسجى - قاضيا ، وقد وفد أكثر أهل عمان لمبايعة الإمام تركى على السمع والطاعة والواقع أن واحة البريمى هى إحدى واحتين (١١) عند الطرف الشرقى وعلى سفوح جبال الحجر الغربى التى تمتد فى عمان فى شكل إنحناء جنوبى شرقى من شبه جزيرة مسندم على طول الطرف الشرقى من شبه الجزيرة العربية وحتى المحيط الهندى . وتمتد منطقتها (١٢) من قاعدة شبه جزيرة قطر غربا ، وشرقا بين ساحل



الخليج والربع الخالى حتى واحة البريمى نفسها ، ويذكر المؤرخ العمانى سليل بن روزيق أن الحد القديم لواحة البريمى يمتد فى المنطقة التى تقع من صحراء الجفورة فى سنة ١٨٠٠م من خلال إمتداد الدعوة الإصلاحية السلفية للإمام محمد بن عبد الوهاب الذى ذاع صيته فى أواسط الجزيرة العربية فى القرن الثامن عشر تحت زعامة آل سعود .

وبالرغم من أن الباحثين الغربيين وأبرزهم سانت جون فيليبى كان معظمهم غير منصفين فى وصف الإلتحام الدينى والعسكرى وأهداف هذه الدعوة النبيلة ، فإنهم يعترفون فى النهاية بإنتشار مبادىء هذه الدعوة طبقا لتعاليم القرآن الكريم وراء حدود نجد حيث تم إستيلاء آل سعود على مناطق الإحساء الواقعة عى طول ساحل الخليج . ولما كان ضغطهم قد إنشغل بعد عام ١٨٠٣م فى الحجاز فإن عمان ظلت بعيدة عن هذا الضغط حتى ١٨٠٨م حيث أوفد آل سعود فى نهاية العام مطلق المطيرى إلى البريمى ، وفى عام ١٨١٢م. أرسلوا أميراً جديداً هو عبد العزيز بن غرردنة إلى البريمى ليحل محل المطيرى ، ثم إنتهى حكم آل سعود للبريمى فى عام ١٨١٩م حيث كان الإهتمام البريطانى بالخليج أخذا فى التعاظم منذ مستهل القرن التاسع عشر ، كما سبقت الإشارة من خلال بداية جهود شركة الهند الشرقية تجارتها مع الدولة الفارسية فى حين إختفى الحظر الفرنسى على الشرق فى عام ١٨١٠م وأصبح شيخ أبى ظبى مسئولا عن الساحل الممتد من دبى غربا إلى قطر ، وكثيراً ما كان المقيم البريطانى يستفسر منه عن جدوى أعمال «القرصنة» وظهر نظام التصالح إلى حيز الوجود فى ساحل الخليج العربى ، وظلت الهدنة البحرية تتجدد سنويا كما سبقت الإشارة حتى عام ١٨٤٣ وعندما تم التوقيع على هدنة لمدة عشر سنوات ، وقعت فى نهايتها معاهدة دائمة للسلام البحرى

تتولى الحكومة البريطانية مراقبتها ووضعها موضع التنفيذ ، وأصبح ساحل القراصنة يحمل بعد هذا التاريخ اسم «الساحل المتصالح».

كان الإمام تركى بن عبد الله آل سعود قد تمكن من نشر الدعوة الإصلاحية فى شرق الجزيرة العربية ما بين عامين ١٨٢٤-١٨٣٤م ، حيث إستطاع فى السنة الأولى إخراج الحامية المصرية من الرياض وجعل منها عاصمة نجد الجديدة ، وإستعاد الأحساء فى عام ١٨٣٠م ثم إتجه إهتمامه إلى الشرق والجنوب الشرقى بإتجاه البحرين وقطر وعمان ، ويبدو أن الأوضاع المضطربة (١٣) فى الساحل المتصالح قد أبرزت الدور المتعاظم لآل سعود، وقد أصدر الإمام تركى أوامره فى أواخر عام ١٨٣٢م إلى حاكم الإحساء عمر بن حفيصان - والذى كان قد أغار على البريمى فى عام ١٨٢٨ - بالزحف ثانية على الواحة والإستيلاء عليها وإقامة حامية دائمة فيها ، وبالفعل وصل عمر بن حفيصان إلى البريمى ووجه طلبا إلى سلطان مسقط - سعيد بن سلطان - بضرورة دفع الزكاة وخضع السلطان ، وظل السعوديون الموحدون على براعتهم فى إستقطاب القبائل العربية فى شمال عمان والساحل المتصالح وقد إنعكست هذه المهارة على قدرتهم فى الإحتفاظ بواحة البريمى طيلة الست سنوات التالية ، وكتب وكيل المقيم البريطانى فى الشارقة فى سنة ١٨٣٤م يصف مهارة آل سعود قائلا : «يخلص أهل رأس الخيمة لقائد الحامية السعودية» (١٤).

وفى إطار المحاولات البريطانية للسيطرة الكاملة على ساحل عمان والبوريمى ، فإن أول بريطانى وصل إلى البريمى وهو هاملتون من وزارة الهند، حيث حاول تأليب القبائل العربية على آل سعود من ناحية وعلى خورشيد باشا القائد المصرى للحملة المصرية من ناحية ثانية ، وقد نجحت السياسة البريطانية فى جعل السيطرة على واحة البوريمى مجزأة بعد عام



١٨٤٠م بين بنى نعيم وأمير أبى ظبى - خليفة بن شخبوط - وفى يونيو فى ١٨٤٣ م تسلم الأمير فيصل بن تركى زمام الأمور بعد عودته من أسره فى القاهرة، وتصف المصادر الأمير فيصل بأنه أعظم حكام آل سعود فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، فمن ناحية أعلن عن عزمه إعادة فرض سيطرة آل سعود على جميع الأماكن التى كانت قائمة من قبل، ومن ناحية أخرى فقد أوفد مبعوثا إلى البوريمى وكانت مناوئة بريطانيا لجهوده مما جل القبائل وحكام عمان الشمالية يخشون من إحتمال قيامه بإعادة إحتلال البريمى، وإذا ما أضفناعوامل دولية وإقليمة أخرى (١٥) فإن هذا يفسر أسباب مناوئة السياسة البريطانية للسياسة السعودية فى عمان وواحة البريمى على وجه الخصوص ، وهو ماجعل قبائل عمان الشمالية تنظر بحسد إلى طموحات آل سعود، وأنذلك قد حمل - كما تذكر الروايات البريطانية(١٦) - الكراهية تجاه النائب السعودى - يعد بن مطلق - والذى كانت "سوء معاملته" - على حد وصف هذه الروايات - سببا فى إثارة قبائل عمان الشمالية وسواحلها عليه، بل والإنضمام إلى صفوف معارضيه حتى أصبح موقفه حرجاً وخاصة أن الأمير فيصل بن تركى - كما تزمع المصادر البريطانية - قد وصلته أنباء أن - نائبه سعد بن مطلق قد إحتفظ لنفسه بجزء كبير من المال الذى جمعه، وقد فكر سعد فى المضى لى نجد لتبديد الوشايات والإشاعات لدى الأمير فيصل وتحدد يوم سفره من البريمى لولا وصول مبعوثين من الأمير فيصل بن تركى تحثه على تثبيت مركزه فى البريمى وإرسال مايمكنه من المال إلى نجد دون إبطاء غير أنه فى أواخر عام ١٨٤٧م تم إستدعاء سعد إلى نجد ليوضح أسباب تدهور الأوضاع على حدود عمان وهو ماجعل موقف آل سعود فى البوريمى حرجا، وقد حاول نائبه فى البريمى فض المنازعات والعواطف الثائرة لدى القبائل المجاورة بالوسائل السليمة للحفاظ على "الحد المعقول من السلطة التى كان لايزال قادراً على ممارستها فى البوريمى"(١٧)

إستمرت سياسة الدولة السعودية الثانية تجاه واحة البوريمى تتسم بمحاولة تحقيق التضامن مع القبائل غير أن العلاقات بين آل سعود وقبائل الساحل العربى قد قوبلت بعزوف بريطانيا عن تأييد هذه السياسة ، وقد تعرضت المصادر البريطانية إلى ذلك فى تفصيل غير قليل محاولة تبرير السياسة البريطانية بالنزاع بين القبائل التى أرادت أن «تحافظ - وفى فترات ذروة فوق الدعوة السلفية على إستقلالها ورفضت أن تدفع الزكاة التى يطلبها الزعيم السعودى (١٨) ، والواقع أن السياسة البريطانية كانت دوافعها تحقيق مصالحها فى السيطرة عن الخليج العربى وإحباط أى محاولة لتفوق أى قوة إقليمية والتى كانت تتمثل وقتئذ فى قوة الإمام فيصل بن تركى وحكمته وهو ما إعترف به صراحة المسئولون البريطانيون ، وأن فتنة ١٨٤٥-١٨٤٨م تتسم فيها واحة البوريمى بالنسبة للمصادر السعودية بأن الواحة لم تكن مجرد مركز أمامى وبسيط للحدود فيه حاميات من الفاتحين فى بلاد أجنبية، وإنما كانت جزءاً لا يتجزأ من الدولة السعودية ، لها مركز إقليمى كامل المكانة ١٩).

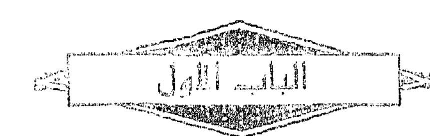
وقد إستخدم الإمام فيصل بن تركى مهارته السياسية فى محاولات إستقطاب قبائل ساحل عمان بدءاً بمطالبة المقيم البريطانى فى الخليج لتأييد نائبه فى البوريمى ولمنع القبائل هناك من التدخل فى مرور المؤن بطريق البحر إليه فى نجد والإحساء (٢٠) ، بالإضافة إلى مطالبته شريف مكة - محمد بن عون - والذى تجاوب مع موقف الإمام فيصل بن تركى، وإنعكس ذلك على إيفاده مبعوثا إلى المقيم البريطانى فى الخليج فى شهر مارس ١٨٤٩ يحمل رسالة ودية جاء فيها (٢٢) : « أرجو أن أبلغك أن فيصل بن سعود من رعايا السلطان العثمانى ، وإن له حصونا فى عمان كما لا يخفى عليك ، وأن



البوسعيد وسعيد بن طحنون قد أخرجاه منها ، وهو يدفع إلى خزانة السلطان العثمانى سبعة عشر ألف ريال ».

«وأنه قد أحال الامر لى ، بعد أن نقل إلى أبناء الاعمال العدائية التى يشنها على ابن طحنون والبوسعيد » . وذكر أن ابن طحنون يقيم فى جزيرة فى البحر وليست لديه وسائل للوصول إليه ، واستطرد محمد عبد عوف مخاطبا المقيم البريطانى قائلا أن ابن السعود - يعتب على الامام فيصل بن تركى من رعايا السلطان ، ولكى أمل لذلك أنك لن تسمح بمعارضته ولقد أثرت أن لا أطيل رسالتى الموجهة إليك نظرا لأنك لا تعرف اللسان العربى معرفة تامة ..»

وفى إبريل ١٨٤٩ كتب الامير فيصل إلى المقيم البريطانى فى الخليج يطلب إليه أن يحول دون تمرد سعيد بن طحنون بشأن إثارته للقلاقل تجاه النائب السعودى فى البوريمى . غير أن ابن طحنون استمر فى مناوئته للحامية السعودية بمساعدة قبائل المناصير والمزاريع والبوشميس ، وبالرغم من ذلك فقد تمكن الامام فيصل من الوصول بنفسه إلى حدود قطر فى نهاية عام ١٨٤٩م على رأس قوة كبيرة كان قد أعدها فى الاصل لغزو البحرين، ومن الأرجح أنه لم يكن راغبا فى الزحف على ساحل عمان، واكتفى بالاشارة إلى دور زعيم القاسميين سعيد بن طحنون فى سقوط البوريمى وأنه سيحاسبه على ذلك وواجه الامام فيصل صعوبات فى فرض سيطرته على شرق الجزيرة العربية نظراً لأنه واجه ائتلاف بنى ياس والقواسم ضده ، فضلا عن أن المقيم البريطانى فى البحرين كان يعمل هو الاخر على إضعاف القوة السعودية الصاعدة ، ومع ذلك فقد تمكن فيصل من التوصيل إلى تسوية مع شيخ البحرين (٢٣).



وفى أوائل سنة ١٨٥١ شعر فيصل بقدرته على القيام بمحاولة جديدة لاستعادة البوريمى ، وأرسال ابنه عبد الله على رأس قوة كبيرة باتجاه الجنوب من الاحساء، ووصل عبد الله إلى البوريمى فى فبراير ١٨٥١ م ووجه تعليماته إلى جميع شيوخ الساحل للمجيء إليه ، وأوضح أنه جاء ليصحح الأخطاء التى عانى منها شيوخ عمان ، وبالرغم من أن الباحثين الأوربيين غيرمنصفين (٢٤) فى تحليل أحداث هذه الفترة والدوافع التى قام فيصل من أجلها بارسال ولده عبد الله لاستعادة البوريمى إلا أنهم يعترفو ن جميعاً بحكمة الإمام فيصل وقدراته القيادية التى استقطبت شيوخ عمان، وبالطبع فقد جاء رد فعل بريطانيا ليحقق مصالحها فى المنطقة بالدرجة الاولى من خلال تأديب شيوخ الساحل الأخرين وهو ما قام به المقيم السياسى البريطانى J.B.Kambel والذى بادر بإجراء مفاوضات خاصة لابرام معاهدة سلام بحرى مع شيوخ «المتصالحين» كما أمر طرادين بريطانيين بالقيام بأعمال الدوريات على ساحل الامارات المتصالحة فى مواجهة القوات السعودية التى تمكنت من الوصول إلى اتفاق يقضى بأن يدفع سلطان مسقط اثنى عشر ألف ريال، وتذكر المصادر أن هذا الاتفاق قد اتسم بالروعة لخلوه من القسوة ، ويصف ابن بشر المؤرخ السعودى الذائع الصيت ذلك قائلا: بأن أداء الزكاة على هذا الوضع كان يتم بصدق وايمان فى الدولة السعودية فى نفس الوقت الذى كانت تجبى فيها العائدات التى تحمل احيانا اسم الزكاة من مشيخات ساحل الخليج (٢٥).

دفع الزكاة كل من سلطات مسقط وشيخ البحرين والبونعيم والقواسم لآل سعود، وقد قبلت السياسة البريطانية ذلك نظراً لتفوق القوة السعودية، ومن ناحية أخرى فإن بريطانيا لم تكن تريد الاعتراف بأى سيادة سعودية على مشيخات الخليج العربى وقد أوضح المقيم البريطانى فى الخليج لحكومته أنه

يرى أن من مصلحة الحفاظ على السلام البحرى فى الخليج أن يواصل شيوخ الخليج دفع الزكاة للإمام فيصل ، غير أن حاكم البحرين توقف عن الدفع، فتحرك فيصل لمهاجمة البحرين فى عام١٨٥٤م ولكن التدخل البريطانى جعل الطرفين يتفقان بأن يكون هذا الجزء من الزكاة بمثابة ضريبة عن أملاك اللاجئين فى مدينة الدمام، وتجدر الاشارة أن الامير فيصل كان يؤكد تبعيته دوما للدولة العثمانية، وقد بعث فى ١٤ يناير ١٨٥٥ م إلى المقيم البريطانى فى الخليج قائلا « لما كنت من اتباع الباب العالى ، فإن لدى التأكيد الكافى من السلطان بأن لى سلطتى على العرب جميعاً (٢٦) ، وكان هذا بمثابة تأكيد برؤية سيادة الإمام فيصل على البحرين وساحل عمان، وقد كتب فيصل إلى المقيم البريطانى قائلا : «إننى لا استطيع أن أفهم السبب فى معارة الحكومة البريطانية . . . طالما هناك تفاهم قائم بين وبين الحكومة البريطانية على البلاد التابعة لى والممتدة من عمان إلى الكويت والتى تنفى عنكم الحق فى ممارسة أى إشراف عليها أو التدخل فى أى شكل من الأشكال فى شئونها » (٢٧).

وقد حاول الإمام فيصل فى مناسبات عديدة أن يؤكد سيادته على ساحل عمان سواء تعلق الأمر بتبعيته للامبراطورية العثمانية أو بمحاولاته (٢٨). إقامة علاقات ودية مع بريطانيا وأن اعمال نائبه فى البوريمى موجهة دائما إلى منع قبائل الداخل من الاعتداء على القبائل المقيمة على الساحل، وأن أى مشكلات تثور بين القبائل فإن حلها يكون «من خلال نائبه فى عمان الذى يمثل مركزه هناك ما يرضى الله والرسول والسلطان أمير المؤمنين ، أعز الله به الإسلام» (٢٩) .

ويحاول الباحثون الغربيون المحدثون غير المنصفين تجاه العرب تفسير هذه الأحداث من أن الإمام فيصل بن تركى كان من رعايا الدولة العمثانية فى

تواجد آل سعود فى عمان وأن هذا «الإحتلال» - من وجهة (ـ٩٣٠ نظرهم - كان «إحتلال عثمانيا» ، وأن النتيجة المستخلصة - من وجهة النظر هذه - هى أن «أية حقوق سيادية تحققت لآل سعود قد إنتهت بزوال الدولة العثمانية(٣١).

وقد إتسمت الفترة ١٨٥٣-١٨٦٥م بتثبيت الإمام فيصل بن تركى لسلطاته فى البوريمى والإحساء ونجد بالإضافة إلى المنطقة الجنوبية الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، كما ساعدت الظروف المحلية والإقليمية (٣٢) جهود الإمام فيصل فى تدعيم سيادته على البوريمى بصفة خاصة بالإضافة إلى مناطق عديدة تقع داخل عمان (٣٣) ، غير أنه بحلول عام ١٨٦٥م إشتدت الغارات عى الحامية السعودية فى البوريمى من جانب البورسعيديين من قبائل عمان وصحار الذين بثوا الرعب فى نفوس سكان الساحل، وهو ما إضطر القوات السعودية بالتدخل بشن غارات مضادة ، وقد إنتهز المقيم البريطانى فى الخليج لويس بيلى هذه الفرصة ليبعث برسالة إلى الإمام فيصل بأن بريطانيا ستقوم بأعمال تأديبية فى موانى ساحل الإحساء التى تقع تحت السيادة الفعلية لآل سعود، وقد وصلت هذه الرسالة للإمام وهو يحتضر على فراش الموت فى ديسمبر ١٨٦٥م ، وبدأت بعدها عمليات قصف غير فعالة لمدينة الدمام (٣٤).

خلف الأمير عبدالله والده الإمام فيصل بن تركى وقد سار على نهجه حيث كان راغبا فى التفاهم مع بريطانيا حتى يتحقق التوازن والإستقرار بما يحقق المصلحة المشتركة ، وتذكر المصادر أن الإمام عبد الله بن فيصل كان يعتبر نفسه من رعايا الإمبراطورية (٣٥) العثمانية وكان لجهود الأمير عبد الله بن فيصل أثرها فى إبرام سلسلة من الإتفاقيات التعاهدية مع الحكومة البريطانية ، وقد شملت هذه الإتفاقيات سلطنة مسقط وإمارة البحرين والإمارات المتصالحة وتركزت حول عدم الحاق أى أضرار بالرعايا البريطانيين

المقيمين فى الأراضى الواقعة تحت سيطرة عبد الله بن فيصل وعدم مهاجمة أراضى القبائل المتحالفة مع الحكومة البريطانية التى كانت تدعى أنها تدافع عن إستقلال إمارات الساحل فى شرق الجزيرة العربية ففى مواجهة الدولة الفارسية والدولة العثمانية بالإضافة إلى مطالب (٣٦) آل سعود بضرورة إستمرار دول الساحل فى دفع الزكاة إلى الإمام عبد الله ، حتى أن المقيم البريطانى فى الخليج طلب من شيخ البحرين بإستمرار دفع الزكاة إلى الأمير السعودى بإعتبار أنها تؤدى إلى تحقيق السلام على الساحل العربى» (٣٧).

وقد إستمرت جهود الإمام عبد الله بن فيصل الرامية إلى جمع القبائل الموالية له وجمع مشايخ الساحل حوله وقام نائبه فى البوريمى تركى السديرى برحلة إلى الشارقة لهذا الهدف غير أنه قتل هناك فى إبريل ١٨٦٩ وقد إعتبره سكان الشارقة بالرغم من ذلك «بمثابة الشخص الذى نشر السعادة وأن المنطقة حرمت من زعيم ظل يعمل دون كلل طيلة سنتين للقضاء على الخلافات المستمرة فى دبى والشارقة» (٣٨) وأعقب ذلك مزيد من الغارات والغارات المضادة على ساحل عمان من جانب القبائل الساحلية ، ومع ذلك فقد ظل الإمام عبد الله بن فيصل القائد الذى تهاب شخصيته من جانب القبائل الساحلية ، غير أن السعوديين بدأ شأنهم يضعف تدريجيا فى الخليج العربى ٣٩.) بسبب الخلافات العائلية التى إشتدت بين الإمام عبد الله بن فيصل وشقيقه سعود بن فيصل فأنقسمت نجد إلى قسمين مما أدى فى النهاية إلى التدخل السافر من كل من بريطانيا والدولة العثمانية لتعميق هذه الخلافات ، وبالرغم من ذلك فقد وصلت قوة (٤٠) سعودية صغيرة إلى البوريمى فى سنة ١٨٧١م ومكثت سنتين ، وإنقضت أكثر من خمسين سنة بعد هذا التاريخ قبل أن يتمكن آل سعود من الظهور فى البوريمى .



الهوامش:

١- بدأت الدولة السعودية الثانية بوصول الإمام تركى بن عبد الله إلى بلدة عِرقَه (بكسر العين وسكون وفتح القاف) ، وهى من قرى إمارة الرياض فى سنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٣م ، وتجمع حول الإمام تركى أمراء الوسم وجلاجل وسدير، ثم سار إلى الرياض ومنفوحة، وهناك تمت المواجهة مع جنود الجيش المصرى وبعد إستقراره فى عنيزة بالقصيم واجه تمرداً من سكانها فسار إلى المدينة المنورة ، ثم إستولى على ضرما وثادق وبايعه أهل الزلفى ومريملاء، وفى سنة ١٢٤٠هـ/١٨٢٥م تمكن من دخول الرياض راجع ، عثمان بن بشر - عنوان المجلد فى تاريخ نجد ، مصدر سابق ، الجزء الثانى .

٢- المصدر نفسه ، وراجع أيضا حمد الجاسر، المعجم الجغرافى للبلاد السعودية ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، بدون تاريخ نشر.

٣- وكان قائد هذه الحملة عمر بن عفيصان .

٤- راجع فى تفاصيل ذلك :

Winder, B. B., Saudi Arabia in the Nineteenth century, New York, 1965, p. 81.

٥- الدكتور عبد الله صالح العثيمين ، مرجع سابق ، ص ٢٢١.

٦- عثمان بن عبد الله بن بشر ، عنوان المجلد ، الجزء الثانى مصرد سابق ، ص ٦١ .

٧- الدكتور عبدالله صالح العثيمين ، مرجع سابق ، ص ٢٧٤.

٨- Winter, Op. Cit., pp. 1759-1799, 205-7.

٩- لمزيد من التفاصيل حول علاقة الإمام فيصل بن تركى بالدولة العثمانية راجع:

دكتور عبد الفتاح أبو عيلة ، الدولة السعودية الثانية ، الرياض، ١٣٩٤ هـ من ص ١٤٥-١٥٤.

وتجدر الإشارة أن الإمام فيصل كان يدفع مبلغا سنويا من المال للدولة العثمانية رمزاً لتبعيته لها، غير أن ذلك كان خاضعاً للظروف المحيطة به، ويذكر العثيميين أنه من المرجح أن الإمام فيصل لم يدفع ما كان عليه أن يدفعه خلال العقد الثامن من القرن الثالث عشر الهجرى نظراً للازمات التى تعرضت لها سلطة الدولة العثمانية فى غرب الجزيرة العربية ، راجع : الدكتور عبد الله صالح العثيميين ، ص ٢٧٥.

١٠- المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

١١- أما الواحة الثانية فهي واحة ليوا .

١٢ . أى المنطقة التى تقع فيها واحة البوريمى.

١٣- حيث كان بنوياس وَالقواسم يخوضون صراعا على السلطة وفى عمان كان أحد أمراء البورسعيديين يحاول الإطاحة بالسلطان الحاكم.

١٤- وتجدر الإشارة أن معظم ماكتبه المقيم البريطانى فى الشارقة عن قائد الحامية السعودية فى الشارقة - محمد بن عبد العزيز - ومعاملته أهل الشارقة . . . كانت هذه الكتابات غير منصفة فلم يكن أل سعود قط تقوم سياستهم على إستثارة المنافسات والمنازعات بين شيوخ أبى ظبى ، وإنما نبعت العقيدة السعودية من العقيدة الإسلامية وهو مايفسر إستقطاب أل سعود لإقليم عمان «الباحث».

١٥- وقد تفاعلت العوامل الإقليمية والدولية والتى أضافت أبعاداً جديدة فى مواجهة السياسة السعودية تجاه البوريمى، من ناحية فى شروع مصر فى الإنسحاب من نجد صيف عام ١٨٤٠م ، وجاء إنسحاب مصر كليا من شبه الجزيرة العربية كشرط أساسى فى إتفاق الإسكندرية فى نوفمبر /ديمسبر ١٨٤٠م وفى التسوية العامة للمسألة الشرقية فى مؤتمر لندن لعام ١٨٤١م وقيل أن خالد بن سعود حاكم نجد الذى تم تعيينه من قبل مصر قد فكر فى أكتوبر ١٨٤١م بشن حملة على ساحل عمان، غير أن أفكاره هذه لم تتبلور قط

لأن المقيم البريطاني في الخليج قام بتحذيره ، وعموما فقد أطاح الأمير عبد الله بن ثنيان بالأمير خالد في عام ١٨٤١ ، وعندما أعلن عبد الله بن ثنيان عن عزمه لإعادة إحتلال واحة البوريمي، فقد أدعى شيوخ البوريمي أنهم على علاقة حماية ببريطانيا أملا منهم أن يبعدوا عبد الله بن ثنيان عن إحتلال البوريمي، وفي يونيو ١٨٤٣م تسلم الأمير فيصل بن تركي زمام الأمور .

١٦- ولا ينتظر أن تكون هذه الروايات منصفة تجاه العرب «الباحث».

١٧- المذكرة البريطانية - الجزء الثاني - الملحق ب - رقم ١٠- من هينيل إلى السكرتير العام في بومباي في ٩ سبتمبر ١٨٤٧.

١٨- المذكرة البريطانية - الجزء الثاني - الملحق ب - رقم ٤ - من هينيل إلى السكرتير العام في بومباي في ٧ مايو ١٨٣٩.

١٩- نص المذكرة السعودية بهذا الخصوص ، الجزء الأول ، الفصل الرابع، الفقرة ١٦٤ ، وبالطبع فإن وجهة النظر البريطانية قد عارضت ذلك بهدف تحقيق المصالح البريطانية في السيطرة على ساحل الخليج عموما في هذه الفترة .

٢٠- من فيصل إلى الرائد هينيل في ٣٠ محرم ١٢٦٥/٢٧ ديسمبر ١٨٤٨م.

٢١- من محمد بن عون إلى المقيم البريطاني في الخليج في ١١ ذي القعدة ١٢٦٤/٩ أكتوبر ١٨٤٨.

٢٢- من فيصل إلى هينيل بتاريخ ١٥ جمادى الأولى / ٩ إبريل ١٨٤٩م.

٢٣- من الملا حسين إلى هينيل في ٩ إبريل ١٨٥١ حيث كان الملا حسين شاهدا على هذه التسوية .

٢٤- وتذكر المصادر الغربية روايات غير منصفة بهذا الشأن، حيث كان سلطان مسقط «البورسعيدي » بعيداً في زنجبار ، وكانولده «ثويني» نائبه في عمان يتسم بضعف

حيويته وأدراكه للأمور فضلا عن عجزه عن إبداء أية مقاومة لعبد الله بن فيصل، وكان هذا العجز دافعا لسعيد بن طحنون لتولى الأمر القيادى فى مواجهة قوات الإمام فيصل ، وترى هذه المصادر الفضل للقيم البريطانى J.B.Kambel فى إجراء المفاوضات التى وصف سعيد بن طحنون نتيجتها بأن «الثمن كان غاليا» وهو ما يدل دلالة قاطعة على نجاح السياسة السعودية للأمير فيصل بن تركى «الباحث» .

٢٥- عثمان بن بشر «عنوان المجلد فى تاريخ نجد ، مصدر سابق ، الجزء الثانى .

٢٦- من فيصل إلى كيمبل فى ٢٤ ربيع الثانى ١٢٧١ الموافق ١٤ يناير ١٨٥٥.

٢٧- من فيصل إلى كيمبل - سوى رقم ٦٦ - بتاريخ ٣١ يناير ١٨٥٥ .

٢٨- ويذكر كيلى أن الإمام فيصل قد أدعى وجود إتفاق بين بريطانيا وبين آل سعود لمدة مائة عام للحفاظ على السلام فى البحر « » راجع: ج. ب. كيلى ، تعريب خيرى حماد، الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، نوفمبر ١٩٦٩ ، والواقع أن ماذكره كيلى بهذه الطريقة لا يعدو أن يكون تشويها للحقائق وتحقيقا لمصلحة بريطانيا بالدرجة الأولى «الباحث».

٢٩- من فيصل إلى كيمبل فى ٢٤ ربيع الثانى ١٢٧١ هـ.

٣٠- كيلى ، مرجع سابق ، ص ١٢٥ وقد سبقت الإشارة إلى أن هذا الباحث غير منصف لوجهة النظر السعودية فى عرضه لهذه الأحداث «الباحث».

٣١- ويذكر كيلى أن إحدى الرسائل المرسلة من والى بغداد إلى قنصل بريطانيا العام فى سنة ١٨٦١ تشير إلى أن «فيصل بك هو قائمقام نجد»، من أحمد توفيق باشا إلى كيمبل فى ٢٥ جمادى الأولى ١٢٧١هـ الموافق ٢٩ نوفمبر ١٨٦١ ، ويدعى كيمبل أن الإمام فيصل قد تحدث عن معاهداته مع السلطان عبد الحميد فى رسالة المقيم البريطانى فى عام ١٨٥١، « من فيصل إلى جونز فى ٧ ربيع الثانى ١٢٧٦ هـ.

٣٢- كيلى ، مرجع سابق، ص ١٢٥ ، والملاحظ أن هذا الباحث يشوه الحقائق أو غير متفهم للطبيعة القبائلية فى شبه الجزيرة العربية فى هذه الفترة حيث يسمى التواجد السعودى فى البوريمى بـ «الإحتلال» وكرر عن عمد هذا اللفظ بإستمرار فى عرضه لسياق الأحداث (الباحث) .

٣٣- فمن ناحية توفى شريف مكة «محمد بن عون» فى سنة ١٨٥٨ ، كما أن حزم الأمير تركى بن فيصل جعله يتغلب على كل معارضة متبقية من قبائل نجد والإحساء ، ومن ناحية أخرى فقد ساعدته الإطاحة بسعيد بن طحنون شيخ أبى ظبى فى عام ١٨٥٥ ، وهو من أشد المعارضين لآل سعود فى الجنوب الشرقى لشبه الجزيرة العربية ، ثم إنقسام سلطنة مسقط بعد موت سعيد بن سلطان، وهذه العوامل المحلية والإقليمية كانت بمثابة عوامل مساعدة للإمام فيصل بن تركى فى مد نفوذ آل سعود على مساحات شاسعة فى شبه الجزيرة العربية والخليج العربى .

راجع فى تفصيل ذلك : لوريمر ، مرجع سابق، المجلد الأول ، من ص ١١٠٨-١١١٠.

٣٤- من فيصل إلى كيمبل فى ٢٤ ربيع الثانى ١٢٧٢هـ/الموافق ١٤ يناير ١٨٥٥.

٣٥- لوريمر ، مرجع سابق ، الجزء الأول، من ص ٤٧٣ - ٤٧٧ .

٣٦- مجموعة الرسائل السياسية إلى الهند الرسالة رقم ٦١ بتاريخ ٢٢ أغسطس ١٨٦٦ من بيلى إلى السكرتير العام - بومباى - فى ٢٣ أبريل ١٨٦٦ (رقم ٤٢ الدائرة السياسية)

٣٧- كيلى ، مرجع سابق ، ص ١٣٢ .

٣٨- الواقع أن دفع الزكاة وإستمرار ذلك من جانب إمارات الساحل لآل سعود كان يعنى إعترافا بالسيادة السياسية لآل سعود على هذه الإمارات ، وقد أورد الأمير عبد الله بن فيصل نفسه عبارة الزكاة إلى المقيم البريطانى - بيلى «بتاريخ ٢٨ يناير ١٨٦٦ ، ٢١ إبريل ١٨٦٦ .



٣٩- نص الرسالة التى بعث بها المقيم السياسى البريطانى فى الخليج كوتون واى بيلى إلى حكومة بومباى فى ١٥ إبريل ١٨٦٩ .

٤٠- وكانت هذه القوة بقيادة محبوب بن جوهر السكرتير الشخصى السابق للامام فيصل بن تركى .

الفصل الخامس

اليمن منذ مطلع القرن العشرين

دخل اليمن ابرز تاريخه الحديث والمعاصر منذ أن تولى أموره الإمام يحيى «المتوكل على الله» فى عام ١٩٠٦م (١)، ورغم أن ترتيب هذا الإمام كان هو السابع والثمانين فى قائمة الأئمة من نفس الأسرة ، إلا أنه هو الذى أعاد بناء هذه الدولة حتى أصبحت تنتسب إليه وتسمى بالدولة المتوكلية اليمنية.

وكانت الدولة العثمانية تحتل اليمن منذ عهد سليمان القانونى ، ودفعها إلى ذلك الإحتلال ضرورة توحيد البلاد العربية والإسلامية فى جبهة واحدة تحت إدارة مركزيه ، يمكنها أن تدافع عنها أمام هجمات الأعداء، وترد عنها أطماع الأجانب المستعمرين وكان لموقع اليمن الإستراتيجى أهمية خاصة فى أعين رجال الدولة العثمانية، إذ أنه كان يسمح لهم بالتحكم فى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر ، ويمكنهم بذلك من منع سفن البرتغاليين من الدخول فيه ومن مهاجمة سواحل مصر والأراضى المقدسة، كما كان يسمح لهم بإقامة قواعد على مياه المحيط الهندى ، الذى إزداد فيه خطر الإستعمار الأوربى فى ذلك الوقت وبخاصة على سواحل شرق إفريقية وسواحل الهند الإسلامية وتوضح احداث التاريخ الحديث تلك الصفحة الطويلة من الصراع بين المسلمين، وعلى رأسهم الدولة العثمانية ، وبين قوى الإستعمار التى توغلت فى المحيط الهندى ، منذ مجيء البرتغاليين والهولنديين حتى مجيء الفرنسيين والبريطانيين، ولقد حاول كل منهم الإستيلاء على مناطق فى جنوب اليمن ، وخاصة فى عدن أو قربها ، حتى يدعم خطوط مواصلاته ، ويفرض كلمته على الشرق ، وينفرد بإستغلال موارده، وتوصلت بريطانيا فى عام ١٨٣٩م إلى الإستيلاء على عدن فى الوقت الذى إستعدت فيه لمواجهة الدولة المصرية التي أنشأها محمد على ،

ووجد بها دول الشرق العربى وبقيت هذه القاعدة الإستعمارية عاملا هاماً يؤثر فى الموقف السياسى والإستراتيجى فى العالم العربى ، ويؤثر فى علاقة القوات العربية والإقليمية الواحدة بالأخرى، وحتى وقتنا الحاضر .

غير أن بقاء الإستعمار البريطانى فى جنوب اليمن لم يؤد إلى تدعيم العلاقات بين القوى العربية والإسلامية فى هذه المنطقة : فقد حاول العثمانيون فرض «الوحدة» على اليمن ، كما أن اليمنيين حاولوا من جانبهم التخلص من الإدارة العثمانية ، وبخاصة فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . فأرسلت الدولة العثمانية حملات متتالية إلى هذا الإقليم العربى ، بقيادة الغازى مختار باشا ، ثم أحمد فيضى باشا، ثم عزت الألبانى ، وسارت الحملتان الأخيرتان على اليمن فى عهد الأمام يحيى فى سنة ١٩٠٦م وسنة ١٩١٠م ، فهل كانت العوامل الداعية إلى التفرقة بين العرب والمسلمين أقوى من عوامل توحيد الجبهة ، وبخاصة أمام وقوف القوى الإستعمارية على الأبواب؟

نترك الدكتور جلال يحيى يجب على هذا التساؤل الهام فى تفسير غير قليل قائلا: « كان المذهب الدينى السائد فى اليمن، ومنذ قرون ، يختلف عن المذاهب السائدة فى الدولة العثمانية، فبينما كان المذهب الشافعى السنى هو المذهب الرسمى للدولة، كان المذهب الشيعى الزيدى هو السائد فى اليمن، منذ القضاء على القرامطة فى عصر الدولة العباسية، ولكن الكفاح بين أهل اليمن والدولة العثمانية لم يأخذ اللون المذهبى ، ولم يحاول اليمنيون توحيد مجهوداتهم مع غيرهم من الشيعة فى مسقط أو فى العراق، وبالتالى فلا يمكن إلغاء وجود المنطق، ولو بشكل بدائى برفض العامل المذهبى كأساس لتدهور علاقة اليمنيين بالدولة العثمانية .



وكذلك الامر بالتعمق فى أساس المشكلة الذى يستند إلى ظهور شخصية قوية فى اليمن، تسعى إلى بناء دولة مستقلة الذى تنفصل بها عن جسد الدولة إذ أن يحيى بن محمد حميد الدين لم يسبغ على نفسه ألقاب الملك، بل ولم يحاول من جانبه بناء جهاز حكومة يسمح له بالوصول إلى ذلك .

لقد كانت الشخصية الاولى فى اليمن تحتفظ لنفسها بلقب «الإمامة»: الإمام يحيى فالمسألة تتعلق إذن بإدارة شئون المسلمين وهذا هو أساس الإختلاف بين اليمن، وبين الدولة العثمانية وبالرجوع إلى مطالب الإمام تتضح أهمية هذا العامل وخطورته على الوضع القائم فى جنوب الجزيرة العربية.

فما أن حصل الإمام يحيى على البيعة حتى أذاع منشوراً للتعبئة وللجهاد ضد الترك «الذين سعوا فى الأرض بالفساد ، وتركوا الشرائع، وظلموا العباد» فسوء الإدارة العثمانية والظلم لهما مكانهما، وترك العمل بالشريعة الإسلامية له مقامه وما دام رأس هذه الحركة يحتفظ لنفسه بلقب الإمامة فتطبيق الشريعة الإسلامية يزيد فى أهميته .

وفى هذا السياق يمكن الربط بين كفاح اليمن ضد الدولة العثمانية وبين الحركات التى إنتشرت فى المناطق الإسلامية الأخرى فى السودان، ووسط الجزيرة ، والصحراء الليبية ، وزادت قوتها منذ أواسط القرن التاسع عشر، وجاءت نتيجة مباشرة لموافقة الدولة العثمانية على نصائح الغرب بإدخال وسائل الإدارة الحديثة فى أقاليمها، وكانت الدولة الغربية تسعى للوصول إلى مرحلة تعترف بالمساواة بين المسلمين والمسيحيين وبخاصة فى البلقان التى بدأت شعوبها تدخل فى مرحلة «القوميات»، ووافقت الدولة العثمانية على تطبيق تشريعات وضعية ، والسير على طرق حديثة فى إداراتها ، غير أن هذه «الترشيعات الوضعية» كانت صدمة عنيفة للشعوب المتدينة التى لا ترضى عن



الشريعة الإسلامية بديلا، بل ولا تعترف بشرعية حكم من يفرض غيرها ، وهكذا أدت هذه السياسة إلى زيادة حقوق الشعوب المسيحية فى البلقان من ناحية، وعملت على التفرقة بين المسلمين، حتى وأن كانوا من العرب، من ناحية أخرى ، وقسمتهم إلى أنصار لتحرير، من بين ذوى الثقافة الحديثة، وأنصار الشريعة من بين ذوى الثقافة الإسلامية التقليدية وكان الإمام يحيي على رأس الطائفة الثانية ، والذى كان ينتمى إليه أغلبية اليمنيين فى مطلع القرن العشرين .

وبالرغم من وجود البريطانيين فى عدن ، فقد بدأ الإمام يحيى بالكفاح ضد الدولة العثمانية التى تركت الشرائع الإسلامية جانباً، ومن الثابت أن الأتراك أنفسهم قد إحترموا هذا الموقف من الإمام فبعد أن نجح أحمد فيضى باشا في الدخول إلى صنعاء سنة ١٩٠٦م طلب إلى الإمام أن يتقدم بمطالبه، وكانت طلبات الإمام تتلخص في ضرورة «تطبيق أحكام الشريعة الغراء»، وعدم تولية أحد من غير أهل الكتاب على المسلمين ، وترك الإمام يتصرف فى أمور تعيين القضاة وحكام الشرع وعزلهم ومعاقبة الخائنين والمرتشين ، إقامة الحدود الشرعية على مرتكبى الجرائم من ، كما أمر الله تعالى بها، وأجراها رسوله (ﷺ) ثم أبطلها الموظفون الترك فى اليمن، وكذلك فى إشرافه على الأوقاف للإنفاق منها على التعليم وترك الإمام للدولة العثمانية أمر المحافظة على أمن اليمن الخارجى من الاعتداء وجباية الأموال بواسطة مشايخ البلاد ، باشراف مأمورى الدولة ، دون أن تكون له علاقة بأستلام الأموال الأميرية ، وكذلك تخصيص الرواتب للحكام ، كما طلب إعلان العفو العام فى اليمن، وأعترف بسلطان الإسلام ودعا الله أن يؤيد ملكه.

غير أن الدولة العثمانية رفضت هذه الشروط ، إذ رأت فيها إنتقاصاً لحقوق سيادتها وتناقضا مع السياسة التي رسمتها وحاولت تطبيقها، لإدخال



وسائل الإدارة الحديثة فى أقاليمها، والدخول فى «المجتمع» الأوروبى الحديث وحاولت أن تثبت للأمام أن هذه الإدارة الحديثة لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية فأرسلت له وفداً لمناقشته يتألف من عشرين عالماً من علماء الحجاز، ولكن الأمام يحيى شرح لهم أن أجداده لم تكن لهم إدارة (سوى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وإقامة الشريعة ، وتعديل المسائل، وأرشاد الجاهل، وتقريب المؤمنين وإرشاد الظالمين ثم شرح ماكان بين والده والموظفين الاتراك الذين تنوعت معاصيهم وأرتكبوا الشهوات ظاهراً بلا حياء وإحتشام (حتى مضى لسبيله . . . فأنتصبنا لذلك المقام، ولم نقم والله لدرهم ولا لدينار) وختم بإصراره على موقفه بمحاولة استمالة الحجاز إلى أرائه (ها نحن نناشدكم والله والإسلام ، هل تجدون ناسخاً للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ أم هل تجدون من محرم للدفاع عن الأموال والأعراض والنفوس والبنين والبنات؟ أم هل من مانع لقتال من أضاع أركان الإسلام؟ أم هل من تثرب على من إقتضى الأثر بأيات القرأن قرناء الحجة على الأمة فى كل عصر وأوان؟ الذين أوجب الله محبتهم على كل بنى الأنسان، أم هل من ناسخ لأيات ومن لم يحكم بما أنزل الله ؟

تظهر أسس الخلاف بين اليمن والإدارة العثمانية واضحة رغم وجود القوى الإستعمارية فى عدن فى جنوب اليمن، وإزدياد الأطماع الإستعمارية على سواحل اليمن الغربية المطلة على البحر الأحمر .

وفشلت الدولة العثمانية فى الوصول إلى حل لمشكلة اليمن وقامت ثورة تركيا الفتاة سنة ١٩٠٨م وجاءت تدافع عن مبادىء تزيد فى تعارضها مع إتجاه اليمن عن الإتجاه السابق فى العصر الحميدى ، إذ أن رجال الإتحاد والترقى كانوا يهدفون إلى الوصول إلى «توحيد» الإمبراطورية العثمانية على



أسس مركزية في الإدارة ، فيصبح الجميع عثمانيين لهم نفس الحقوق ، وعليهم نفس الواجبات ، فلا فرق بين العربي والكردي ، بل ولا فرق بين المسلم والذمي فوجدت الحكومة الإتحادية أن من واجبها القضاء على هذه «المقاومة» المعلنة في جنوب الجزيرة العربية ، وأرسلت ضدها حملة عسكرية بقيادة عزت باشا الألباني سنة ١٩١٠ وشارك في أركان حربها كل من عصمت (إينونو) وعزيز على المصري وسليم الجزائري ، وكان على هذه الحملة أن تخضع اليمن، وتقضى على النزعة التقليدية الموجودة فيه ، حتى يتم التقارب بينه وبين بقية أنحاء الأمبراطورية . ولكنه كان هناك عامل أخر تدخل في المسألة وفي صالح اليمن .

ذلك أن رجال الإتحاد والترقي كانوا - رغم إصرارهم على ضرورة تطبيق الإدارة المدنية يحترمون الروابط الإسلامية أعمق الإحترام ، وسرعان ما أخذوا على أنفسهم إعادة تطبيق «السياسة الإسلامية » التي سار عليها السلطان عبد الحميد في الماضي وزاد مع الأيام إقناعهم بضرورتها لإمبراطوريتهم ، وخاصة في الأقاليم الإسلامية التي لا توجد بها أية أقليات مسيحية فأخذ ضباط الحملة من الأتراك والعرب في التفاوض مع الإمام يحيى، ووصلوا معه إلي إتفاق عقد في دعان ، إحترام حقوق السيادة العثمانية، وإعترف بإستقلال اليمن داخليا ، وخاصة في شأن تطبيق الشريعة : فأصبح للأمام حق إنتخاب حكم مذهب الزيدية وإنتخاب القضاة بما فيهم أعضاء محكمة الإستئناف ، ورئيسها ، على أن تصدق القسطنطينية على هذا الإختيار .وكذلك أصبح الإمام هو المشرف على جميع شئون الأوقاف والوصايا، وأصبح من حقه إستلام الهدايا والهبات من الوفود والمشايخ ، ونصت الإتفاقية على ضرورة جباية التكاليفة الأميرية (بحسب الشرع) وتعهد الإمام بدفع عشر حاصلاته للدولة.



نظمت هذه الإتفاقية علاقة إقليم أو ولاية اليمن بالدول العثمانية حتى خروج تركيا من الحرب العالمية الأولي ، وإنسحابها من كل أقاليمها العربية ، وإعترفت بمركز الزيدية ، وبمركز خاص للإمام يحيى فى جنوب الجزيرة.

غير أن تحسين العلاقات بين الإمام يحيى والدولة العثمانية بإتفاقية دان سنة ١٩١٠م لم يقض على كل الأخطار التى كانت تهدد اليمن، إذ أن قوات بريطانيا الإستعمارية كانت تستند إلى قاعدة عدن، وتحاول التوسع منها بين مشايخ العرب ورؤسائهم فى جنوب الجزيرة، وكانت منطقة العسير فى شمال اليمن فى ثورة معلنة على الدولة العثمانية، وبقيادة محمد الأدريسى ؛ وجاء العام التالى لكى يشهد أعلان إيطاليا الحرب على الدولة العثمانية، وإرسال حملة بحرية وبرية قوية لإحتلال ولاية طرابلس الغرب ومتصرفيه بنغازى ؛ وزاد شعور إيطاليا بعجزها عن غزو هذين الأقليمين العربيين ، فأرسلت وحداتها البحرية لضرب الموانى العثمانية فى الشام ومصر والحجاز واليمن، واحتلت جزر الدوديكانير وتدخلت فى ثورة العسير.

ولقد أثارت الحرب الإيطالية التركية فى طرابلس شعور العرب والمسلمين ووحدت بين صفوف أبناء الشرق الأدنى ، فزاد إقترابهم من بعضهم ووضحت المصالح المشتركة بينهم ، وظهور رجحان كفة من يعملون من أجل الرابطة الإسلامية ، ومن بينهم الإمام يحيى ، وزاد من قيمة التجربة أن محمد على الأدريسى (صاحب صبيا) تعاون مع إيطاليا ، وتسلم منها الأموال والأسلحة والذخائر ، وقبل حضور بعثة عسكرية إيطالية لتنظيم وتدريب رجاله، وإعدادهم لمحاربة دولة الخلافة فلم تتدخل اليمن فى هذه الحركة وبقيت موالية للدولة العثمانية ، محافظة على روابطها الإسلامية معها، وإستمرت فى هذا الموقف بعد أن أعلنت الحرب العالمية الأولى ، وطوال مدة هذه الحرب.



وزادت أهمية اليمن من الناحية الإستراتيجية نتيجة لموقعها الجغرافى فى أقصى الجنوب العربى مجاورة لعدن ولمضيق باب المندب وقريبة من الساحل الإفريقى وشعرت القيادة العثمانية وحلفاؤها الألمان بأهمية هذا الموقع فحاولت إستغلاله فى مهاجمة عدن وإخراج البريطانيين منها ومن «محميات الجنوب»، وفى التحكم فى مضيق باب المندب وإغلاق البحر الأحمر من الجنوب فى الوقت الذى يقوم فيه جمال باشا بمهاجمة قناة السويس وقطع طريق المواصلات البحرى للحلفاء من الشمال بل لقد كان فى إستطاعة الأتراك والألمان أن يتصلوا لاسلكياً من اليمن بمستعمرة تنجانيقا الألمانية فى شرق إفريقية ويتعاونوا معها فى مطاردة البريطانيين فى كينيا وزنزبار وكان فى إستطاعة العثمانيين أن يتخذوا من اليمن قاعدة لإمداد محمد بن عبد الله حسن فى الصومال بما يلزمه من أسلحة وذخائر ويساعدونه فى حرب التحرير التى بدأها فى سنة ١٨٩٨م ضد كل من البريطانيين والفرنسيين والإيطاليين ، والأحباش فى منطقة الصومال وزادت أهمية اليمن وضوحا سنة ١٩١٦م حين أشهر إمبراطور الحبشة ليج يسوع إسلامه ، وأعلن الحرب على «الحلفاء» ، وإنضم إلى دول الوسط ، وطلب إلى الدولة العثمانية أن تعترف به كأمير مسلم يحارب إلى جانبها الإستعمار الغربى ، لقد كان فى إستطاعته أن يسير غرباً لإخراج البريطانيين من الخرطوم فى الوقت الذى تزحف فيه قوات السلطان على دينار من دارفور على الضفة الأخرى لوادى النيل.

كان فى إستطاعة الأتراك أن يحصلوا على كل هذه المزايا من قواعدهم فى اليمن، وساعدهم على ذلك أن الإمام يحيى كان من أنصار الحركة الإسلامية التكتلية والتقليدية ، فى الوقت الذى ظهرت فيه الآراء الغربية ، الإنفصالية التحريرة ، فى الشام والعراق فأرسلت الدولة العثمانية فرقتين



عسكريتين إلى اليمن ، وساعد مجيء هذه القوات على القضاء على كل أمل لدى البريطانيين فى عدن أو فى لندن ، لنجاح المفاوضات السرية التى حاول المقيم السياسى البريطانى فى عدن أن يبدأها مع الإمام يحيى : ذلك أن الإمام قد إحتفظ بموقف سلبى تجاه البريطانيين وحتى النهاية بل لقد قامت القوات العثمانية فى اليمن وبمساعدة الزيود ، بالتوغل فى منطقة المحميات البريطانية فى الجنوب ، ونجحت فى تحرير سلطنة لحج ، ولكنها لم تقو على مهاجمة عدن نفسها ، وخاصة بعد أن نقلت بريطانيا بعض وحداتها المحاربة من مصر إلى جنوب شبه الجزيرة .

وحاولت الدولة العثمانية أن ترسل إمداداً إلى اليمن ، فجهزت قوة تبلغ ٣٥٠٠ جندى بقيادة خيرى بك ، وكان عليها أن تتعاون مع إحدى البعثات الألمانية التى ترغب فى العمل فى قنفذة ، وتفتح ميادين جديدة ضد قوات الحلفاء ، سواء أكان ذلك مع شرق إفريقية أو على مياه المحيط الهندى ولكن الشريف حسين علم بأمر هذه الحملة من جمال باشا ، فأعلن ثورته على الدولة قبل وصولها إلى جدة ، وإضطرت الحملة والبعثة إلى الرجوع إلى الشام.

ورغم أن إعلان الثورة قد حرم الإمام يحيى من المدد ، وقطع خطوط مواصلاته مع الدولة العثمانية ، وقضى على كل أمل له فى زحزحة البريطانيين من الجنوب العربى ، فإنه لم يغير من موقف الودى تجاه تركيا ؛ فأعطى لرجال الحامية العثمانية فى بلاده مايحتاجون إليه وقدم لهم القروض حين إنقطع وصول رواتبهم .

إضطرت تركيا إلى قبول هدنة مودروس ، وخرجت من الحرب مستسلمة بلا قيد ولا شرط فطلب القائد العام للقوات البريطانية فى عدن من القائد العثمانى فى اليمن ومن الوالى ، التسليم والخروج برجالهم من الإقاليم وإتصل

فى نفس الوقت بإمام اليمن وأبلغه ضرورة جلاء القوات العثمانية، وإدارة هذه الدولة من بلاده وحاول كل من الإمام والقائد العثمانى الإتصال بالدولة العثمانية ، وإبقاء القوات والإدارة فى اليمن ، ولكن القيادة البريطانية أصرت على ضرورة تسليم الأسلحة ، والإنسحاب والجلاء فقرر القائد العثمانى ترك أسلحته وذخائره ومعداته لليمنيين ، وقبل أن يستقل مع جنوده البواخر التى نقلته إلى مصر ، نشر بلاغاً مؤكداً نهاية الحرب، وشارحاً أن سبب الإنهزام هو إعلان إخوانهم العرب من أهل الحجاز وفلسطين وسوريا والعراق الحرب على الدولة ، وإشتراكهم مع العدو: (فنحن مجبرون على التخلى عن اليمن ، وأهل إخواننا المجاهدين ، الذين إشتركوا معنا فى الجهاد منذ أربع سنين، ومع أننا كنا على إستعداد لبذل أرواحنا ودمائنا فى سبيل المحافظة على تربة اليمن المقدسة، إلا أننا مضطرون للتقيد بتعهدات حكومة الأستانة وأوامرها. . وعلى كل فإننا نتمنى ، ونحن نغادر اليمن مضطرين ، لإخواننا فى الدين ، الإتحاد والإتفاق التام، وأن يقاوموا إستيلاء الأجانب ، ويصدوهم عن بلادهم ، فيكون فى ذلك عزاء لنا).

وعموما فقد دخل اليمن فى طور جديد من تاريخه ، وأصبح على الإمام أن يقف وحده أمام الأطماع الإستعمارية الأوربية ، وبخاصة أطماع البريطانيين وأطماع الإيطالين ، وهو ما يستدعى وقفة للتفسير:

كانت البحرية البريطانية قد هاجمت ثغر الحديدة وإحتلته قبيل نهاية الحرب، ثم قامت بتسليمه إلى محمد على الإدريسى ، الذى إشترك فى العمليات الحربية إلي جانب «الحلفاء» رغم أن الحديدة هى ميناء صنعاء الطبيعى فجاء هذا العامل مضافا إلى الاطماع التوسعية البريطانية فى الجنوب الغربى ، لكى يضع المصالح اليمنية فى تضارب واضح مع الخطط البريطانية .



ورغم ذلك فإن السلطات البريطانية في عدن حاولت جذب الإمام يحيى إليها، معتقدة في مرونته وفي سهولة إغرائه أو الضغط عليه، فلم تحاسبه على أنه حليف للدولة العثمانية، وإعتبرت أن موقفه في الحرب كان هو موقف الحياد ثم أرسلت إليه هدية بإسم الملك جورج الخامس ، هي سيارة فاخرة في عام ١٩١٩م وعادت في عام ١٩٢١ م وأرسلت مساعد المقيم السياسي في عدن، يحمل الهدايا للأمام ، ويبغي الوصول إلى تسوية للمشكلات المعلقة بشأن الحدود مع المحميات في الجنوب ، ويهدف الوصول إلى الإتفاق والصداقة بين القوتين المتعارضتين ، ولكن هذه البعثة لقيت الصعاب في الطريق بين الحديدة وصنعاء ، وإحتجزها الأهالي في الأسر مدة ثلاثة أسابيع ، إضطرت بعدها إلى العودة فاشلة إلى عدن فواصلت بريطانيا مجهوداتها وأرسلت بعثة جديدة في عام ١٩٢٢ طلبت إلى الإمام عقد معاهدة صداقة مع سلطات عدن فأشترط الإمام لبدء المفاوضات أن تقوم السلطات البريطانية أولا بأن تعيد إليه ثغر الحديدة مع المناطق المجاور له ، لأنها من أراضي اليمن، ولأن الحديدة ثغر صنعاء الطبيعي فقد فشلت هذه البعثة .

توفي محمد على الأدريسي سنة ١٩٢٤ وقام نزاع بين إبنه على وبين أخيه الحسن على الإمارة ، وإنتهزت اليمن هذه الفرصة وزحفت قواتها وإحتلت ثغر الحديدة وجزء كبير من السهل الساحلي للعسير، ولم يوقفها إلا تدخل السعوديين في أمر هذا الإقليم وهو ما سبقت الاشارة اليه في تفصيل غير قليل (٢) .

اعتقد البريطانيون أن إستيلاء اليمن على الحديدة يقضي على الخلاف القائم ويمهد الطريق للوصول إلى إتفاق مع الأمام يحيى ، فأرسلوا السير جلبرت كلايتون (٣) إلى صنعاء لمحاولة إقناعه بضرورة التفاهم مع بريطانيا

والوثوق بها ، مثلما فعل معظم الأمراء العرب ولكن الإمام يحيى إشترط أعادة المحميات إلى اليمن ، بإعتبارها جزءاً من أراضيه ، وإستناداً إلى أن أئمة اليمن لم يعترفوا بالإتفاقيات البريطانية مع المشايخ المحليين ، ولا بأتفاقاتهم حتى مع الدولة العثمانية ومكثت هذه البعثة ٢٦ يوماً في صنعاء، وتأكدت من فشل كل مجهوداتها وثارت مشكلة العسير حين إلتجأ الحسن الأدريسى إلى نجد ، وطلب حماية عبد العزيز آل سعود، وكان من الطبيعى أن يحاول الإمام يحيى الربط بين الأطماع البريطانية فى الجنوب ، وفى العسير، وبين حماية السعوديين للأدارسة ، خاصة وأن جلبرت كلايتون هو الذى سوى مشكلات السعوديين مع كل من العراق وشرقي الأردن ، وهى مناطق نفوذ بريطانيا ، فأتجه الإمام إلى دولة أوربية أخرى، أزداد نفوذها قرب بلاده فى السنوات الأخيرة ، وظهر أنها تنافس بريطانيا منافسة لا غبار عليها وكانت هذه الدولة هى إيطاليا ، التى غيرت سياستها نتيجة لوصول موسوليني على رأس الحزب الفاشستى إلى الحكم .

وجدت إيطاليا أن بريطانيا قد مهدت الطريق لها فى اليمن، وذلك بموقفها فى مسألة الحدود الجنوبية وفى مسألة العسير ورأت إمكانية مد نفوذها على السواحل الشرقية جنوب البحر الأحمر ، فى نفس الوقت الذى تحكم فيها الأرتريا ، على الساحل الأفريقى ، وبشكل يساعدها علي التحكم فى خطوط المواصلات الدولية بين الشرق والغرب عند باب المندب فأسرعت بإسرال حاكم عام ارتيريا ، مندوبا فوق العادة وسفيرا ، فى زيارة رسمية فى أواخر شهر أغسطس سنة ١٩٢٦م ، فاكرم اليمنيون إستقباله ، ووقع الإمام يحيى معه فى ٢ سبتمبر على معاهدة فائقة الأهمية ، إذ أنها كانت أولى المعاهدات الدولية التى إعترفت «بمملكة اليمن» وبأستقلالها وسيادتها الكاملة

غير المنقوصة وتعهدت فيها إيطاليا بعدم التدخل فى شئون اليمن الداخلية، ولكن كلا من الطرفين تعهد فيها بتسيهل التبادل التجارى مع الطرف الآخر والواقع أن هذه المعاهدة جعلت من اليمن منطقة نفوذ إقتصادية للإيطاليين ، وصرحت فيها الحكومة اليمنية برغبتها فى إستيراد البضائع والآلات والفنيين من أيطاليا ، وتعهدت فيها الحكومة الايطالية بإرضاء رغبات الحكومة اليمنية فى أقرب وقت وربطت هذه المعاهدة بين الدولتين لمدة عشر سنوات.

غير أن الأمور سارت بسرعة ، فنجد من ناحية أن عبد العزيز آل سعود قد عقد معاهدة الطائف مع السيد حسن الإدريسى فى أكتوبر سنة ١٩٢٦، ووضع بها إقليم العسير تحت الحماية السعودية ، وأبلغ هذه المعاهدة للإمام يحيى الذى إضطر إلى أداره أمره إلى قواته فى هذا الإقليم بعدم التوغل شمالا، والوقوف فى الأماكن التى تحتلها .

إشتد النزاع بين البريطانيين واليمنيين من ناحية أخرى بشأن الحدود ، خاصة وأن قوات الإمام كانت قد دخلت أمارة الضالع ورفضت تركها رغم أصرار بريطانيا على أنها تحت حمايتها فأخذت طائرات سلاح الطيران البريطانى تضرب الأهالى اليمنيين فى مناطق الحدود ، إرهابا للوطنيين الذين فقدوا كثيرا من القتلى ، ومن بينهم النساء والأطفال وزاد شعور بريطانيا بالمهانة بعد أن أجبرتها روما على الإعتراف فى شهر يناير ١٩٢٨ بأن اليمن منطقة نفوذ إقتصادى للإيطاليين ، لا يزاحمهم فيها مزاحم ، فأسرفت القوات البريطانية فى إنتقامها من اليمنيين ، مما أثار ثائرة الرأى العام فى البلاد العربية ووصل الأمر إلى مناقشات فى مجلس العموم البريطانى ، وتدخل سلطان لحج للوساطة فقامت الهدنة وبعد محاولات طويلة تمكن البريطانيون من عقد معاهدة مع اليمن فى ١١ فبراير سنة ١٩٣٤ ، وكانت معاهدة



«صداقة» إعترفت فيها بريطانيا بأستقلال اليمن، وتعهد فيها الطرفان بالعمل على سيادة السلم بينهما ولكن المعاهدة أجلت البت فى مسألة الحدود إلى أن تتم مفاوضات خاصة بشأنها ، وفى إنتظار ذلك ، تعهد الطرفان بإبقاء الحالة القائمة على ماهى عليه ، وقت التوقع على المعاهدة ، ومنع قواتهما من تخطى هذه الحدود، ومنع تدخل كل منهما فى شئون الأهالى فى الجانب الآخر منها وكانت المعاهدة صالحة لمدة أربعين عاما وبقيت مشكلة الحدود معلقة .

وفى تقييم هذه المعاهدة يمكن القول انها عجزت هذه المعاهدة عن أن تحد من زيادة النفوذ الإيطالى فى اليمن، رغم أنها كانت دعامة للمملكة اليمنية فى مسألة الإعتراف بإستقلالها فى المحيط الدولى وكانت هذه المملكة مهددة فعلا وقت التوقيع على المعاهدة بزحف قوات السعوديين عليها من الشمال ولا يستبعد احد المؤرخين العرب أن الإمام قد وقعها مع بريطانيا لكى يغلق باب المشكلات الجنوبية مؤقتا ، حتى يتفرغ للمشكلات الشمالية ، مع جيرانه .

بدأت المشكلات بين اليمن السعوديين وفى البروز عندما أبلغ عبد العزيز بن عبد الرحمن معاهدة الحماية التى عقدها مع الأدارسة إلى الإمام يحيى ، وكانت حكومة اليمن تعتبر هذه المنطقة تابعة لها وتألم الإمام يحيى من قبول إبن سعود وضع الأدارسة تحت حمايته ، بعد الدور الذى أنجزوه فى أثناء الحرب إلى جانب الإنجليز وضد دولة الخلافة الإسلامية . وكان ابن سعود قد بدأ يحسب للسياسة وشئون الحكم حسابها خاصة وأن وضعية القوى الإسلامية كانت قد تغيرت - من الناحية السياسية بعد الحرب ولكنه حاول إزالة ما بنفس الإمام يحيى ، ، وحاول الوصول معه إلى تفاهم ، يستند إلى الإسلام من ناحية ، ويستند إلى الظروف السياسية والإستراتيجية ، بل شئون الحكم الزمنى ، من ناحية أخرى، وأثبت بذلك أنه لايزال مخلصا للروابط الإسلامية رغم إهتمامه بشئون الحكم الزمنى (٥) .



أرسل عبد العزيز بن عبد الرحمن وفداً إلى اليمن لمحاولة الوصول إلى تسوية ، ولكن وجهات النظر كانت متباعدة بين الطرفين ، إذ أصر اليمنيون على أن إقليم العسير هو جزء من بلادهم ، وأنه ليس للأدريسى أى حق فيه ، ورفض الأمام التنازل عنه والإعتراف لأية حكومة أخرى بأعلان سيادتها عليه ، بينما أصر السعوديون على أن إقليم العسير لا يدخل فى نطاق اليمن ، وبالتالى ليس لائمة الزيديا أى حق فيه ، بل هو إقليم مميز داخل حدود واضحة ، وكان تحت سلطة الدراسة الفعلية ، وإنتقل إلى سيادة السعوديين ، فطالبوا بالأعتراف بهذه الحقوق ، وبجلاء لليمنيين عن المناطق التى يحتلونها فى الإقليم ، ففشلت المفاوضات .

إضطر عبد العزيز آل سعود إلى إرسال وفد جديد إلى صنعاء ، لمحاولة عقد إتفاق ينص على الإحتفاظ بالحالة الراهنة على الحدود ، ومحاولة الوصول إلى أسس ترسم عليها الحدود فيما بعد بشكل نهائي ولكن هذا الوفد فشل كذلك فى مهمته نتيجة لإصراره عى ضم كل إقليم العسير ، بل ومنطقة نجران أيضا ، إلى سلطة السعوديين ، وأرسل إمام اليمن وفداً ثالثاً إلى مكة ، ولكنه فشل بدوره نتيجة لتشبث السعوديين بموقفهم فى إقليم العسير، وإن كانوا قد أكدوا للأمام يحيى عدم طمعهم فى بلاد اليمن ، وملك اليمن ، فظهر الموقف فى شكل أزمة بين قوتين عربيتين إسلاميتين ، ولا يمكن لأحد أن يفيد منها إلا الخصوم والأعداء ، فقامت محاولات التقريب بين وجهات النظر ، وسافر وفد من القاهرة إلى صنعاء برئاسة أحمد زكي باشا ، وحاول إقناع الإمام يحيى بالإتفاق مع السعوديين لخير العروبة والإسلام ورغم توتر الموقف ، نتيجة لتوغل بعض المشايخ الزيدية ووعظهم لمذهبهم فى العسير، فقد إتفق الطرفان فى شهر ديسمبر سنة ١٩٣٠م على المحافظة على الصداقة وحسن الجوار

وإشتملت هذه الإتفاقية على تسليم المجرمين السياسيين وغير السياسيين ، ومن الطرفين ، ومعاملة كل حكومة لرعايا الحكومة الأخرى طبقا للأحكام الشرعية ، ومنع الأمراء والعمال من التدخل بما قد يحدث القلق ، ويوقع سوء التفاهم بين الدولتين ، فظهر أن كلا من الحكومتين السعودية واليمنية تسعى إلى تثبيت دعائم حكمها فى المناطق الخاضعة لها ، وتنتظر من الحكومة الاخرى نفس المعاملة .

غير أن تطور الأمور داخل أراضى السعوديين أنفسهم أدى إلى نقض هذا الإتفاق الذى كان يتعارض مع واجب العرب لحماية المستجيرين بهم فقد حاول أحد رؤساء العرب أن يهاجم السعوديين فى الحجاز (ابن رفادة) وإلتجأ بعض رجاله ، بعد فشله ، إلى اليمن ، ثم أعلن فريق من الادارسة الثورة على السعوديين وإلتجئوا إلى إمام اليمن كذلك ، وحين طلبت السلطات السعودية تسليم اللاجئين أجابت حكومة صنعاء بأنها ستحدد مكان إقامتهم ومنعهم من القيام بأى نشاط فما كان من ابن سعود إلا أن أعلن إلغاء إمارة الادارسة وضم إقليمها إلى مملكته ، وصمم على تسوية المشكلات المعلقة مع اليمن بشكل نهائى ، فاقترح تثبيت الحدود بين البلدين بشكل لا يتحمل التأويل والشك، والإتفاق على التساند والتعاضد فى سائر المواقف الدولية ، سواء داخلية أو خارجية ، وتحديد صلات الأمراء والعمال على الحدود ، والرجوع إلى الملكين شخصياً فى المسائل الهامة ، وتعهد الطرفين بأن يصبح أمرهما واحداً وكلمتهما واحدة وعائلتهما كأنهما واحدة .

ووافق الإمام يحيى على بدء المفاوضات على هذه الأسس ، ولكن هذه المفاوضات كانت بطيئة ، وحاول اليمنيون فيها أن يعيدوا أثارة مسألة الدراسة وحقوق اليمن فى إقليم العسير كله ، بينما رفض السعوديون مناقشة مسألة

أعتبروها منتهية ، وذهبوا إلى أن رفضوا الإعتراف بدخول منطقة نجران نفسها داخل حدود اليمن وضاق صبر السعوديين فأتهموا اليمنيين بالمماطلة والتسويف فى المفاوضات وتدخل عبد العزيز آل سعود بنفسه ، وإقترح منطقة نجران منطقة حياد بين الطرفين ، ولكن الإمام يحيى رفض هذا الإقتراح فقرر عبد العزيز بن عبد الرحمن إستخدام القوة كوسيلة للضغط على اليمن وأصدر أمره بتحرك قواته وتجمعها فى منطقة العسير وأدى التسويف من جانب ، والرغبة فى الوصول إلى حل سريع من جانب آخر ، علاوة على تشبث كل من الطرفين بحقوقه الإقليمية فى منطقة العسير ، إلى إعلان الحرب فى ٢٢ مارس سنة ١٩٣٤ ، أى بعد أشهر من عقد الامام لمعاهدته مع البريطانيين .

ومن الثابت ان مقارنة القوة لكل من الطرفين ، هى مقارنة مغلوطه إذ كانت الغلبة موكدة للسعوديين (٦) ، أما الدول الأوربية فأنها لم تتدخل فى النزاع ، فنجد أن بريطانيا قد أظهرت عطفها على السعوديين ، كما أرسلت طائراتها إلى جزيرة القمران بدعوى حماية أرواح رعاياها ، ولكن حكومة لندن أعلنت حيادها فى الحرب السعودية اليمنية (٧) ، مدعية أن لها علاقات ودية مع الفريقين المتحاربين ، أما إيطاليا فقد ظهر أنها تعطف على اليمنيين ، وأرسلت إحدى بوارجها للحديدة وحاولت إنزال بعض قواتها ، ولكن السعوديين منعوها من ذلك فأعلنت الحكومة الإيطالية أمام توغل السعوديين أنها لا توافق على سقوط اليمن فى يد حكومة غير يمنية (٨).

إتخذ الإمام يحيى فى هذه الحرب موقفاً واضحاً بسيطاً ، هو إصدار الأمر إلى قواته بعدم الإلتحام مع السعوديين ، وأعلن أنه لازال محافظا على السلم والصداقة مع أخيه الملك عبد العزيز وإتصل بالهيئات العربية والإسلامية وبالمجلس الإسلامى الأعلى فى فلسطين وطلب منه التدخل وإرسال رجل

للوساطة ، فأرسل المجلس الإسلامي وفد ضم هاشم الأتاسي (عن سوريا) ومحمد على علوبه (عن مصر) وشكيب أرسلان (عن لبنان) والحاج أمين الحسيني (عن فلسطين) وترك هذا الوفد السويس يوم ١٢ أبريل إلى جدة للوساطة في الصلح .

وقبل وصول الوفد كانت قوات السعوديين قد توغلت جنوبا بقيادة الأمير سعود بن عبد العزيز (٩) ، فأبرق الإمام يحيى إلى الملك عبد العزيز: (يكفى ما قد كان ، ونعوذ بالله من شرور المتربصين بالإسلام الدوائر لتحقيق مطامعهم) ووافق الملكان على المفاوضة ، على أساس إنسحاب الجنود اليمنية من منطقة نجران ، وإعادة اللاجئين والأدارسة إلى السعوديين .

وبدأت المفاوضات بين الطرفين وفي حضور وفد المؤتمر الإسلامي ، وإنتهت بعقد معاهدة الطائف في ١٢ يونيو سنة ١٩٣٤م ، وإنتهت بذلك حالة خطرة بين قوتين عربيتين إسلاميتين وتذكر «مقدمة» المعاهدة أن الملكين . . «رغبة منهما في إنهاء حالة الحرب التي كانت قائمة لسوء الحظ فيما بينهما وبين حكوميتهما وشعبيهما ورغبة في جمع كلمة الأمة الإسلامية العربية ورفع شأنها وحفظ كرامتها وإستقلالها (١٠) .

« ونظراً لضرورة تأسيس علاقات عهدية ثابتة بينهما وبين حكوميتهما وبلادهما على أساس المنافع المشتركة والمصالح المتبادلة ، وحبا في تثبيت الحدود بين بلاديهما وإنشاء علاقات حسن الجوار وروابط الصداقة الإسلامية فيما بينهما وتقوية دعائم السلم والسكينة بين بلاديهما وشعبيهما .

«ورغبة في أن يكونا عضداً واحداً أمام الملمات المفاجئة وبنيانا متراصا للمحافظة على سلامة الجزيرة العربية – قررا عقد معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية فيما بينهما . . . . ؟

كانت معاهدة الطائف بين المملكة السعودية والمملكة المتوكلية نقطة هامة

فى تاريخ كل منهما وفى تاريخ علاقاتهما ببعضهما وببقية الدول العربية ، وجاءت لتدعيم سلطة «الدولة السعودية» فى أقليم العسير ، وإعترف السعوديون فيها من ناحية أخرى بأستقلال اليمن وتمام سيادته . فهى معاهدة تتمم، من وجهة نظر السعوديين ، الإتفاقات التى عقدت لرسم الحدود مع كل من العراق وشرقى الأردن فى الشمال ونجد من ناحية أخرى أنها أظهرت اليمن فى شكل دولى واضح متميز عن غيره من الوحدات الدولية العربية ، أى أنها معاهدة تقوم بدورها فى عملية تقسيم العالم العربى إلى دول ، وتمهد بذلك لنشأة «قوميات» «عربية» «محلية» داخل هذه الإطارات الجديدة .

وجاءت هذه المعاهدة لك تتمم المعاهدتين السابقتين التى عقدهما اليمن من كل من إيطاليا سنة ١٩٢٦م ومع بريطانيا سنة ١٩٣٤م ولكن إذا كانت الصداقة الإسلامية والأخوة العربية قد سادت بين اليمن والمملكة العربية السعودية فأن اليمن لم يعترف بحق البريطانيين فى البقاء فى الجنوب العربى ، ولذلك فأنه قد إضطر إلى الإحتفاظ بصداقته لإيطاليا وكان مضطراً لذلك أمام تهديد الإستعمار البريطانى وتعدية على حقوق العرب وأن الإيطاليين لَم يحتلوا أية مناطق من اليمن ، بل كان نفوذهم إقتصاديا ، وأمدوا اليمن ببعض المعونات الفنية والإقتصادية (١١).

حاول البعض أن يرى فى بقاء العلاقات اليمنية الإيطالية فى مستوى التعاون الإقتصادى دليلا على ميل الإمام يحيى إلى زعماء الفاشستين وعلى وضعه لبلاده داخل منطقة نفوذهم الإقتصادى ، وساد هذا الأعتقاد وأصبح وسيلة لمهاجمة إيطاليا بأنها تحقق أطماعها الإستعمارية فى المناطق القريبة من البلاد العربية سواء أكان ذلك فى حوض البحر المتوسط أو فى الحبشة ، ذلك أن موسولينى قد عمل بالفعل على زيادة سيطرته فى حوض البحر

المتوسط ، وعمل على إحتلال الحبشة وضمها للإمبراطورية الإيطالية فى شرق إفريقية ، ومع هذه العمليات الإيطالية ظهرت المطامع الإيطالية واضحة فى مصر وفى فلسطين ثم فى السودان واليمن وجاءت صيحات التحذير للأمام يحيى بشكل خاص من البلاد العربية التى يتفوق فيها النفوذ البريطانى والأخلاص والولاء للصداقة البريطانية ،فكانت أكثر إرتفاعاً فى العراق عنها فى بقية البلاد العربية ، ولكن نظرة واحدة إلى قيمة التبادل التجارى بين اليمن وإيطاليا تثبت أن اليمن لم يصل إلى مرحلة الوقوع بين براثن «الإستغلال» الإيطالى ، كما أن نظرة ثانية لعدد الإيطاليين فى اليمن ومشاركة اليمن فى الأحداث الدولية تثبت أن اليمن لم يكن منطقة نفوذ سياسى إيطالى ، فلم يقم اليمن بمحاولة إخراج البريطانيين من الجنوب العربى ، ولم تعد المسألة إذن إستناد الإمام يحيى إلى نفوذ إيطاليا حتى يتمكن من الأحتفاظ بموقف «الدفاع» عن بلاده أمام الأطماع التوسعية البريطانية ، أى الأحتفاظ بالوضع القائم ، مستوى الصفر ، بدلا من أن تتقرس فيه بريطانيا وتنخفض حالة بلاده ووضعها الدولى إلى ما تحت الصفر (١٢).

انتهت صلاحية المعاهدة اليمنية الإيطالية سنة ١٩٣٦ ووافق الإمام يحيى على تجديدها ، مما أثار ثائرة بريطانيا ضده ومما ساعد على إرتفاع أصوات زعماء العرب فى بغداد ، أولئك الزعماء الذين مهدوا فى ذلك الوقت لتدعيم علاقاتهم مع الإمبراطورية البريطانية ، وذلك بالدخول فى حلف سعد أباد ، ولكن الإمام يحيى لم يغير موقفه بين الدولتين الإستعماريتين (١٣)

وإعتقدت حكومة بغداد أن فى إستطاعتها تقديم المعونة لحكومة اليمن ، وخاصة فى النواحى الفنية ، وإعداد بعض الضباط اللازمين للجيش اليمنى بدلا من ترك هذا الميدان للإيطاليين ، وكان الأمام قد إنضم إلى ميثاق بغداد،



الذى نص على التعاون والتآخى بين ملكى العراق والمملكة العربية السعودية فرحب بهذه المعونة الفنية العراقية ، دون أن يغير من موقفه تجاه بريطانيا ، أو تجاه إيطاليا (١٤).

وظل اليمن فى عزلة واضحة عن بقية العالم العربى ، وساعدت صعوبة المواصلات وقلة التعليم على تمهله فى هذه الحالة ، وإن كان الإمام يحيى قد إحترم الوضع القائم مع البلاد العربية المجاورة ، وبخاصة مع المملكة العربية السعودية ، فانه قد رفض الإعتراف بشرعية وجود البريطانيين فى عدن وفى الجنوب العربى ولم تكن معاهدة سنة ١٩٣٤م إلا عبارة عن هدنة فى تلك الجبهة التى أعيد فتحها بعد الحرب العالمية الثانية (١٥).

وهكذا نجد أن الإمامة تتحول فى اليمن إلى دولة ، وترضى بالإعتراف بغيرها من القوى العربية الناشئة ، ولكنها ترفض الأعتراف بأى حق للأستعمار فى البقاء فى المنطقة فكان موقفها راديكاليا واضحا فى علاقتها مع المستعمر ، وفى إحتفاظها بحقوق العروبة الإقليمية على سواحل المحيط الهندى ، وإن كان حكمها وعلاقتها بأبناء البلاد لا تمت للقرن العشرين بصلة تذكر وصولا إلى الفترة المعاصرة حيث توحدت اليمنيتين (الشمالى والجنوب) ودخلت اليمن المجتمع الدولى المعاصر وخاصة فى العقدين الماضيين بتجربة ديموقراطية فى التعددية الحزبيه والتى تعتبر فى حد ذاتها تجربة جديدة فى التحديث السياسى لهذا الجزء الحيوى من منطقة الخليج العربى وباوضاعة الاستراتيجية والجيوبولتيكية العامة .



الهوامش:

١- لعل من أفضل الدراسات العربية التى تناولت تاريخ اليمن الحديث والمعاصر ، دكتور جلال يحيى ، م. س. ذ. ص ص ٨٣-١٠٤ .

٢- راجع فى تفصيل ذلك الفصل التمهيدى من الكتاب وراجع أيضا بشأن هذه النقطة : محمد المانع ، توحيد المملكة العربية السعودية ، ترجمة الدكتور عبدالله صالح العثيمين ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ بدون مكان اصدار .

٣- راجع : ارنولد ديلسون ، الخليج العربى ، ترجمة عبد القادرر يوسف ، الكويت ١٩٧٠ .

٤- دكتور / جلال يحيى ، م. س. ذ. ص ص ٩٠-٩٦ .

٥- محمد المانع ، م. س. ذ.

٦- المرجع نفسه .

٧- راجع ، كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة منير فارس ونبيه بولعكى ، بيروت ١٩٤٩ ص ص ٣٤-٤١ .

٨- المرجع نفسه .

٩- محمد المانع ، م. س. ذ.

١٠- المرجع نفسه .

١١- دكتور / جلال يحيى م. س. ذ.

١٢-المرجع نفسه .

١٣- كارل بروكلمان ، م. س. ذ.

١٤- ارنولد ديلسون ، م. س. ذ.

١٥- دكتور / جلال يحيى ، م. س. ذ.



الفصل السادس

الشيخ زايد بن خليفة

خلف الإمام فيصل بن تركى والده فى عام ١٨٨٨ وراح يتفق فى عام ١٨٩٦ مع الشيخ زايد بن خليفة على أن يدفع له «فارزة» أو جعلا سنوياً قدره ثلاثة آلاف ريال مقابل الحفاظ على السلام والأمن فى مناطق الحدود الشمالية من أراضى السلطان . (١) وظل بنو نعيم على أى حال يتلقون مساعدة سنوية من السلطان العثمانى .

وظل الشيخ زايد بن خليفة فى وفائه لإلتزاماته التى تحملها تجاه الدولة العثمانية يعمل بالتعاون مع والى السلطان فى صحار سليمان بن سويلم ، ولقد دعى فى عام ١٨٩٩ إلى إستخدام نفوذه مع قبائل الظاهرة ، لحملها على تسوية بعض الخلافات التى نشبت بينها وبين السلطان ، ولقد تصرف زايد عن طريق أحمد بن هلال الذى كتب إليه فى شهر إبريل من ذلك العام يقول . . .

« أبعث إليك ببعض الرسائل الموجهة منا إلى السلطان السيد فيصل وإلى وإليه ابن سويلم فإذا كانا يعتزمان الوصول إلى تسوية للمشكلات القائمة بينهما وبين أهل الظاهرة وكانا يرغبان فى وساطة عادلة ، فهذا هو الخير كل الخير ، وفى وسعك أن تلتزم الجانب الذي تراه مناسبا حسب تجاربك ، وحاول أن تقلل من إنتهازية أهل الظاهرة وأقنعهم بالرضى عن كل ماقد يقدمه إليهم السيد فيصل طوعاً ، وأنت تعرف أن أهل الظاهرة يميلون إلى إهتبال الفرصة التى يتيحها لهم أى وضع من الأوضاع ، أما إذا كان السيد ينشد أهل الظاهرة، فلابد من إعادة النظر فى الموضوع كله ، هذه هى المهمة التى لابد من درسها ، وعليك أن تتخذ قرارتك فيها (٢) .

وغضب البوشميس من أهل منطقة البريمى فى عام ١٩٠٢م لعدم



تسلمهم مخصصاتهم المعتادة من السلطان ، فأغاروا على ساحل الباطنة وتعهد زايد بأن يعيدهم إلى أماكنهم ، وكتب إلى أحمد بن هلال فى شهر سبتمبر يقول . .

« لابد من إبلاغك بأننا طلبنا إلى شيوخ البوشميس إعادة ما نهبه رجالهم من ساحل الباطنة وتضمن طلبنا أيضا أن يمنعوا جماعتهم من مهاجمة الباطنة . . ووعدناهم بأن نعمل لمصلحتهم بالنسبة إلى ما يتلقونه من معونة مالية من السيد . . ونود أن نوضح للسلطان ولواليه سليمان ابن سويلم الحاجة إلى مواصلة إعانة البوشميس ، إذ إنهم يعتمدون على الله وعلينا وسيظل الوضع على هذا النحو إذا شاء السيد فيصل بن تركى أن يحلنا من مسؤوليتنا عنهم وإذا شاء ذلك فيه الخير »(٣)

عاد البوشميس ثانية إلى الإغارة على ضواحى صحار فى صيف عام ١٩٠٥م مصحوبين بالمقابيل الذين يعيشون فى ضواحى وادى الجزيء وتدخل الشيخ زايد فى يوليو فبعث بولده خليفة مع أحمد بن هلال ، لإجبار البوشميس على الإنسحاب وكانت أوامره إلى أحمد بن هلال كما يلى . . .

« إذا كانت المتاع التى أثارها المقابيل والشواميس التابعون لسيف بن سلطان فى قرى صحار لا تزال قائمة فإن على أخيك خليفة أن يمضى إلى هناك تنفيذا لأوامرنا للتوسط بين الجانبين وكل مانبلغك إياه ، ونطلب منك عمله ، أن تصاحب ولدنا خليفة فى هذا العمل ، والمطلوب منك أن تفعله أيضاً. أن تبذل قصارى جهودك لتسلم جميع الرسوم المطلوبة من المعنيين» (٤)

ومن الثابت أن العبارة الأخيرة كانت تشير إلى «الفارزة» التى كان السلطان يدفعها إلى زايد ، وذلك لأن مساعدة الوالى فى صحار كتب فى شهر

سبتمبر إلى أحمد بن هلال يقول . . . « نود أن نبلغك أن «الوالد» الوالى سليمان بن سويلم قد أمرنا بأن نبعث إليك بألفى ريال ، وهو المبلغ الذى يدفع عادة إلى الشيخ زايد ونحن نأمل فى أن نصل إليك قريبا ، وسننقل إليك شفوياً مانود قوله (٥) .

سافر النقيب بن كوكس الذى أصبح فيما بعد السير برسى كوكس إلى البريمى والظاهرة من الساحل المتصالح فى عام ١٩٠٢ عندما كان معتمداً سياسيا فى مسقط وذكر كوكس فيما بعد أن الشيخ زايد ابن خليفة «أصر على أن أصبح خيفاً على حاكم مسقط» (٦) ووجد كوكس ابان رحلته أن نفوذ الشيخ زايد أكبر بكثير فى منطقة الظاهرة العمانية كلها من نفوذ سلطان مسقط وأن هذا النفوذ كان يمارس كما سيستطيع كل إنسان أن يحكم فى مصلحة السلام العام (٧)» وعاد كوكس بعد ثلاثة سنوات وبعد أن غدا وكيلا للمقيم البريطانى العام فى الخليج إلى زيارة البريمى وتنقل كما فى المرة السابقة تحت حماية زايد بن خليفة الذى كتب إلى أحمد بن هلال قبل أن يتجه كوكس إلى الداخل فى شهر ديسمبر من عام ١٩٠٥ يقول :

« وصل سعادة المقيم السياسى إلى هنا فى السادس من الشهر ، ولقد أجرينا معه بعض المحادثات ويبدو أنه يعتزم السفر إلى منطقة «الجو» فى البريمى عن طريق رأس الخيمة ونطلب إليك أن تمضى عند وصوله بإذن الله لاستقباله ومن المحتمل أن يرغب فى الذهاب إلى الباطنة وصحار وعليك أن أبدى مثل هذه الرغبة أن ترافقه مع من يروق لك إختيارهم من جماعتنا ونحن نأمل فى أنك لن تتوانى عن تنفيذ طلبتنا » (٨) .

وصل كوكس إلى البريمى قادماً من رأس الخيمة فى نهاية الشهر وكتب فيما بعد الوصف التالى للواحة .

« ودخلنا البوريمى فى هذه الرحلة من الشمال الغربى ، عن طريق القرية الحديثة التى أقامها بنوياس والمسماة بالمسعودى وكان الولد الاكبر لشيخ أبى ظبى فى مقدمة الركب ، ونصبنا خيامنا فى قرية القيمى ، لأن هذه القرية أقرب من غيرها إلى قلب الواحة ، ومناسبة كنقطة للتجول فى ربوعا وعندما يتحدث المرء عن البريمى ، فإنه لا يعنى القرية التى تحمل هذا الإسم وإنما يعنى الواحة كلها والتى تضم عشر قرى منفصلة ، تقع فى خط دائرى تقريباً بحيث يبلغ قطر الدائرة نحواً من ستة أميال . ولقد أطلق إسم البريمى على الواحة كلها لأن القرية التى تحمل هذا الإسم هي أقدم القرى فى الواحة كلها وهى مقر بنى نعيم ، الملاك الأصليين للواحة ، وفيها الحصن المربع المألوف المبنى من الأجر المجفف عن طريق الشمس مع برج فى كل زاوية . . . وتقع مياه القرية فى عدة «أفلاج» أو أقنية تحت الأرض تسيل من التلال الواقعة إلى الشرق ، مع قناة أخرى أو قناتين تمتدان من جبل حفيت وبالرغم من أن التربة ليست كثيفة إلا أنها فى غاية الخصوبة ، وتشير الحسابات إلى أن فى الواحة أكثر من ستين ألف شجرة من أشجار النخيل ، بالإضافة إلى ما فى المنطقة من ثمار وخضار وتتركز التجارة إلى حد ما مع صحار الواقعة على الساحل إلى الشرق ولكنها تحولت الآن إلى الشارقة ودبى ، وقد أصبحت الأخيرة الميناء الذى تتوقف فيه بواخر الشركة البريطانية الهندية ، ولا توجد فى البوريمى أسواق من الطراز المعروف فى اشرق ، إذ أن معظم التجارة المحلية تجرى فى شكل مقابضة وفى أسواق مكشوفة فى العراء ، تقع فى حى خدامة فى قرية البوريمى ومازال شيوخ بنى نعيم ، وإن كانت القبيلة قد فقدت مركزها كأقوى القبائل فى الواحة يتمتعون بمكانة خاصة بالنسبة إلى تاريخهم السابق أما السلطة الفعلية فى الأماكن القريبة المجاورة فقد غدت فى يد شيخ



أبى ظبى ، الذي تتزايد ممتلكاته المادية ونفوذه بالتالى فى الواحة سنة بعد أخرى .

اجتمع الحاكمان مع المقيم السياسى الرائد كوكس فى ديسمبر ١٩٠٥ وبعث كوكس بتحذير إلى ابن السعود عن طريق شيخ الكويت من أن أى تدخل من جانبه فى شؤون ساحل عمان المتصالح لن يجد ترحيبا من الحكومة البريطانية ورد ابن يعود على هذا التحذير فى شهر فبراير من عام ١٩٠٦ بالرسالة التالية : عن طريق مبارك شيخ الكويت .

« نعرف سعادتك من قبل أن أهل عمان كانوا على إتصال بنا منذ الأيام التى كنا فيها فى الكويت ،وكنا نبعث إليه بالكتب والرسائل ولكننى أقسم بالله أننا لم نكن مدفوعين إلى ذلك بأية عوامل أو حوافز أخرى . ونحن لم نشر فى هذه الرسالة إلى أية شؤون نرى فيها أى ضير ، إلا إذا كانت قد وقعت ببعض أمور لم نهتم بها فوالله لم نكن نقصد أى ضرر أو أذى (٩) .

لم يقم إبن سعود بعد هذه الإتصالات بأى تحرك بإتجاه ساحل عمان ، نظراً لإفتقاره إلى أية موارد تمكنه من القيام بأية مغامرة خارج حدود نجد يضاف إلى هذا كان راغباً فى عدم إغتصاب السلطات البريطانية فى الخليج فى هذه المرحلة وكان قد عرض على بريطانيا إقامة علاقات ودية معها فى عام ١٩٠٢م وعام ١٩٠٤م أيضاً ، عندما كان هناك خطر إحتلال الأتراك لمنطقة القصيم فى نجد .

غير أن هذه العروض لم تلقى نجاحا فى المرتين ، فعاد فى عام ١٩٠٦م ، وبعد إحتلال الأتراك للقصيم فى السنة السابقة فتقدم بطلب أكثر جداً من سابقيه وبالرغم من أن الأتراك قد عينوا أباه عبد الرحمن قائما على نجد ، فإن ابن السعود كان يطمع فى طرد الأتراك من كل القصيم والإحساء ولو

أفلح فى إخراج الأتراك من الإحساء وإستعادتها ، فإن هناك إحتمالا بأن يشن هؤلاء هجوماً مضاداً بطريق البحر وتقدم ابن سعود بعروضه ثلاث مرات على المقيم السياسى فى عام ١٩٠٦م وقد حمل أحدها رسول شخصى وتوسط فى ثانيها شيخ قطر وفى ثالثها شيخ الكويت ، وكان فى هذه العروض يطلب إشراكه فى نظام الإمارات المتصالحة وكن راغباً ، إذا قبل طلبه ، فى أن يقبل بوجود معتمد سياسى بريطانى فى بلاده وأن يقيم إرتباطات شبيهة بتلك التى تربط الشيوخ المتصالحين والمتعلقة بالقرصنة وتجارة الرقيق والحروب البحريه وعدم التفريط بأى أرض إلى دول أخرى ، وسيطرة بريطانيا على شؤون بلاده الخارجية ولكن بريطانيا رفضت هذه العروض ، لأنها كانت تخشى أن يؤدى قبولها إلى أرباك علاقاتها مع الباب العالى من ناحية ، وولأن ابن سعود لم يكن فى مركز يمكنه من الدخول فى أية إلتزامات تجاه جيرانه أو حتى تجاه نفسه .

ظل زايد بن خليفة حتى اليوم الأخير من حياته فى عام ١٩٠٩م، يحتفظ بسلطته على الأقسام الساحلية والشمالية من عمان ، ولقد أوضحت ما سبقت الإشارة إليه الطبيعة المطلقة لصلاحياته فى المناطق الواقعة بين الضفرة والظاهرة ، وهى الصلاحيات التى لم تتعرض للتحدى فى السنوات الثلاثين الأخيرة من حكمه ، بإستثناء هجمات شيخ قطر على ليوا فى ثمانيات القرن الماضى ، وعودة آل سعود إلى الحكم فى نجد فى نهاية القرن ولم يسبق لأى من حكام البوفلاح أو غيرهم من شيوخ الساحل، إن مارس نفس السلطان التى وصل إليه زايد فى شرق الجزيرة العربية ولا يرجع السبب فى هذا إلى شخصية الشيخ زايد وكفايته وحدهما ولا إلى الظروف المحددة لهذه الفترة كعدم وجود قوة وهابية قوية فى نجد ، وإنما يرجع إلى أن أبا ظبى كانت دائما القوة الإقليمية القيادية بين مشيخات الساحل ، فلقد كانت رأس الخيمة والشارقة ودبى من الإمارات البحرية الخالصة وكانت مواردها توجد فى سفنها وفى الرجال الذين يبحرون فيها .

الهوامش:

١- لوريمر - دليل الخليج - ص ٧٤٧ - المجلد الأول .

٢- جى . بى . كيلى الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية وتصويب خبرى حمادة - مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٧١ .

٣- مذكرة المملكة المتحدة - الجزء الثاني - الملحق (ب) رقم ٦ من زايد إلى أحمد بن هلال ١٧ جمادى الثانى ١٣٢٠ سبتمبر ١٩٠٢ .

٤- مجموعة الظواهر - من زايد إلى احمد بن هلال فى ١١ جمادى الأول ١٣٢٣ .

٥- مذكرة المملكة المتحدة - الجزء الثاني - الملحق و رقم ٧ من يوسف ابن سعيد الهجرى إلى أحمد بن هلال فى ٤ رجب ١٣٢٣ .

٦- مقال بعنوان «بعض الرحلات في عمان» - المجلة الجغرافية العدد ٦٦ ص ٢٠٠ .

٧- مذكرة المملكة المتحدة - الملحق ب رقم ٢٥ من كوكس إلى السكرتير السياسى لحكومة الهند فى ١٨ يناير ١٩٠٤ (رقم ١٧٦) - راجع المذكرة السعودية - الجزء الأول الفصل الرابع - الفقرة ٢٩٧ إذ تقول » لم يكن هناك في المنطقة الداخلية الممتدة من أبى ظبى إلى ماوراء عبرى أى موظف سياسى يمثل أبا ظبى أو مسقط ، ولم تكن هناك أية إشارات إلى وجود سلطة سياسية لهما هناك ، وبالرغم من أن المذكرة السعودية تنسب هذه العبارة إلى مقال كوكس فى المجلة الجغرافية ، إلا أنه لا وجود مطلقا لمثل هذه العبارة أو ما يشابهها فى المقال .

٨- مذكرة المملكة المتحدة - الجزء الأول ص ٣٦ من زايد إلى أحمد بن هلال فى ١٠ شوال ١٣٢٣ .

٩- مذكرة المملكة المتحدة - الجزء الثانى - الملحق د رقم ١ من النقيب نوكس المعتمد السياسى فى الكويت إلى كوكس فى ٢٥ فبراير ١٩٠٦ ، ينقل نص رسالة ابن السعود إلى الشيخ مبارك .

الباب الثاني

تغيرات أقليمية جذرية

الفصل الأول: الحدود الشرقية

الفصل الثاني: الشريف حسين

الفصل الثالث: الملك عبد العزيز

الفصل الرابع: نجد والكويت

الفصل الخامس: الخلل في توازن القوي الإقليمية



الفصل الأول

الحدود الشرقية

شهدت الفترة اللاحقة علي عام ١٩٠٩ العديد من المفاوضات حول ترسيم الحدود، حيث قاد الأمير عبد العزيز آل سعود هذه المفاوضات مع الأتراك، وتظهر الحدود الشمالية لسنجق نجد العثماني عند خط الحدود الذي ينتهي في الجنوب عند الخليج الذي يواجه جزيرة الزخنونية التي تتبع السنجق وهناك فاصل في أقصي الأجزاء الدنيا من الخليج ويمتد مباشرة الي الجنوب حتي الربع الخالي ويفصل نجد عن قطر. بحيث تتخلي الحكومة السلطانية العثمانية عن كل أدعاء لها في أراضي قطر، وأصبح من المفهوم لدي الدولتين أن قطر هي التي كان يحكمها الشيخ جاسم آل ثاني وخلفاؤه من بعده.

وتشير الوثائق البريطانية حول الميثاق الإنجليزي - التركي في ٢٩ يوليو ١٩١٣ المادة ١١ أن الحكومتين العثمانية والبريطانية شرعتا في صيف عام ١٩١١ في سلسلة طويلة من المفاوضات حول عدد من القضايا ومنها القضايا المتعلقة بإنشاء سكة حديد بغداد واحتمال مدها الي رأس الخليج حيث قررت الحكومتان القيام رسمياً بتحديد مناطق نفوذهما في منطقة الخليج وأثمر هذا القرار عن ميثاق التاسع والعشرين من يوليو من عام ,١٩١٣ وهو ما يستدعي وقفة للتفسير والتحليل.(١)

فقد كان هذا الميثاق معنياً بصورة خاصة بالكويت وقطر. ونصت المادة الأولي من علي اعتبار الكويت قضاء في الأمبراطورية العثمانية. وتخلي الباب العالي عن كل حقوق له في قطر، ان اقصي حدود السلطة العثمانية في شرق الجزيرة العربية لا تعدو الحدود الشرقية لسنجق نجد. ورسمت هذه الحدود في خط يبدأ علي ساحل الخليج الي الغرب من قطر من جزيرة الزخنونية وممتداً الي الجنوب الي الربع الخالي. ويسير هذا الخط بصورة تقريبية في أواسط صحراء الجفورة. ولقد أسمي هذا الخط آنذاك بالخط الأزرق.

وبينما كانت المفاوضات تدور لعقد هذا الميثاق أو الاتفاق، كانت الاحداث تجري في شرق الجزيرة العربية تسير بشكل مخالف ، فلقد انطلق الأمير السعودي الشاب في شهر مايو من عام ١٩١٣، من نجد وطرد الحامية والادارة التركيتين من الاحساء، وأعلن أنه سيحكم هذه المنطقة مباشرة ونترك بن سعود يوضح ذلك قائلاً: «وها نحن استولينا اليوم علي بلاد آبائنا وأجدادنا في الاحساء والقطيف، وملحقاتهما.

وبعث برسالة إلي برسي كوكس المقيم السياسي في الخليج في الثالث عشر من يونيو قائلاً: «وبالنظر إلي مشاعري الودية تجاهكم، أود أن تكون علاقاتي معكم كالعلاقات التي كانت قائمة بينكم وبين أسلافي، كما أود أن تظل قائمة بينكم وبيني». وأشار بن سعود أيضاً إلي العديد من الالتزامات بعدم الإغارة علي أو الاضرار بالامارات الساحلية المتحالفة مع بريطانيا العظمي، ومضيفاً «وأنني ارغب في اقامة مثل هذه العلاقات علي النحو الذي كانت قائمة فيه بينكم وبين أسلافي، وأن هذه الحقيقة هي التي دفعتني مثل هذه الاشارة » .ولم يجب كوكس علي هذه الرسالة إلا في ١١ من سبتمبر عندما كتب يقول ...(٢)

«أنا مخول من حكومتي أن أؤكد لك، أنك إذا تعهدت من جانبك بالإمتناع عن كل عمل يؤدي الي اضطراب الوضع الراهن أو إلي خلق القلق لدي الامارات العربية التي يرتبط حكامها بالحكومة البريطانية في علاقاتهم، وبينها امارة قطر، التي اعترفت الحكومتان البريطاني والتركية مؤخراً باستقلالها تحت حكم المرحوم الشيخ جاسم وخلفائه من آل ثاني. فإن الحكومة البريطانية ستواصل الحفاظ علي العلاقات الودية التي كانت قائمة في الماضي». وهو ما ذكرته وزارة الخارجية البريطانية ٣٧١ / ١٨٢٠ الملف ٢٢٠٧ / ٦ من كوكس الي ابن سعود في ١١ سبتمبر ١٩١٣ .

ويري جون فيلبي أن ابن سعود أثار للأتراك شيئاً من القلق في مشيخات الساحل. وتضمن تقرير من الساحل المتصالح في صيف عام ١٩١٣ ما يلي «تشاور شيخا أبي ظبي ودبي اللذان يمتان الي نفس القبيلة، وكان الأول قد حصل علي وما يزال يحتفظ بموقف متفوق في البوريمي وهو علي ثقة بأن النشاط السعودي سيتجه الآن الي هذه الناحية.

ويشير كيلي(٣) في كتابه «سلطنة عمان وامامتها» أن الاضطراب ساد عمان، بعد أن اعلنت قبائل عدة الثورة علي السلطان، واتحدت كلمة تميمة بني ريام في الجبل الأخضر وهو أقوي شيوخ الغفاريين وتميمة قبيلة بني الحرث وهو في الوقت نفسه زعيم بني هناة علي أنتخاب سالم بن راشد الخروصي في شهر مايومن عام ١٩١٣، إماماً للاباضيين وكان ابن سعود مشغولاً في تثبيت سيطرته علي الاحساء، مما حال بينه في الاشهر القليلة التالية وبين اغتنام فرصة الاضطرابات السياسية في الجنوب الشرقي، وتشير وثائق وزارة الخارجية البريطانية أن : الاتفاق كان قد تم عن توقيع الميثاق التركي - البريطاني في ٢٩ يوليو علي ان تنسحب الحامية التركية من قطر فور ابرام الاتفاق. واقترحت وزارة الخارجية البريطانية علي وزارة الهند في شهر اكتوبر من عام ١٩١٣ ما يلي: «يجب اصدار التعليمات الي السير برسي كوكس بأن يوضح لأبن السعود، الذي سيفهم الرسالة ويقدرها حتماً، بأن اتفاقنا مع تركيا سينفذ طبعاً بعد فترة قصيرة من ابرامه، وان حكومة جلالته تتوقع أن يتم هذا الابرام قبل انتهاء العام الحالي»(٤).

وأضاف الاقتراح أن الابرام يعتمد علي انتهاء المفاوضات بين الحكومة العثمانية وبين شركة سكة حديد بغداد ... ولا يمكن أن يعتبر الاتفاق الانجليزي - التركي نافذ المفعول قبل انتهاء هذه المفاوضات».

صدرت التعليمات إلي الهند بضرورة قيام كوكس بإبلاغ ابن سعود بأنه إذا اثار هذه القضية فإن الاتفاق الإنجليزي – التركي سينفذ بعد فترة قصيرة من ابرامه. ولكنه أى ابن سعود لم يبدي اهتماماً كبيراً بالميثاق بعد ان ابلغه كوكس عن وجوده في رسالته، وذلك لأن اهتمامه في النصف الأخير من عام ١٩١٣ انصرف إلي تسوية علاقاته مع الباب العالي علي اساس ثابت.(٥)

عرض بن سعود في عام ١٩١٣ علي المعتمدين السياسيين البريطانيين في الكويت والبحرين في اجتماع له معهما في العقير مسودة الاتفاق بينه وبين الباب العالي. وتوضح وثائق الخارجية البريطانية أن المفاوضات بين بن سعود مع الباب العالي قد انتهت في الخامس عشر من شهر مايو من عام ١٩١٤ بالسيادة العثمانية علي نجد والاحساء بتعينه والياً عثمانياً علي أن يرثه في الحكم أولاده وأحفاده. علي أن لا يتدخل أو يتعامل في الشؤون معاهدات دولية أو يمنح أي امتيازات إلي الأجانب وليس من حق ابن سعود أن يعقد أية مواثيق أو يقيم أية ارتباطات مع الدول الاجنبية.

وعليه في جميع الأحوال أن يحترم جميع المعاهدات المعقودة بين الامبراطورية العثمانية والدول الأخري.

غير أن الخلافات بين الحكومتين البريطانية والعثمانية استمرت طوال عامي ١٩١٣ ، ١٩١٤ دون الوصول إلى نتيجة مرضية. حتي نشبت الحرب بين بريطانيا والأمبراطورية العثمانية في ٣١ أكتوبر من عام ١٩١٤ . وأرتضي الباب العالي بالخط الأزرق كالحدود الصحيحة لمتلكاته في شرق الجزيرة العربية، وعقد في التاسع من مارس من عام ١٩١٤ معاهدة أخري لمحددات الأماكن التي تمارس فيها السيادة العثمانية في الأقسام الجنوبية الغربية من الجزيرة العربية. وقد تضمنت هذه المعاهد اشارة واضحة الي الخط الأزرق. وابرمت الحكومة العثمانية هذه المعاهدة في الخامس من يونيو من عام ١٩١٤

وتضمنت أنه في الجنوب الغربي يسير خط حدود الممتلكات العثمانية في شكل خط مستقم من المكان المسمي بلكمات الشعوب متجهاً الي الشمال الشرقي يقدر بخمس وأربعين درجة حتي الخالي الي خط الدرجة ٢٠ .

وتم ابرام معاهدة عام ١٩١٤ بعد بضعة أيام من التوقيع علي اتفاقه مع الباب العالي بإحترام المعاهدة واحترام الخط الازرق الذي تم النص فيه علي ابن سعود يحكم المنطقة بموجب معاهدة عام ١٩١٤، وأن الخط الأزرق كان يتفق مع سلطته الفعلية في الشرق. ويقول واضعو المذكرة السعودية ان ابن سعود قد انفصل عن السيادة العثمانية من الناحية الفعلية نتيجة طرده للاتراك من الاحساء عام ١٩١٤ وأنه صاحب الصلاحية في التعامل بالنسبة الي المناطق التي يمر فيها الخط الأزرق طالما أن معاهدة الخامس عشر من مايو من عام ١٩١٤ قد اكدت أن ابن السعود اعترف بسيادة المعاهدات الخاصة بهذه المناطق.

وتجدر الاشارة إلي أن نشوب الحرب في خريف عام ١٩١٤ لم يؤثر تأثيراً مادياً في موقف ابن سعود في شرق الجزيرة العربية حيث حصر اهتمامه طيلة الحرب في اضعاف سطوة منافسة في الشمال ابن الرشيد الذي كان يعتبر من أشد أنصار الأتراك نشاطاً في الجزيرة العربية وتلقي ابن سعود في مشروعاته هذه العون من الحكومة البريطانية التي أخذت تدفع له مساعدة شهرية قدرها خمسة آلاف جنيه استرليني. ولكنه علي أي حال كان يتوقع من الحرب شيئاً أكثر من هزيمة ابن الرشيد. ويقول جون فيلبي أنه كان «يتطلع قبل كل شئ الي ضرورة التحالف مع بريطانيا كالضمانة الوحيدة الأمينة لصالح بلاده وشعبه حاضراً أو مستقبلاً».

وبعبارة أخري فان ابن سعود كان يريد الاعتراف باستقلاله. ولقد حقق ما هدف إليه إلي حد ما في المعاهدة التى عقدها مع السير برسي كوكس في



جزيرة قاروت المواجهة للقطيف في ٢٦ ديسمبر ونصت المادة الأولي من هذه المعاهدة علي:

«أن تعترف الحكومة البريطانية وتقر بأن نجد والاحساء والقطيف وحييل، وملحقاتها وأراضيها، وهي موضوع البحث والتقرير في هذه المعاهدة وموانئها علي شواطئ الخليج هي ممتلكات ابن سعود واسلافه من قبله، ولذا فهي تعترف هنا بابن سعود المذكور حاكماً مستقلاً لهذه المناطق» وهو ما أورده انشيسول في كتابه «مجموعة المعاهدات والاتفاقات». وتعهد ابن سعود مقابل ذلك كما سبق الإشارة للشيوخ المتصالحين بعدم الدخول في أية علاقات مع الدول الأجنبية وبعدم التخلي عن أي من أراضيه بدون موافقة الحكومة البريطانية واستخرك العرض الذي كان قد قدمه الي كوكس في عام ١٩١٣ بتحديد الإلتزامات التي كان قد قطعها عبد الله بن فيصل في عام ١٨٦٦، وادرج في المادة السادسة من المعاهدة أن «يتعهد ابن سعود كما تعهد أباؤه من قبله بالامتناع عن كل اعتداء أو تدخل في أراضي الكويت والبحرين ومشايخ قطر وساحل عمان لأنها كلها تحت حماية الحكومة البريطانية ولأنها ترتبط مع هذه الحكومة بعلاقات تعاهديه وهي التي ستقرر حدود ممتلكاتها فيما بعد

خرجت سلطنة نجد في نهاية الحرب العالمية الأولي وهو ما أورده أتشيسون في كتابه كدولة وارثة للسلطنة العثمانية. وتم وضع حدودها مع دولة العراق الجديدة في بروتوكول ملحق بمعاهدة المحمرة المعقودة في الثاني من ديسمبر من عام ١٩٢٢تم التوقيع علي معاهدة المحمرة نفسها في الخامس من مايو من عام ١٩٢٢ وإن لم يتوصل الإتفاق علي الحدود النجدية ـ العراقية إلا في شهر ديسمبر التالي، كما تم وضع الحدود مع الكويت في معاهدة العقرية التي وضعت في نفس التاريخ . أن المعروف لدي فريق من المؤرخين أن بن

سعود وكوكس اللذين أجريا مفاوضات العقير كانا متفقين ضمنا علي أن الخط الأزرق الذي نصت عليه الإتفاقات الإنجليزية ـ التركية السابقة هو الحد القاصل في الشرق لسلطنة نجد غير أن الحكومة السعودية قد ألغت ذلك فيما بعد وهو ما يستدعي وقفة لتفسير وتحليل قواعد القانون الدولي في معاهدتي المحسرة والعقير كما أوردها أوبنهايم. كانت حدود الكويت حتي توقيع معاهدة العقير،، هي تلك التي تم الوصول إليها في معاهدة عام ١٩١٣ . ولم يكن في الإمكان تغيير ذلك إلا باتفاق بين الحكومتين العثمانية والبريطانية .

ولقد بين ابن سعود بتفاوضه علي حدود بلاده مع الكويت ، مع الحكومة البريطانية، موافقته علي هذا المبدأ. وأقر بمركزه القانوني كوارث للإمبراطورية العثمانية ، وأن قواعد القانون الدولي تري أنه وارث للسيادة العثمانية علي نجد والإحساء، وأنه أصبح ملزما باحترام الإلتزامات التعاهدية للباب العالي بالنسبة إلي حدود هذه المنطقة . واعتبر أوبنهايم أن «الوراثة تحدث بالنسبة إلي الحقوق والواجبات الدولية التي كان السلف يملكها أو يقبلها كالتزام، والمتعلقة محلياً بجزء من الأراضي المقسمة أو المتخلي عنها. وكان الخط الأزرق قد أكتسب الصفة القانونية كالحد الشرقي لسنجق نجد العثماني في المادة الثالث من المعاهدة الإنجليزية ـ التركية في التاسع من مارس من عام ١٩١٤ والمبرمة في الخامس من يونيو من نفس العام. بات ذا الخط التزاما دولياً يرتبط محلياً بنجد والإحساء، وأصبح فيما بعد مفروضاً علي ابن سعود. ويري فقهاء القانون الدولي أن المرأ «يجد كثير في البحوث التي تعالج الأنظمة الإقليمية عنواناً علي سبيل المثال لبحث عن تنظيم الحدود. والرأي مجمع علي إعتبار أمثال هذه البحوث متعلقة أيضاً بنظام السيادة الجدد علي الممتلكات موضوع البحث». ولقد وصف بن سعود في ديباجة المعاهد الإنجليزية السعودية المعقودة في السادس والعشرين من ديسمبر من عام ١٩١٥، نفسه

واعترف به طبقاً لذلك في المادة الأولي من المعاهدة كحاكم نجد والإحساء والقطيف وحييل والبلدان والمواني التابعة لها. وقد ورد ذكر الخط الأزرق في مفاوضات العقير في عام ١٩٢٢، ودون أن تصدر عنه أيه إشارة إلي أنه يعتبر هذا الخط حدوداً شرقية له. وليس ثمة مايبين في الواقع أنه لم يكن علي علم أنذاك وفيما بعد واجبة في إحترام هذا الخط..(٦)

تركز إهتمام ابن سعود في السنوات التي تلت عام ١٩٢٢ في محاولة الإطاحة بالأسرة الشريفية في الحجاز، ومحاولاته فرض إعادة النظر في الحدود مع العراق والكويت بمساعدة الإخوان للقيام بهذه المشروعات، وهم يمثلون العناصر الأكثر قدرة علي الحرب من رجال القبائل البدوية والذين جمعهم في قري أو «هجرات»وأشربوا روح الولاء التام لشخص ابن سعود والوهابية كحركة أصلاحية وكتب ديسكون في كتابه عرب الصحراء قائلا الذين أنبتتهم عبقرية ابن سعود، يحققون الكثير من الأهداف السياسية ووصلوا إلي ذروة قوتهم و اخذوا يغيرون علي العراق و الكويت و قبائل شرق الاردن كما يرجع الفضل الي الاخوان في سقوط مكة في يدى ابن سعود في نهاية عام ١٩٢٥ .

وسقطت المدينة وجدة في بداية السنة التالية، وراح ابن سعود يعلن نفسه فوراً ملكاً علي الحجاز . ولكن المحاولات التي قام بها لإعادة النظر في حدوده مع العراق والكويت ، لم تكن مجدية، بالرغم من الغارات العديدة التي قام بها الأخوان علي قبائل حدودهما علي نحو ما أورده جلوب باشا في كتابه «حرب الصحراء» قائلاً بعد ثلاثة غارات قام بها الإخوان من قبائل المطير وحرب في شهر ديسمبر من عام ١٩٢٤ فرت بقايا قبائل من الرعاه علي طول الحدود النجدية من البصرة إلي النجف ممزقة ومرتعدة ، وظهرت أولي البوادر علي تجدد اهتمام السعوديين بالمنطقة الواقعة الى الشرق من الجفورة بعد

انقضاء اكثر من نصف قرن في عام ١٩٢٠ فلقد نشب قتال واسع في ساحل عمان بين العوامر والبوشميس والدروع من ناحية وبين المناصير وبني ياس من الناحية الأخري. ولقد حدث أبان مرحلة من مراحل القتال أن عدداً من الرجال من قبيلة المناصير وقبيلة المزاريع من بني ياس، وصلوا إلي الإحساء ينشدون العون من حاكم ابن سعود هناك الامير عبد الله بن جلوي وتيودلت الهدايا بن الفريقين ووافق بن جلوي على شمول هؤلاء بحمايته وسرعان ماتم الوصول الى هدنة عن طريق وساطة الشيخ حمدان بن زايد حاكم ابي ظبي الذي خلف اخاه طحنونا في عام ١٩١٢ و عاد المزاريع الي موطنهم في ليوا ، و لكن بعض المناصير ظلوا في الإحساء. وعادت الحرب فتجددت في عام ١٩٢٢ عندما قام سلطان بقتل أخيه الشيخ حمدان، وظلت مستمرة حتي عام ١٩٢٥. وكان شيوخ العوامر والبوشميس والدروع قد أفادوا في غضون درساً من خصومهم، فارتحلوا إلي الإحساء ينشدون حماية ابن جلوي. وسرعان ما أرسل ابن جلوي في ربيع عام ١٩٢٥ قوة كبيرة من بني مرة للأغارة علي بني ياس والمناصير في أرضي أبي ظبي وعادت ومعها نحو من ١٥٠ من الأبل.

وتذكر المصادر السعودية أنه قد وصل إلي أبي ظبي بعد الغارة ممثل السعودية وهو سويد أل عرفة مصحوباً بالشيخ حمدي يالم الركاض شيخ العوامر، وشيخ من الدروع. ولقد ذكروا للحكام الشيخ سلطان بن زايد ان ابن سعود قد أعطي حمايته للعوامروالدروع والبوشميس. وأن سويد آل عرفة قد أوفد لجمع الزكاه منهم .ومضي سويد إلي البريمي بالرغم من رفض سلطان بن زايد الإعتراف بهذا الإجراء. واحتفي به هناك أحمد بن هلال في قرية القيمي والشيخ الأكبر وللظواهر وإلي سلطان زايد الواحة، وجمع سويد الزكاه في قرية حماس بمعدل ريل واحد عن كل بعير، وخروف من كل أربعين من العوامر والدروع وبدو البوشميس الذين كانوا في زيارة للقرية. ولم يجمع شيئاً

من السكان المستقرين في الواحة سواء أكانوا من العوامر أو من الظوهر وتذكر المصادر االسنوية أنه قام أثناء وجوده في البريمي بعملية جمع الزكاه العادية من سكان الواحة ومن قبائل البدو في المنطقة القريبة وبالرغم من أن زيادة الممثل السعودي أثارت الكثير من السخط في ساحل عمان، الا إنها أتاحت للأمام الاباضي في عمان وكبار مؤيديه المبرر لمحاولة مد سلطانهم شمالاً من عمان نفسها إلي الظاهرة. وكان الإمام الذي انتخب في عام ١٩١٣، سالم الخروصي قد اغتيل في عام ١٩٢٠، فخلفه محمد بن عبد الله الخليلي من بني رويحة الذي انتخبه تميمتا الحرث وبني ريام ولقد وصفه جي. ايكليس من الجيش الهندي وقائد المجندين في جيش سلطان مسقط في مجلة جمعية أسيا الوسطي في سلطنة مسقط وعمان بانه مجرد دمية في يد الشيخ عيسي بن صالح زعيم الحرث أبدي ايكليس هذه الملاحظة عندما كان في جولة داخل عمان في خريف عام ١٩٢٤ ، في رفقة فريق مساحة تابع لشركة دارس للتنقيب عن البترول. (٧)

ويضيف ايكليكس قائلاً« وقرر الشيخ عيسي أن يحمل جميع قبائل المنطقة سواء أكانوا من بني غافر أو بني هناة بالقوة أو االاقناع وحتي في واحة البريمي نفسها علي الانضواء إلي الحلف الذي اقامه وسار الأمور علي مايرام في البداية. وخضعت الدريز وعبري وضنك لارادته، ولكن اصابته بنوبة قاسية من مرض الإستسقاء، ووقوعه في نزاع شديد مع احدي القبائل القوية المتحالفة مع، ارغامه علي وقف الحملة والعودة إلي عمان. وأدي هذا التراجع المعيب إلي اذلال الإمام الذي كانت القبائل قد انضوت متحدة تحت لوائه، فعرض الإستقالة على الإمام غير أن كبار الشيوخ عادوا فاقنعوه بالبقاء»، غير أن المصادر السعودية لها رؤية مختلفة مستقلة مستقاه هي الأخري من مقال ايكليس حيث أثار نشاط الفريق السعودي الرسمي بقيادة سعود الفيصل في

البريمي بعض القلق في إمام عمان، لأنه لم يفهم علي حقيقته.. ولكن التقدير الأكثر واقعية للوضع عن قرب ما لبث أن أقنع الإمام بوقف تقدمة ـ فلقد أحس بأن أهل الضاهرة ليسوا من الأباضيين، وإنهم يعتبرون أنفسهم من الرعايا السعوديين، وان القسر هو السبيل الوحيد لحملهم علي الخضوع للإمام .. وأدرك الإمام أن السياسة الحكيمة تفرض عليهم أن يزرع الصداقة مع الدولة السعودية فعدل عن الحملة التي قام يها وانسحب إلي عاصمته وهو ماذكره جي بي كيلي في كتابه«الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية» وكان الإمام وعيسي بن صالح قد قابلا قبل الإنسحاب قريبين لشيخ دبي في قبيل الواقعة إلي الجنوب من البريمي، وكان عمهما الشيخ قد أوفدهما للبحث في إحتمالات العمل ، في حالات قيام ابن سعود بأية حركة أخري باتجاه عمان.

وصلت بعثة المساحة التابعة لشركة دارس للتنقيب عن البترول في شهر ديسمبر إلي المحضة كبري بلدان بني كعب وعند الطرف الغربي لوادي الجزي، ويوضح دارسي في مقاله عن سلطنة مسقط في مجلة جمعية أسيا الصغري أنهم تلقوا دعوة من شيوخ بني نعيم في البريمي لزيارتهم في الواحة، عنوان ضيق وقتهم حال بينهم وبين تلبية هذه الدعوة. وذكر الشيخ سالم بن حيان رئيس قبائل بني كعب للنقيب ايكليس انه منزعج أشد الإنزعاج من شيوخ بني نعيم الذين بعثوا إلي ابن جلوي يطلبون مساعدته عندما شرع الإمام وعيسي بن صالح في زحفهما علي الظاهرة.(٩)

وأعرب شيوخ من بني نعيم عن عواطف أشد عنفاً في الرسالة التي بعث بها سلطان مسقط بعد عدة أشهر. وأشمأز الشيخ حمد ابن أحمد اليحيي بوجه خاص من شيخ بدو البوشميس لطلبه العون من السعوديين في خصامة مع بني ياس والمناصير، وتأثر ابن جلوي بالغ التأثر، وراح يكتب إلي الشيخ سعيد بن مكتوم في دبي في شهر نوفمبر من عام ١٩٢٥ يؤكد له أن عليه الا

يخشي شيئاً منه، ويلقي اللوم علي سلطان بن زايد شيخ ابي ظبي لإثارة هذه الضجة، وجاء في مذكرة المملكة المتحدة أن بن جلوي قال في رسالته في ٢٧ نوفمبر ١٩٢٧ ... « نقل إلي سمعا أن الأخ سلطان بن زايد بعث إليك برسول يحذرك من أن سويد آل عرفة قد بعث بقوة قوامها أربع مائة رجل باتجاهك يمتطون النجب السريع ذات السنام الواحد وأنه يقوم بحفر الآبار، وإننا نسير في أعقابه، وإنك رفضت هذه المعلومات، ولم يساورك أى شك فينا .... ويقيم هذا الموقف من جانبك الدليل علي إنك ترفض الوشايات والأكاذيب عن بن سعود وإنك تعاقب الكذابين ... ولا شك في أن اخانا سلطانا مجنون، فهو لايعرف أننا أقوي منه عدة وعداد. وهو يتعرض للإثارة من الاكاذيب التي ينقلها إليه البدو، إن كانت الأكاذيب التي تثير الرجال لاتجدي فتيلاً.

ولكن قوتنا ستتغلب عليه وعلي الأخرين عاجلاً أم أجلاً.

ويعتبر جى بى كيلي (١٠) التهديد الضمني دليلاً علي نوايا ابن سعود النهائية تجاه عمان، وهي النوايا التي وصفها السير برسي كوكس قائلاً «يعتقد بن سعود من الناحية العملية أن له الحق من ناحية المبدأ في إستعادة أية أرض كان أجداده قبل نحو من قرن قد أستولوا عليها أو جعلوها من منطقة نفوذهم. وكانت عمان من مناطق نفوذهم. بينما كانت البوريمى فعلاً في أيديهم، ولعل هذا هو الذي يفسر أن شطراً كبيراً من سكان الواحة لايزالون علي ولاء لآل سعود .. ولست أشك مطلقاً في أنه مع مرور الزمن سيحاول توسيع سلطانه ليشمل داخل عمان».

ولعل العمل علي تنفيذ هذه السياسة هو الذي أدي إلي وصول عامل سعودي أخر إلي واحة البريمي في ربيع عام ١٩٢٦، وجمع هذا العامل وأسمه محمد بن منصور الزكاه من بعض العوامر والدروع وبدو البوشميس في ضواحي الواحة، ولكنه كسلفه سويد آل عرفة لم يجمع شيئاً سكان الواحة

المستقرين وتم في نفس العام أغتيال سلطان بن زايد شيخ ابي ظبي علي يد أخيه صقر. ولجأ ولداه شخبوط وهزاع إلي الحساء، حيث تولي الأمير ابن جلوي حمايتهما. وحاول صقر بن زايد إقناع ابن جلوي بان لايساعد الأميرين اللاجئين في الثأر لأبيهما. فبعث له بهدايا كثيرة ووافق علي السماح لعملاء الأمير بجمع الزكاه من البريمي وضواحيها في الربيع التالي.

وكان الوكلاء السعوديون في البريمي في ربيع عام ١٩٢٧ عندما وصل إلي ضواحيها في شهر مايو برترام توماس،وكان آنذاك وزيرا لسلطان مسقط ابان جولة قام بها لارجاء السلطنة. وكان قد كتب مسبقاً إلي شيوخ بني نعيم يخبرهم بعزمه علي المجيئ، وبرغبته في نقائهم، ولكنه عندما وصل إلي الطرف الغربي من وادي الجزي تلقي رسالة من الشيوخ يحثونها فيها علي العدول عن زيارته، ..... حيث ورد في كتاب رحلات في الجزيرة العربية (لندن ١٩٣٩) مايلي:-

«فهمنا رسالتك التي حملها الشيخان علي وحمدان. ولم يكن الوالي ابو سندان حاضر في المكان ... ولكنه قرأ الرسالة بعد عودته ولم يوافق عليها .. ولقد فاجأتنا بإقتراحك هذا، ولم نعرف نحن عنه شيئاً . وتعتبر هذه الأماكن في رعاية الله ورعايتنا. فهذه الأماكن ضمن أرضي بن سعود وهذا كل مايجب أن نقوله والسلام - التاريخ ١٣ ذو القعدة ١٣٤٥هـ ».

وكان محمد وصقر ولدا سلطان أل حمودة يافعين وقد خلفا والدهما مؤخراً . وكان يخضعان كثيراً لسلطان عبده الوالي أبو سندان. ولقد اكتشف برترام توماس فيما بعد أن هوالذي كان يعارض في زيارته وورد في كتاب رحلات في الجزيرة العربية قوله: «وهكذا عندما انتهي امر الشيخ الأسود وبعد سنة قابلت واضعي تلك الرسالة الصارمة وسادت مقابلتنا موجهة شديدة من المرح».



وعاد وكلاء بن جلوي فجمعوا الزكاه من أبناء القبائل البدوية في ضواحي البوريمي في ربيع عام ١٩٢٨ وفي عام ١٩٢٩ علي الغالب.

وهو ما أكده برترام توماس في تلك الآونة حيث جمع وكلاء السعوديين الزكاه من الجفرة في هذه السنوات. وتم جمع المبلغ الأول في ربيع عام ١٩٢٦، ثم استمرت عمليات الجمع في كل ربيع حتي عام ١٩٣٠ وحصر الوكلاء نشاطهم علي الغالب في أخذ زكاة الابل من قبائل المناصير والمزاريع الذين كانوا قد نشدوا حماية ابن الوكلاء السعوديون في عام ١٩٢٨ إلي واحة ليو حيث جمعوا زكاة الأبل من بعض المناصير ولاسيما من فرع البومنذ الذي كان شيخهم قران بن مانع يقيم في هذه الآونة في الاحساء وعاد الوكلاء في عام ١٩٢٩».

تركزت محاولات جمع الزكاه في الضفرة في السنوات التالية علي المناصير وعلي فرع المنذر بوجه خاص. وقامت العلاقات بين ابن سعود والحكومة البريطانية علي أساس جديد في عام ١٩٢٧ بعد التوقيع علي معاهدة جدة في العشرين من مايو من ذلك العام. ومثلت المعاهدة الجديدة إعترافاً بالتغييرات العظيمة التي وقعت في مكانة ابن سعود وسلطانه منذ توقيع معاهدة شهر ديسمبر من عام ١٩١٥. وكان ابن سعود قد استولي علي جبل شمر في عام ١٩٢١ والحجاز في عام ١٩٢٥ وأخضع العسير في عام ١٩٢٦ وأصبحت معاهدة جدة أقرارها بهذه الحقيقة عندما اضفت عليه لقب « ملك الحجاز ونجد وملحقاتها » ورفعت من المعاهدة الجديدة القيود التي كانت مفروضة علي تصريفه لعلاقاته الخارجية وأعماله الأخري بموجب معاهدة عام ١٩١٥ وأعترفت الحكومة البريطانية بالإستقلال الكامل والمطلق لبلاده، وتعهد ابن سعود علي أي حال بمواصلة إحترام السلامة الإقليمية لإمارات شرق الجزيرة العربية الواقعة تحت الحماية البريطانية. ونصت المادة السادسة من معاهدة جدة علي مايلي...

«يتعهد جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالحفاظ علي العلاقات الصديقة والسلمية مع أراضي الكويت والبحرين ومشايخ قطر وساحل عمان الذين يرتبطون بعلاقات تعاهدية خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية وهو ما أوردته الوثائق البريطانية وليس ثمة مايدعو إلي الإعتقاد بان ابن سعود اعتبر ان أرضيتة في شرق الجزيرة العربية تمتد إلي أبعد من شرق صحراء الجفورة. ويلاحظ جي بي كيلي أن الكتاب التاريخي الموثوق لنجد والمطبوع في عام ١٩٢٧وهو كتاب «نجد الحديثة وملحقاتها» لامين الريحاني بين ان حدود المملكة الشرقية تبدأ عند دوحة السلوي، وتمتد عبر الجفورة مع الخط الأزرق لعام ١٩١٣ وتجدر الإشارة إلي إعادة طبع كتابي أمين الريحاني عام ١٩٥١ باسم «تاريخ نجدو ملحقاتها»(١١)

قام بن سعود في عام ١٩٣٢، وبعد ضمه رسمياً لجبل شمر بتغيير اسم المملكة إلي المملكة العربية السعودية. ومنح في العام التالي إمتياز ا بترولياً إلي شركة ستاندارد اويل كاليفورنيا . ونص المرسوم الملكي بمنح الإمتياز في الرابع في الرابع عشر من يوليو من عام ١٩٣٣ بان تضم منطقة الإمتياز الجزء الشرقي من ممتلكاتنا العربية السعودية داخل حدودهاوهو ما أوردته صحيفة أم القري بمكة المكرمة في العدد رقم ١٧ بتاريخ ١٣٥٢هـ.(١٢)

ولما كانت هذه الحدود ليس محدودة بصورة واضحة، فقد قامت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية في الأشهر القليلة التالية بطلب المعلومات اللازمة عن الحدود الفعلية من الحكومة التركية أولاً والحكومة البريطانية لاحقاً. وردت وزارة الخارجية البريطانية في الرابع والعشرين من أبريل عام ١٩٣٤ بالوثيقة رقم ٢٤٨١ الأمريكية في لندن بان الحدود الشرقية للملكة العربية السعودية هي الخط الأزرق الموضح في الميثاق الإنجليزي التركي لعام ١٩١٣ـ ١٩١٤م وبان ابن سعود خلف السيادة التركية علي المناطق الواقعة إلي الغرب والشمال

الغربي من هذا الخط» وإرتضت الحكومة الأمريكية بهذا البيان وفي سياق الوثائق الصادرة عن وزارة الخارجية البريطانية والتى تحمل أرقام ٢٤٨١ بتاريخ ٢٤ ابريل ١٩٣٤ والوثيقة رقم ٣١٦٧ في ٢٨ ابريل والوثيقة رقم ٣٦٥١ في ١٣ مايو ١٩٣٤ والوثيقة رقم ٤٣٤١ في ١١ يونيو ١٩٣٤والوثيقة رقم ٤٤٥١ في ٢٠ يونيو ١٩٣٤ والوثيقة رقم ٩٠٨٠٥في ٢٤ سبتمبر ١٩٣٤ وكانت ردود الأفعال على النحو التالى:

أولاً: كان رد فعل نائب وزير الخارجية السعودية، فؤاد حمزة، الإحتجاج علي هذه المذكرة إذ قال بالنظر إلي التبدلات الضخمة التي حدثت في مركز المملكة العربية السعودية منذ التوقيع علي مواثيق عام ١٩١٣ - ١٩١٤ فان حكومته لا تستطيع اعتبار الخط الأزرق ممثلاً بالفعل للخط الصحيح لحدودها مع البلاد المجاورة لها في شرق الجزيرة العربية وجنوبها. وكانت هذه هي الإشارة الرسمية الأولي التي تسلمتها الحكومة البريطانية عن ابن سعود لا يعتبر الخط الأزرق حداً شرقياً له، ولذا كان ردها عليها قوياً للغاية أيضاً. وتلقي فؤاد حمزة في الخامس عشر من يونيو رداً بان الموقف القانوني الذي أقرته المواثيق الإنجليزية التركية لم يتغير من جراء الأحداث اللاحقة له وأن علي الحكومة السعودية ان تلزم بإحترام ذلك الموقف. وأن زيارة في سلطان ابن سعود لم تترك اثر في صحة الخط الأزرق علي الإطلاق.

ثانياً: عاد فؤاد حمزة دون أن يتأثر بهذا الرد العنيف، فأكد حجته السابقة بصورة تفصيلية في مذكرة مطولة بعث بها في العشرين من يونيو.

وذكر أن الحكومة العثمانية لم تكن ملك الحق في عامي ١٩١٣، ١٩١٤ لتقرير مصير بلاد شبه الجزيرة العربية، لان السلطة العثمانية علي شرق الجزيرة العربية كانت قد أنتهت كلية في عام ١٩١٣ عندما أستعاد ابن سعود ملكة في أراضي اسلافه. وكانت الحكومة البريطانية قد اعترفت في معاهدة

عام ١٩١٥ بابن سعود كالحاكم المستقل لنجد والإحساء والقطيف وحبيل وملاحقتها التي تستقر - فيما بعد واضاف أن في الإمكان الإستنتاج من هذا القول بان الحكومة البريطانية نفسها قد اعترفت بحق ابن سعود في أراضي أجداده ، وبالسيطرة علي القبائل التي تقيم فيها ولا شك في أن في الإمكان تمييز هذه الأراضي بسهولة عن تلك التابعة للحكام الآخرين.(١٣)

ثالثاً : في حالة قطر، تعتبر حدودها هي حدود البلدان والقري المأهولة. أما بالنسبة إلي ما تبقي من الأجزاء الشرقية للجزيرة العربية «فان جميع القبائل التي تعيش بين بلدان قطر الساحلية وبين ساحل عمان وحضر موت ترجع إلي المملكة العربية السعودية، وهي تخضع خضوعاً تاماً لقوانينها وتدفع إليها الزكاه، وتلبي نداء حكومتها عندما يدعوها الواجب إلي الحرب وهلم جرا».

رابعاً: كانت هذه الإدعاءات ضخمة للغاية، ولذا تطلبت البحث التفصيلي وإستدعي فؤاد حمزة إلي لندن في شهر سبتمبر من عام ١٩٣٤، وعقدت في وزارة الخارجية البريطانية سلسلة من الإجتماعات الأولية، لتمكين كل فريق من بيان موقفه بصورة كاملة ولم تكن الإجتماعات مثمرة، وذلك لأن فؤاد حمزة، لم يكن مزوداً بتعليمات محددة من حكومته ولكنه أوضح علي أي حال أن ابن سعود يري بان أراضي القبائل التي ظلت تحت حكمه لابد وأن تضم إلي ممتلكاته. وذكر فؤاد حمزة بشكل خاص قبيلتين مرة والمناصير. وقيل له في معرض الرد أنه بالرغم من أن قبيلة بني مرة قد تعتبر من رعايا ابن سعود وأن المناصير في غالبها تابعة لشيخ ابن ظبي. ولما لم يصدر عن ابن يهود أي شئ يتعلق بهذه النوايا في الأشهر التالية لهذه الأراء المتبادلة، فقد طلب إلي الحكومة السعودية في مستهل عام ١٩٣٥ أن تتقدم ببيان محدد عن أدعاءاتها.

وتكرر الطلب في شهر مارس وسلم فؤاد حمزة في الثالث من ابريل من عام ١٩٣٥ إلي الوزير البريطاني في جدة مذكرة متضمنة هدودها مقترحة بين

العربية السعودية وقطر والمشيخات المتصالحة وسلطنة مسقط وعمان ومحاميات عدن الشرقية.

خامساً : كانت الحدود مع قطر تبدأ علي الساحل الغربي لشبه الجزيرة علي بعد نحو ١٥ ميلاً عن رأس دوحة السلوم ثم تتجه شرقاًمسافة خمسة أميال لتعود جنوباً بشرق لتصل الساحل الشرقي علي بعد سبعة أميال إلي الشمال من خور العديد. ويعني هذا الخط أن يكون جبل نخش الواقع عند الطرف الغربي لشبه الجزيرة وخور العديد الواقع عند طرفها الشرقي ضمن الأراضي السعودية وتبدأ الحدود المقترحة مع المشيخات المتصالحة عند نقطة تقع علي بعد ستة عشر ميلاً إلي الجنوب من خور العديد ثم تتجه مسافة عشرة أميال تقريباً. لتعود فتتجه في شكل قوس نحو الشرق والجنوب الشرقي إلي أن تلتقي بخط طول ٥٦ درجة شرقاً إلي نقطة لقائه بخط عرض ١٩ درجة شمالاً ثم تسير باتجاه الجنوب الغربي إلي أن تصل خط طول ٥٢ درجة شرقاً.

الهوامش:

حول شرقي الجزيرة العربية وتاريخها راجع:

١- أحمد مصطفى أبو حاكمه، تاريخ شرقى الجزيرة العربية، وراجع أيضا، ج ج لوريمر، دليل الخليج ، القسم التاريخى .

٢- راجع المراسلات التى دارت بين عبد العزيز آل سعود ديرسى كوكس فى : جوش تمبرلى، الوثائق البريطانية ١٨٩٨ - ١٩١٤ ، لندن، ١٩٣٨ بالإنجليزية.

٣- جى بى كيلى ، م.س.ذ صص ٣٤-٥٥ .

٤- جوشي تميرلي ، م.س.ذ.

٥- المرجع نفسه.

٦- راجع فى تفصيل ذلك دكتور تركى بن محمد سعود الكبير، علاقة بريطانيا بالملك عبد العزيز آل سعود ، ١٩٠٢ - ١٩٢٥ فى .بحوث المؤتمر العالمى عن تاريخ الملك عبد العزيز، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٩-٢٣ ربيع الأول ١٤٠٦ هـ الموافق ١-٥ ديسمبر ١٩٨٥م .

٧- نفس المرجع السابق.

٨- جى بى كيلي م.س.ذ ص ص ٧٤-٨٥

٩- نفس المرجع السابق.

١٠- المرجع نفسه.

١١- محمد المانع، توحيد المملكة العربية السعودية، م.س.ذ .

١٢- المرجع نفسه.

١٣- دكتور محمذ تركى بن محمد بن سعود الكبير، م.س.ذ.



الفصل الثاني

الشريف حسين

سبقت الإشارة إلي ما أمتد إليه النفوذ البريطاني في الخليج العربي وأنتهي إلي عقد بعض المعاهدات بين حكومة الهند وبعض مشايخ العرب علي السواحل الجنوبية والشرقية لشبه الجزيرة. وتمكنت بريطانيا بهذه الطريقة من تكوين محمية عدن من بعض المشيخات القريبة منها، وعقدت معاهدات أخري وخاصة مع الكويت في سنة ١٨٩٩م . اعطت لحكومة الهند حماية فعلية علي هذه المنطقة وغابت سيادة السلطان العثماني، وارسلت ضباطاً وموظفين معتمدين لدي هؤلاء المشايخ، وعينت مقيما سياسياً يشرف علي الساحل الفارسي، وأصبح الخليج العربي منطقة نفوذ بريطانية، وازدادت أهميته بعد بدء إحدي الشركات البريطانية في أمتلاك واستقلال حقول البترول الغنية في جنوب غرب فارس. (١)

وفي نفس الوقت غاب نفوذ الدولة العثمانية عن شبه الجزيرة العربية – كما سبقت الاشارة – وكانت السنوات الأخيرة قد شهدت الصراع بين آل الرشيد وآل سعود، وخروج هذه الأسرة الأخيرة من نجد، ثم نجاحها في إعادة الإستيلاء عليها في أوائل القرن العشرين، تحت رئاسة عبد العزيز آل سعود كما سيأتي ذلك تفصيلاً(٢)، وفي إحدي فترات هذا الصراع اضطر آل الرشيد إلي طلب العون من تركيا، فأرسلت الدولة العثمانية إحدي الحملات الحربية، تمكنت من إعادة رفع العلم العثماني علي وسط شبه الجزيرة مرة جديدة بعد فترة طويلة من الاستقلال الفعلي عن الدولة العثمانية، لكن قوة آل سعود أخذت في النمو، وتمكن في عام ١٩١٣ من الاستيلاء علي اقليم الإحساء من الأتراك، وكان ذلك بمثابة ضربة قاصمة للسلطان العثماني لم يعادلها إلا توثيق العلاقات بين تركيا وآل الرشيد في اقليم شمر.



أما في غرب الجزيرة العربية فإن المصاعب قد استمرت في مواجهة الدولة العثمانية في اليمن، وفتحت ثورة ١٩٠٣ بزعامة الإمام يحيي صفحة جديدة في تاريخ الحملات العسكرية في بلاد العرب، وتمكن الثوار من إحتلال صنعاء واحتفظوا بها لمدة سنة كاملة. ثم كرروا نفس المسألة سنة ١٩١١م واضطر الاتراك إلي قبول المفاوضة والمساومة وقام عزيز علي المصري بدور هام في الوصول إلي إتفاقية اليمنيين والقيادة التركية، سمحت بحرية واضحة للإمام وضمنت له إعانة سنوية من الدولة، تساعده علي تسيير شئون بلاده(٣).

أما في اقليم عسير - فإن سلطة ونفوذ السيد محمد بن علي الإدريسي قد أخذت في الازدياد. وعمل علي الاستقلال عن الحكم التركي. ولم يكن أفق الادريسي قاصراً علي بلاد العرب، خاصة وأنه كان قد تعلم في الأزهر، وبقي مدة طويلة من الوقت مع السنوسي في برقة، وأخذ يعاون إمام اليمن في ثورته سنة ١٩٠٩م . ولكن قواته انهزمت فاستعان بالإيطاليين علي تكوين قوة جديدة، ساعدته علي الأحتفاظ باستقلاله وحينما شبت الحرب العالمية الأولي كان في وضع تابع لسلطان تركيا من الناحية الرسمية، ولكنه كان في حقيقة الأمر ثائراً يستعد لجولة جديدة في الكفاح ضد الدولة العثمانية.

و في الحجاز فإن سلطة الدولة كانت ثابتة ومدعمة أكثر من غيرها من الأقاليم العربية، نتيجة لإنشاء سكة حديد الحجاز حتي المدينة. الفعلي علي الحجاز منذ سنة ١٩٠٨ وحاول أن يوسع منطقته شرقاً علي حساب القبائل الخاضعة لابن سعود، ولكن سرعان ما ظهر الخلاف بينه وبين الحكومة العثمانية، وجمعية الاتحاد والترقي، حينما حاولت الدولة تطبيق نظام المركزية علي الحجاز، وعارض الشريف حسين في فرض نظام التجنيد الاجباري علي إقليمه. ولقد حاولت جمعية الاتحاد والترقي أن تتخلص منه بتعيين أحد الولاة علي الحجاز، يشرف علي شئونها الإدارية، ويترك الشريف السلطة الدينية علي



مكة والمدينة. ولكن هذه السياسة فشلت نتيجة لاقتراب الحرب العالمية الأولي، وحاجة تركيا إلي الاستناد إلي الإشراف في تعبئة الشعور الاسلامي، فاضطرا إلي عدم التشدد مع الشريف حسين.

تلك هي حالة الدولة العثمانية عشية الحرب العالمية الأولي، وكانت لا تبشر فعلاً ببقاء ولاء العرب لتركيا، في الوقت الذي لم يحصلوا فيه علي حقوقهم منها.

كان للشريف حسين ثلاثة أبناء: علي وعبد الله وفيصل، إمتاز الأول بدماثة الأخلاق، والثاني بحبه للسياسة والثالث بصراحته وحبه للحياة العسكرية. وكانوا جميعاً يمنون أنفسهم بالوصول في يوم من الأيام إلي القضاء علي النظام المركزي في الدولة العثمانية، وإعطاء الحجاز إستقلالاً ذاتياً تحت اشرافهم وستضطرهم الحوادث إلي العمل جديا للانفصال عن الدولة العثمانية.

وكان عبد الله نائباً عن مكة في مجلس النواب العثماني، وحاول أن يستغل مركزه في تقوية نفوذ والده علي الحجاز. وشعر رجال جمعية الاتحاد والترقي أن عبد الله كبير القيمة لوالده، وشديد التأثير عليه في الموقف الذي وقفه من الدولة. فحاولا استقطابه بتعيينه في منصب وزاري، أو في منصب والي اليمن، ولكن عبد الله رفض العرض، واحتفظ لنفسه بحرية العمل. وبينما كان الشريف رزيناً عميقاً في أفكاره، وصبوراً ينتظر سنوح الفرصة، كان ابنه عبد الله قلقاً، كثير الاعتداد بنفسه، وكان هذا هو سبب ذهابه لمقابلة اللورد كتشنر، ومحاولة معرفة موقف إنجلترا من الحجاز.

تمت هذه المقابلة في أوائل شهر فبراير سنة ١٩١٤م، حينما مر عبد الله بالقاهرة في طريقه من مكة إلي القسطنطينية، وكان اللورد كتشنر مندوباً سامياً في مصر في ذلك الوقت، ودار الحديث في حضور رونالدستور

السكرتير الشرقي للقنصلية البريطانية، وشرح عبد الله لكتشنر العلاقات التركية مع الشريف، وكان يعلم بعزم جمعية الاتحاد والترقي علي عزل والده، وذكر أن هذا الأمر سيؤدي - إلي ثورة في الحجاز، وحاول أن يعلم رد فعل الحكومة البريطانية في حالة وقوع صدام سافر بين الترك والعرب، لكن جواب كتشنر خيب آمال عبد الله إذ أنه ذكر أن إنجلترا تحتفظ بعلاقات ودية مع انجلترا، ولا يمكنها أن تتدخل بأي حال من الأحوال في مثل هذه الظروف، ولكنه كلف ستور بزيارة عبد الله مرة جديدة، وبمحاولة معرفة تفاصيل الموضوع أكثر من ذلك وتحدث عبد الله بصراحة أكثر في المرة الثانية، وشرح خطورة الحالة في الحجاز والاستعدادت التي كان والده يقوم بها، قبل أن يعلق الثورة علي الاتراك، بالرغم من أن الوصول إلي هذه النتيجة كان أمراً محتماً، ثم تحدث عن أهداف الحركة العربية وآمال قادتها. نتيجة لفشلهم في الوصول إلي حل مع الاتراك، وسأل عما إذا كان كتشنر يستطيع إمداد والده بالمدافع الرشاشة، ولكن ستور لم يقدم أي وعد لعبد الله، كرر له نفس الكلام الذي سمعه من كتشنر، ثم مر عبد الله بالقاهرة مرة جديدة قرب نهاية شهر ابريل عند عودته من القسطنطينية، ولكنه لم يحصل علي وعد بالمساعدة وفتحت هذه المحادثات أعين الإنجليز إلي اتساع الخلاف بين العرب والاتراك، والي المزايا التي يستطيعون أن يحصلوا لامبراطوريتهم عليها نتيجة التفرقة القائمة بين الزعماء المحليين في المنطقة.

وكان كتشنر قد خبر الحياة العسكرية، وحياة المخابرات في مصر والسودان، ثم شعر بأهمية الإسلام وحركة الجامعة الإسلامية عند شغله لمنصب القائد العام في الهند، وأخذت أنظاره بعد تعيينه مندوباً سياسياً في مصر تتجه إلي القسطنطينية مركز الخلافة، كثر من اتجاهه إلي القاهرة نفسها ولاحظ ازدياد النفوذ الألماني مع مشروع سكة حديد بغداد، وشعر

بتهديد الألمان لمركز بريطانيا في الخليج العربي وفي الهند، واعترف بخطأ انجلترا التي تركت النفوذ السياسي والاقتصادي والعسكري لألمانيا، يتوغل في الامبراطورية العثمانية، ويثبت أقدامه في عاصمتها، وأصبح شغله الشاغل أن يوقف هذا التغلغل، أو يعمل علي كسره إن لزم الأمر. وفكر كتشنر في اقتطاع الجزء الممتد من عكا أو حيفا حتي خليج العقبة من الدولة العثمانية، وفي وضعه تحت الحماية الإنجليزية، حتي يتمكن البريطاني من السيطرة علي كل الاقليم الممتد من مصر إلي الخليج العربي، وفكر في تشجيع الأقاليم العربية في الدولة العثمانية علي تكوين دولة مستقلة، أو سلسلة من الدول الصديقة لبريطانيا، وتمتد بذلك من سواحل البحر المتوسط في الغرب إلي الحدود الفارسية في الشرق، ويكون منها سداً انجليزياً - عربياً يقف في وجه السيطرة التركية الألمانية علي تلك المنطقة الاستراتيجية الهامة، وجاءت زيارة عبد الله مؤكدة له في أرائه، وفي الوسائل التي تمكن انجلترا من الاستفادة من الشرق العربي، وكان عبد الله يمثل في هذه المرحلة أراء الوطنيين العرب، إذ أنه كان عضواً في الجمعيات العربية الوطنية، وإن كان يزيد عليهم في اعتقاده بأهمية الوصول إلي تفاهم عربي - انجليزي علي الموضوع(٤).

وأعلنت الحرب العالمية الأولي في اغسطس سنة ١٩١٤ وكان كتشنر حينئذ في انجلترا فلم يعد إلي القاهرة إذ أنه شغل منصب وزير الحربية البريطانية، وبدأ يهتم بضرورة تعبئة كل موارد الامبراطورية في هذه الحرب، والاستفادة من كل الفرص التي تسمح لها بالنجاح، ولم يغب الموقف في الشرق العربي عن بال كتشنر، خاصة وأن منطقة إستراتيجية في غاية الأهمية بالنسبة لمواصلات إنجلترا مع الشرق، وكانت جمعية الاتحاد والترقي قد اكدت عزمها علي الابقاء علي الدولة العثمانية في حالة حياد، ولكن ازدياد النفوذ الألماني في هذه الدولة كان تهديداً كبيراً للإمبراطورية البريطانية التي كان

يهمها السيطرة التامة علي مصر، وإبعاد النفوذ الألماني عن هذه المنطقة، ولذلك فإن كتشنر قد سمح للسلطات البريطانية في مصر بالأتصال بعبد الله، ومحاولة معرفة المعسكر الذي سينضم إليه العرب في حالة دخول تركيا الحرب. وكان الإنجليز يفضلون بطبيعة الحال أن ينضم العرب إليهم، حتي يؤمنوا علي مراكزهم في مصر وفي السودان.

وجد الشريف حسين نفسه في مركز حرج، إذ أنه كان يبحث منذ بضعة أشهر عن الوسائل التي تمكنه من تدعيم سلطته علي الحجاز، ولو عن طريق الثورة علي الأتراك، ولم تكن الحرب قد أعلنت بعد، ولكنه وجد أن مصير كل الأقاليم العربية قد اصبح في الميزان خصوصاً إذا ما دخلت تركيا الحرب، وكان إنشغال تركيا في الحرب أحسن وسيلة تمكن العرب من الحصول علي مطالبهم ولكن هل كان علي العرب أن يقفوا إلي جانب تركيا في خلال هذه الحرب، ويحصلوا علي ثقتها؟ أو يثوروا ضدها في هذا الوقت العصيب، ويحاولوا الحصول علي استقلالهم بحد السيف؟ كان فيصل من أنصار الرأي الأول، وكان يعرف أن فرنسا تطمع في سوريا، كما أن انجلترا كانت تطمع في العراق، واستند إلي أن كتشنر لم يتعهد رسمياً أو يضمن عدم وقوع هذه الأخطاء، وكان لا يعتقد أن تنظيم العرب واستعدادهم يسمح لهم بالنزول إلي المعركة. وأن ثورتهم ستفشل. أما عبد الله فإنه كان أكثر أملاً في هذه الحركة العربية، نتيجة لانضمامه إلي احدي الجمعيات الثورية العربية. وشعر أن كلا من دمشق وبغداد سيلبي نداء الثورة ضد الأتراك، فحاول إغراء والده علي عدم رفض المحادثات مع الإنجليز، وإغرائه عي أن يحاول الوصول إلي أن يضمن الانجليز استقلال العرب في حالة ثورتهم علي تركيا.

استقر رأي الشريف حسين علي كسب الوقت من الإنجليز كما تدل علي ذلك من مراسلاته مع مكماهون(٦)، ومحاولة إرسال مندوبين إلي سوريا وإلي

رؤساء العرب لمعرفة در. ة استعدادهم للنزول إلي المعركة فطلب إلي ابنه عبد الله كتابة رد السلطات البريطانية في القاهرة بأنه راغب في الوصول إلي تفاهم مع بريطانيا حول المز. ع، ولكنه غير قادر علي أن يبتعد عن حياده، ثم ذكر أنه سيقود رجاله إلي الثورة في حالة تشبث الاتراك، علي شرط أن تعده انجلترا بمساعدة فعلي ، والملاحظ في هذا الخاب أن حسين لم يتحدث إلا عن رجاله هو، وعن الحجاز دون أن يشير إلي بقية الأقاليم العربية في الدولة العثمانية، ولقد وصل هذا الخطاب إلي لندن عن طريق القاهرة قرب نهاية شهر أكتوبر، أي في نفس الوقت الذي وصل فيه تقرير الجنرال ماكسويل، ناضجاً بضرورة الاتصال بالعرب في الحجاز واليمن، واغرائهم علي الثورة ضد الاتراك، وكان ماكسيل هو قائد قوات جيش الاحتلال البريطاني في مصر، ومن اصدقاء كتشنر الذين ساهموا معه في الاحتلال البريطاني لمصر والسودان وجاء رد كتشنر في ٣١ أكتوبر مبتدئا بإعلان دخول تركيا الحرب، ومشتملاً علي وعد صريح للحسين بأن الحكومة البريطانية تضمن بقاءه في منصب شريف مكة، وتضمن كل ماله من حقوق وامتيازات، وتدافع عنه ضد كل اعتداء حالة دخوله الحرب إلي جانب انجلترا وضد تركيا، كما أنه اشتمل أيضاً علي وعد عام بتأييد العرب في محاولتهم الحصول علي حريتهم، علي شرط أن يعلنوا تحالفهم مع انجلترا وانتهي بأن أكد الشريف امكانية الاعتماد علي اعتراف انجلترا به إذا ما أعلن نفسه خليفة للمسلمين(٧).

وصلت هذه البرقية إلي عبد الله في يوم ١٦ من نوفمبر وسيكون لها أكبر الأثر عليه، خاصة وأن موقفه كان قد تحرج مع الاتراك. وأعطت هذه البرقية للحسين نفس التأكيدات التي كان يسعي إليها بالنسبة للحجاز، كما أنها فتحت مجالاً جديداً أمامه بالنسبة لبقية انحاء العالم العربي، وتحدثت البرقية عن «الأمة العربية» وعن تحرير العرب، وكانت تهدف إلي دفع العرب

إلي القيام بثورة مسلحة ضد الأتراك، ورد عبد الله باسم والده موافقاً علي سياسة التحالف مع بريطانيا. ولكنه شرح عدم مقدرة الشريف علي القيام بأي عمل عدائي صريح ضد الاتراك، قبل أن يتم الاستعدادات الضرورية، وطلب مهلة تسمح له بإعداد قواته وانتهاز الفرصة المواتيه للانفصال عن تركيا ووعد بالكتابة مرة جديدة.

ووصل هذا الرد إلي القاهرة في أوائل شهر ديسمبر سنة ١٩١٤ وبدأت به صفحة جديدة من صفحات المؤامرة الانجليزية في الشرق الأوسط. وستبدأ الصفحة التالية في يوليو سنة ١٩١٥ بمذكرة من الشريف إلي مكماهون، بعد أن قام مباحثاته ومفاوضاته مع رؤساء العرب وقاد الحركة العربية(٨).

كان دخول تركيا الحرب إلي جانب ألمانيا والنمسا أكبر مساعد علي تدخل الدول الأوربية في المسألة العربية، فبدأت هذه الدول وخصوصاً انجلترا تهتم جيداً بموقف العرب من هذه الحرب. وكانت الامبراطورية العثمانية باحتلالها لسوريا والعراق، تهدد انجلترا في منطقتين هامتين هما قناة السويس ومنطقة الخليج العربي التي تقع ابار بترول الشركة الإنجليزية الفارسية بالقرب منها، كما أن سيطرة الاتراك علي سواحل البحر الأحمر كانت تسمح لهم بالإتصال بمصر والسودان، والتوغل في القارة وخلق المصاعب أمام الدول الاستعمارية. كانت تركيا تحتفظ بقوتين عسكرتين في اليمن، يمكنها أن تهدد بهما قاعدة عدن تهديداً مباشراً، أما من الناحية السياسية والنفسية فإن إعلان السلطان للجهاد شريف مكة عليه كان يهدد بتحويل الحجاز إلي مراكز ثورة ودعوة إسلامية، تعمل علي اثارة الشعوب الاسلامية غير العربية والتي كانت تخضع لحكم «الحلفاء» في الهند والبلقان ووسط آسيا، وشمال افريقية وغربها(٩).

وكان اعلان الجهاد يمثل أمام الحلفاء أكبر خطر قد ينشأ من هذه



المنطقة، وكان الحلفاء يعلمون أن تركيا ستعمل بمجرد اعلانها الحرب علي اثارة العالم الاسلامي ضد الدول المختلفة وتوحيدهم للكفاح المشترك تحت راية الاسلام، ولا يمكن لأحد أن يتغافل أهمية العامل الديني بين شعوب هذه المنطقة، التي قاست من المستعمرين، خاصة وأن اعلان الحرب كان فرصة فريدة لتوحيد الشعوب الاسلامية للكفاح المشترك، ومحاولة تخليص بلادهم واعادة عزة اجدادهم الأوائل. وكانت آراء الجامعة الإسلامية في حد ذاتها تلقي قبولاً وتأييداً من كل المسلمين وكان ظهور حركات الاصلاح والتحرر الاسلامي في اقاليم متعددة في هذه المنطقة أكبر دليل علي تقارب التفكير والشعور والوجدان بين شعوبها(١٠).

الهوامش:

١- راجع، خالد محمد القاسمي، الخليج العربي في السياسات الدولية، قضايا ومشكلات، شركة ...... للنشر والترجمة والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦ ص ٤ ٣٣ .

٢- راجع التفصيل ذلك في الفصل الثالث من الكتاب - «المخلف».

٣- راجع: محمد المانع، م.س، ذ ص ص ٤ - ١٣.

٤- المرجع نفسه.

٥- راجع في تفصيل ذلك، دكتور . جلال ......، م.س.ذ.

٦- راجع أمين الريحاني، ملوك العرب، بيروت، الجزء الثاني ص ٢٠ - ص ٣٢. وراجع أيضاً لنفس المؤلف، تاريخ نجد الحديث ص ٢٠١ - ص ٢٠٩ .

٧- راجع تفصيل مراسلات الشريف، مكماهون في ملف وثائق فلسطين، اصدار الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة ١٩٧٥م.



٨- المرجع نفسه.

٩ المرجع نفسه.

١٠- دكتور جلال يحيي، م.س.ذ وفيما يتعلق بآراء جلوب عموما حول علاقات بريطانيا بالشريف حسين، راجع:

Glub, sir. j. B. Britain and the Arabs, AStory of Fifty years, 1908-1958, Loudon, 1959



الفصل الثالث

الملك عبد العزيز آل سعود

ولد عبد العزيز آل سعود في عام ١٨٨٠ وقاسي في صغره من تشريد أسرته من إماراتها. و.ـ.ـف أن السبب الرئيسي في القضاء علي إماراتهم هي الدولة العثمانية التي دفعت آل الرشيد في شمر إلي الهجوم علي الرياض. ولم ينسي عبد العزيز ذلك للأتراك ولقد كانت حياة عبد العزيز قريبة من الشيخ مبارك آل الصباح في الكويت أكبر مساعد له تفهم معني السياسة وألاعيبها وخدعها، وتضارب المصالح بين القوي والزعامات الوطنية من ناحية، وبينها وبين القوي الإستعمارية من ناحية أخري. فرأى محاولات الشيخ مبارك آل صباح للتحرر من النفوذ العثماني، وعقدة معاهدة مع السلطات البريطانية في الهند، يضع بها مشيخته تحت الحماية الإجنبية. وكان الشيخ مبارك قد بدأ حياته السياسية بأغتصاب المشيخة من أخويه بعد أن قتلهما، وحينما حاولت السلطات العثمانية التدخل في الأمر، وضع الشيخ مبارك نفسه ومشيخته تحت الحماية البريطانية. وكانت كل من ألمانيا وروسيا تعمل جاهدة علي وضع أقدامها في منطقة الخليج العربي. ولكن الشيخ مبارك أستعان ببريطانيا عليهم. ونشأت بهذه الطريقة قوة جديدة تعارض الدولة العثمانية، وتحول فرض الحماية البريطانية. علي الخليج العربي. وتلقي عبد العزيز آل سعود أول دروس له في السياسة علي أيدي رجالها.(١)

وكان عبد العزيز آل سعود يرغب في الإنتقام من آل الرشيد الذين إستولوا علي إمارت أجداده. وكان ابن الرشيد يمثل السياسة العثمانية في وسط الجزيرة العربية أصدق تمثيل. فكان هذا علامة أساسية في تطابق المصالح بين آل الصباح وآل سعود. وما أن يلغ الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن سن العشرين حتي ساعدة الشيخ مبارك ببعض الأموال والرجال،

مناوءة آل الرشيد وإبعادهم ونترك محمد المانع يسرد أحداث هذه الفترة قائلاً:

«وحاولت الدولة العثمانية التدخل في الأمر، خاصة وأن بعض أفراد أسرة «حينما جلت أسرة آل سعود من الرياض سنة ١٨٩٠م إلتجأت أول الأمر إلي البحرين حيث رحّب بها حاكمها الشيخ عيسي بن خليفة. وقد شعر هذا الشيخ عيسي بن خليفة. وقد شعر هذا الشيخ بمودّة تجاه الأمير الشاب، عبد العزيز، وأصبح صديقاً ومستشاراً له طيلة حياته. ومع أن ترحيبه بالأسرة السعودية كان عظيماً وأن ضيافته لها كانت كريمة فإنه لم يكن في مقدوره مايعمله ليساعدها في إستعادة حكمها. ومن هنا فإن عبد الرحمن بن فيصل قرر بعد فترة قصيرة أن لايركن إلي الراحة. فذهبت الأسرة وتباعها إلي قطر، حيث أتضح أيضاً عدم فائدتها كقاعدة قوة. وكان أن قضت الأسرة زمناً تنتقل مع قبيلة آل مُرّة في الربع الخالي. وكان لدي عبد الرحمن أمال في أن يستطيع إقناع رجال القبيلة هناك ليقوموا بثورة علنية. لكن أماله لم تحقق. ذلك أنه كان لدي أولئك البدو الأشداء من مشاكل حياتهم في تلك الصحراء المقفرة مايكفيهم عن الإهتمام بمن يسيطر علي مدينة الرياض البعيدة عنهم. وفيما عدا بعض الغزوات المتقطعة لم ينجز عبد الرحمن من الأعمال مايمكن أن يؤثر حقيقة في سلطة آل رشيد. لكن الإقامة في الربع الخالي لم تخل من فائدة، فهو من أشد الصحاري علي وجه الأرض قسوة. والبقاء فيه والتجوال حوله والقتال عليه أمور تحتاج إلي مهارة فائقة. ورجال آل مرة لديهم هذه المهارة. وقد لقنوا الشباب عبد العزيز كثيراً منها. وهذا أكتسب ذلك الأمير خبرة في أمور الصحراء ستظل مفيدة له فائدة عظيمة طيلة حياته.

وأخيراً وجدت الأسرة السعودية لها ملجأ ثابتاً في الكويت حيث حلت في ضيافة الصباح. وهناك أمضي عبد الرحمن بن فيصل وابنه حوالي عشر

سنوات بلغ الأمير عبد العزيز خلالها سن الرجولة. ولا شك أن الشيخ مبارك كان يعتبر إستضافته للأسرة السعودية ذات الشهرة العالمية عملاً جليلاً يرفع مكانته في وسط جزيرة العرب. ومن المؤكد أنه قد يطمح إلي توسيع نفوذه بمساعدته لعبد الرحمن وابنه علي محاربة ابن رشيد. ولهذا السبب أمدهما بالرجال والإبل والمؤن ليقوما بغزوات متعددة داخل نجد. وقد استطاع عبد الرحمن، أيضاً، أن يحصل علي مساعدة مالية صغيرة علي شكل تقاعد من السلطات التركية في البصرة. وقد يبدو هذا الأمر غريباً إذا كان الأتراك، أيضاً، يساعدون ابن رشيد.

لكن من الواضح أنهم لم يكونوا مخادعين أو أغبياء. كانت سياستهم ببساطة أن يقدموا مساعدة لأي أمير عربي يبدو جديراً بها. وكانت السياسة الداخلية في جزيرة العرب في وضع لايتوقع من الأتراك أن يدركوا خفاياه ويعرفوا من كان من الزعماء يغزوا الأخر في الصحراء.

ولما بلغ الأمير عبد العزيز بن سعود عشرين سنة من عمره كان قد أتضح أن الله قد ميزه عن غيره وهياه لأمور عظيمة. كان يمتاز عن رفاقه من حيث اللياقة الجسمانيّة إذ كان طول قامته ستة أقدام وبوصتين. وهذا طول أخاذ غير عادي بالنسبة لرجل من صحراء بلاد العرب . وكان كل شئ أخر من ملامحه في مستوي عظيم؛ من أنفه القوي البارز إلي شفتيه الممتلئتين، إلي لحيته الجميلة. فكانت لديه الهيئة الطبيعية للملوك. أما بالنسبة للفروسية فكان من عظمائها. وكان منذ صباه يحمل جاذبية وعظمة يتعذر علي عرفهما أن يصفهما بالكلمات المجردة.(١)

وباختصار كان قد ولد قائداً. وقد تمكن وهو لايزال في الكويت أن يجتذب إليه مجموعة لها وزنها من الأتباع الشخصيين.

وما أن حلت سنة ١٩٠٠م حتي اقتنع الشيخ مبارك بمساعدة عبد الرحمن بن فيصل في حملة عسكرية كبيرة ضد ابن رشيد. كان مبارك في

وضع قوي لأنه متصل بالخليج العربي بينما كان ابن رشيد محصوراً في نجد. ومن المحتمل أن الشيخ مبارك كانت تراوده حينذاك، آمال في ضم جزء من وسط الجزيرة العربية إلي نفوذه. ومن هنا جهز جيشاً ضخماً وفيه عدد من زعماء قبائل مهمة، كفيصل الرويشد، وإتجه نحو القصيم. وبالرغم من إنضمام مجموعة قوية من قبيلتي العجمان ومطير إلي الحملة فإن نهايتهما كانت كارثة . ذلك أن عبد العزيز بن رشيد هزم الشيخ مباركاً وعبد الرحمن بن فيصل في معركة الصريف قبل بريدة. ثم تعقب فلول جيشهما إلي الكويت دون هوادة. ولم يستطع الشيخ مبارك أن يصد هجوماً علي الكويت ذاتها إلا بإقناع البريطانيين أن يرسلوا طرداً بحرياً يقصف معسكر ابن رشيد مما أجبر هذا الأخير علي أن ينسحب إلي عاصمته حائل.(٢)

كان الشيخ مبارك قد أتفق مع الأمير عبد العزيز بن سعود، عشية معركة الصريف، علي أن يتجه الأمير نحو الرياض بينما يتجه مبارك وعبد الرحمن بن فيصل لمحاربة ابن رشيد في القصيم. وكان هذا الإجراء يهدف إلي أمرين: إشغال الخصم بمعارك جانبية وتمكين الأمير من إختبار حظه في إستعادة الرياض عاصمة أجداده. وبينما كان الأمير في طريقه نحو الجنوب هاجم فريقاً من قبيلة قحطان كان في روضة سدير، وقتل زعيمه نزهان بن مريحة. ثم هاجم فريقاً آخر من قحطان كان بزعامة فيصل بن حشر آل عاصم. وحين وصل إلي الرياض لم يلق مقاومة، فاستطاع أن يدخلها برجله. وكان أهل الرياض تواقين لإستقبال أى فرد من آل سعود لشدة تبرمهم من حكم آل رشيد. (٣) وقد لجأ أمير بن رشيد، عبد الرحمن بن ضبعان، مع رجاله إلي قلعة المدينة حيث تم حصاره. وحين رأى عبد العزيز أن الحصار قد يطول حاول أن يحفر نفقاً تحت القلعة. ولكنه علم بعد ثلاثة أيام بهزيمة أبيه والشيخ مبارك في الصريف فدعا كبار أهل الرياض وأخبرهم أنه ذاهب لجمع

أعواناً من القبائل المجاورة ثم يعود إليهم. وكان ذلك في الحقيقة مجرد حجة لمغادرة المدينة بعد أن أصبح موقفه حرجاً حينذاك. أما أمير بن رشيد فكان لابد له أن يظل محصوراً في القلعة مع رجاله مثل «أرانب في جحرها» علي حد تعبير بن سعود. وبعد أن غادر عبد العزيز الرياض اتجه جنوباً نحو يبرين علي حافة الربع الخالي. ومضي من هناك إلي قطر حيث أبحر مع عدد قليل من رفاقه إلي البحرين ثم عاد إلي الكويت علي قيادة الشيخ مبارك، وأن عليه أن يضع، مستقبلاً، خطته الخاصة به للإستيلاء علي الحكم. وقد عزم علي أن يقوم بحملة أخري ضد الرياض في المستقبل القريب دون أن يطلب مساعدة الشيخ مبارك».(٤)

وكان إختيار مدينة الرياض مهما لأنها كانت مقر حكم آل سعود، وكان لأبن الرشيد فلم تكن تلك المدينة ذات أهمية خاصة . وكانت، كغيرها من المدن التابعة له، تدار من قبل حاكم تساعده حامية صغيرة. ولعل من الإنصاف لكل من حاكمها عجلان وبن رشيد نفسه أن يقال أن أهل الرياض لم يكونوا يحكمون بطريقة تعسفية خاصة خلال السنوات التي كانت فيها مدينتهم تحت حكم آل رشيد . ومع ذلك فقد كان هناك زعماء ورجال قبائل كثيرون غير راضين بالتبعية لابن رشيد، وكان يسعدهم جداً أن يروا آل سعود يستعيدون مكانهم الشرعي في نجد.

ومن المحتمل جداً أن مدينة الرياض كانت سنة ١٩٠١م – كما يرى المانع محاطة بسور خارجي مبني من الطين يبلغ إرتفاعه حوالي عشرين قدماً وفي كل جهة من جهاته الأربعة بوابة ضخمة. وكانت المدينة ذاتها صغيرة لدرجة أن عرضها لم يكن، علي الأرجح، أكثر من ألف وخمسمائة متر في أوسع نقاطه. وكان في داخلها طرقات متعرجة يبلغ ضيق بعضها حداً يجعل من الصعب أن يسير فيها رجلان جانباً إلي جانب.



كانت المساحة المفتوحة الوحيدة فيها هي السوق المركزي الذي كان قد أغتصبه بن رشيد من الجانب الآخر . وكان يوجد قربه سوق صغير معد للنساء وكانت جميع بيوت المدينة مبنية من لبن الطين. وكان حوالي نصفها من طابقين . أما بقيتها فكانت من طابق واحد. وكانت الجهة الخارجية لجدرانها خالية من أي معامل سوي نوافذ صغيرة تري في بعضها أحياناً.

وكانت مدينة الرياض قبل سنة ١٨٩٠ م محاطة ببساتين النخيل البديعة. لكن حينما حاصرها محمد بن رشيد قطع كثير من أشجارها دون مبرر. وكان ذلك العمل مما رس البغض المستمر في نفوس السكان. وكانت عملية إقتحام ابن رشيد لاستحكامات المدينة قد سبب أضراراً بالغة لسورها الخارجي. ولم يفكر هو لا ابن أخيه من بعده أبداً بأنه يستحق أن يصلح من جديد. فظلت مواضع كثيرة منه متهدمة. ومع ذلك بقيت المدينة صعبة الإقتحام. كان في كل بوابة من السور برج يحتله رجلان أو ثلاثة رجال للحراسة. ومع أن جدران السور كانت بدون حراسة فقد كان بالإمكان أرسال رجال إليها بسرعة متي دعت الضرورة. وكان في داخل المدينة قلعة مركزية قوية تضم حماية مكونة من خمسين أو ستين رجلاً. ونتيجة لهجوم عبد العزيز بن سعود الأول علي الرياض كان يدرك أنه لايملك القوة الكافية للإستيلاء عليه بالقوة. ومن هنا خطط أن يستوي عليها بالحيلة.(٦)

ومرة أخري أتصل بن سعود بالشيخ مبارك طالباً مساعدته، خاصة بالإبل التي كان يحتاج إليها. ومن المحتمل أنه أخبره بأنه مخطط لغزو، لكنه لم يشر إلي حقيقته لئلا يجعله يظن أن نجاحه بعيد الإحتمال. وأعطاه الشيخ علي مضض ما كان يريده من الإبل. ولم يكن ستغرباً أنه لم يعطه أحسن إبله، وإنما أعطاه من حثالتها أربعين بعيراً مريضة كبيرة السن. وإختار الأمير عبد العزيز عدداً قليلاً من أتباعه المخلصين ليسيروا معه. وفي نهاية عام ١٩٠١م،

وعمره لايتجاوز إحدي وعشرين سنة، كان مستعداً ليقوم بمغامرته الكبري.أمضي بن سعود ورفاقه حوالي عشرة أيام منذ إنطلاقهم من الكويت حتي وصلوا إلي الرياض. وكانوا يسيرون ليالٍ ويختفون نهاراً بين الصخور ،ككثبان رمال الصحراء. وحين وصلوا إلي ضواحي الرياض في يناير سنة ١٩٠٢م كمنوا بين الشجيرات الموجودة هناك حتي خيم عليهم الليل. ولما كان يتحلي عبد العيز طيلة حياته من إحتفاظ بسر تحركاته فإنه لم يطلع أحد علي حقيقة نواياه حتي تلك اللحظة. وفي هجعة الليل خاطب رفاقه بقوله : أصدقائي الكرام المخلصين . إني عازم علي دخول المدينة والإستلاء عليها الليلة. فمن يرغب مرافقتي فأهلاً وسهلاً. ومن هو متردد فليبقي في مكانه . وإذا طلع الفجر ولم تتلقوا مني أي كلمة فاهربوا لإنقاذ حياتكم. وإذا كتب لنا النجاح فمن أراد أن ينضم إلينا فحياه الله.(٧)

بدا طلب عبد العزيز ميؤوساً منه لدرجة أنه لم يتطوع لدخول المدينة معه إلا حفنة من رجاله في طليعتهم ابن عمه عبد الله بن جلوي. وقاد الأمير هذه القوة الصغيرة إلي جانب السور كان يعلم أنه مناسب لهدفه . وإستطاعت تلك القوة بالحبال والكلايب الحديدية أن تتسلق السور وتدخل إلي المدينة دون أن يلاحظها أحد. وكان كثير من بيوت الرياض ملاصقاً لسورها لدرجة أن السور ذاته كان يشكل الجزء الخلفي منها. وحين تسلق الأمير وأصحابه السور وهبطوا علي سطح بيت رجل كان خادماً في القصر أيام حكم أبيه.(٨)

وكانت زوجة ذلك الرجل في حقيقة الأمر قد ربت الأمير في أيام طفولته. ولما نزل مع رجاله من سطح البيت إلي باحته وجدوا المرأة تعتني بمعزها فصاحت : من هناك؟ فقال لها الأمير» بس . ما فيه غير عبد العزيز». وحين أدركت أن ذلك كان حقيقة فاضت دموعها من الفرح ورحبت به ترحيباً حاراً. فقل لها الأمير: يكفي ما سمعته من كلمات الترحيب وأخبريني عن كل ما

تعلمين عن عجلان أمير الرياض. ومرت فترة قصيرة قبل أن تدلي المرأة بما لديها من معلومات. وحين هدأت من صدمتها صارت حريصة علي أن يشاركها ضيوفها غير المتوقعين حليب معزها. لكن عبد العزيز أصر علي أن تجيبه أولاً عما طلبه منهافأخبرته أن من عادة عجلان أن ينام ليلاً في القلعة التي كانت بطبيعة الحال موصودة الأبواب كثيفة الحراسة. وبعد صلاة فجر كل يوم يخرج من القلعة عن طريق بوابتها الرئيسية ويدخل بيتاً مقابلاً لها تماماً كان يمتلكه وتسكنه إحدي زوجاتهوكان من الواضح أن تلك اللحظات أنسب وقت لمداهمة عجلان . ومن هنا قرر الأمير أن يضرب ضربته خلالها.(٩)

تسلل عبد الله عبد العزيز ورجاله دون أن يراهم أحد عبر الشوارع الصامته ودخلوا بيتاً خالياً قرب بيت زوجة عجلان. ثم صعدوا إلي سطحه وقفذوا من سطح إلي أخر حتي وصلوا إلي بيت الزوجة المذكورة. وبهدوء تام دخلوا غرفتها. وقد عثر أحدهم فأيقظها. لكن قبل أن تتفوه بأيه كلمة وضع عبد العزيز يده علي فمها وهمس إليها أن تصمت، وأخبرها أن حياتها ستكون أمنه إن هي لزمت الصمت والهدوء . وحينئذ خذ هو ورجاله يشربون من قهوة عجلان. وظلوا ينتظرون بزوغ الفجر وظهور عدوهم من القلعة. وكان بناء البوابة الرئيسية للقلعة بناء تقليدياً . كانت كبيرة بحيث تكفي أن يمرعبرها عدد كيبر من الرجال والأبل. وفي وسطها خوخة تحت الحراسة الدائمة . وكانت هذه الخوخة مصممة علي أساس أن لا يمر عبرها الإنسان إلا إذا أحني رأسه مما يتيح للحارس أن يتغلب عليه دون صعوبة إذا إتضح أنه غير مرغوب فيه . ولم يكن هناك سوي تسع ياردات بين تلك البوابة وبين بيت عجلان.

وبعد صلاة الفجر ظهر عجلان. كما كان متوقعاً ، عبر خوخة البوابة إلي الشارع. وكان عبد العزيز يراقب تحركه من خلال ثقوب في باب المنزل. وقف



عجلان المغرم بالخيول، كعادته ، يلاطف خيله المربوطة خارج القلعة. وكان عبد العزيز قد خطط أن يهجم عليه بعد دخوله إلي منزله.، لكن منظر عدوه علي بعد خطوات قليلة منه كان فوق ما يستطيع تحمله. وفي صحيحة عنيفة من صيحات الحرب غفتح الباب وأنقض علي عجلان بهجوم مفاجئ. ومع أن عجلان أخذ علي حين غرة فقد أستطاع أن يدافع عن نفسه لمدة كفته أن يتقهقر إلي بوابة القلعة. وبينما كان يهم بدخولها عبر الباب الصغير أمسك به عبد العزيز من ساقه وحاول أن يسحبه إلي الوراء. لكن عجلان إستطاع أن يفلت من قبضته ويلقي بنفسه داخل القلعة حتي وصل إلي مسجدها وعبد العزيز ورجاله يطاردونه بلا هوادة. وكان أن قتل داخل المسجد بسيف ابن عم عبد العزيز، عبد اله بن جلوي آل سعود.(١٠)

أما الحامية فقد شلتها المفاجأة عن أية حركة. وكان أغلب رجالها في الطابق الأول من القلعة. وبذلك لم يكن لديهم وقت كاف للنزول ونصرة عجلان. وكانوا جماعة متنافرة التكوين تشتمل علي أفراد من قبيلة شمر وبعض الخدم والحرس الشخصيين، وكانوا قد فقدوا معنوياتهم تماماً نتيجة لصدمة الهجوم وموت قائدهم، كما أنهم خدعوا بجسارة هجوم عبد العزيز فظنوا أنه قد غزا المدينة بقوة كبيرة، وقبل أن يكون لديهم من الوقت ما يكفي للتفكير في القيام بأي عمل مضاد انطلق عبد العزيز بشجاعة إلي وسط الباحة وأعلن نفسه لهم قائلاً: لا معني للمقاومة الآن بعد موت عجلان. ثم وعدهم بالإبقاء علي حياتهم إذا استسلموا وكان أن ألقي رجال الحامية سلاحهم فوراً ووضعوا في زنزاناتهم ولم يقتل من أتباع ابن رشيد سوي عشرة رجال، أما أتباع عبد العزيز بن سعود فلم يفقد منهم رجل واحد.

وفي لحظة النصر صعد أحد رجال عبد العزيز إلي أعلي برج في القلعة وأعلن في المدنية: «الحكم لله ثم لعبد العزيز بن سعود أنتم في أمان وضمان».



وهكذا بعد اثنتي عشرة سنة من النفي استعاد ذلك الأمير عاصمته من ابن رشيد، وبقي عليه أن يفوز ببلاده كلها.(١١)

الهوامش:

١- محمد المانع، توحيد المملكة العربية السعودية ، ص ص ٣٦-٤٨.

٢- راجع : خالد السعدون، العلاقات بين نجد والكويت ١٣١٩-١٣٤١ هـ . ١٩٠٢-١٩٢٢م، الرياض، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م.

٣- المرجع نفسه وراجع أيضا محمد المانع ، م.س.ذ.

٤- محمد المانع ، م.س.ذ.

٥- المرجع نفسه

٦- راجع الرواية أمين سعيد، الخليج العربي فى تاريخه السياسي ونهضته الحديثة، دار الكاتب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ إصدار.

٧- محمد المانع ، م.س.ذ.

٨- راجع جواهر بنت عبد المحسن بن جلول، دور عبد الله بن جلول آل سعود فى تأسيس المملكة العربية السعودية ، رسالة ماجستير بإشراف الباحث، كلية الآداب ، الدمام ١٩٨٨م.

٩- المرجع نفسه.

١٠- المرجع نفسه، وراجع أيضا محمد المانع ، م.س.ذ.

١١- محمد المانع ، م.س.ذ.

الفصل الرابع

نجد والكويت

أفادت جهود الملك عبد العزيز آل سعود في توحيد الجزيرة العربية ونقل مجتمعاتها البدوية والقبلية إلي نظام اتسم بالاستقرار والقوة تحت راية مركزية وطنية قوية علي أجزاء الجزيرة وسواحل الخليج ذاته، وأصبح ذلك بمثابة محور أساسي في صنع السياسة السعودية.

وقد سبقت الإشارة أن بريطانيا لم تنظر بإرتياح إلي نشوء الدولة السعودية التي نافستها في الخليج وبسطت سيطرتها عليه خلال المرحلة الأولي وفي عهد الأئمة سعود وتركي وفيصل، غير أن الخلافات التي نشبت بين أبناء الإمام فيصل في أواخر القرن الثامن عشر أضعفت الدولة فاستولي آبن رشيد علي الرياض سنة ١٣٠٧هـ (١٨٩١م) وسيطر علي نجد.

وجدد الإمام عبد العرير بن عبد الرحمن الفيصل الدولة في سنة ١٩٠١ وظل يواصل بسط نفوذ ال سعود علي أجزاء نجد الوسطي وفي صيف سنة ١٩٠٥م أرتحل الي الطرف الجنوبي الذي يمثل شبه الجزيرة قطر وبعث برسالة إلي شيوخ ساحل الخليج معبراً عن أمله في زيارتهم. وتذكر المصادر(١) أن حكام الشارقة وعجمان ومسقط أعربوا عن مخاوفهم تجاه عبد العزيز، وقد شجعهم بيرسي كوكس المندوب البريطاني في البحرين حيث بعث برسالة تحذير إلي الأمير (الملك فيما بعد) عبد العزيز من أن أي تدخل من جانبه في شئون ساحل عمان لن يجد ترحيباً من الحكومة البريطانية، وقد رد عبد العزيز علي هذا التحذير في شهر فبراير ١٩٠٦ بالرسالة التالية:

عن طريق مبارك شيخ الكويت ...

«تعرف سيادتك أن أهل عمان كانوا علي اتصال بنا منذ الأيام التي كنا فيها في الكويت، وكنا نبعث إليهم بالكتب والرسائل ولكنني أقسم بالله أننا لم

نكن مدفوعين إلي ذلك بأية عوامل أو حوافز أخري، ونحن لم نشر في هذه الرسالة إلي أية شئون نري فيها أي ضمير، إلا إذا كانت قد وقعت بعض أمور لم نهتم بها. فوالله لم نكن نقصد أي ضرر أو أذي». (٢)

والواقع أن سياسة عبد العزيز آل سعود كانت ترمي إلي إقامة علاقات ود وتفاهم مع بريطانيا، وكان يرغب في طرد الأتراك من كل القصيم والإحساء، وتقدم بعروضه ثلاث مرات إلي المقيم السياسي البريطاني في عام ١٩٠٦م، وقد حمل إحداها رسول شخصي وتوسط في ثانيها شيخ قطر، وفي ثالثها شيخ الكويت، وكان يطلب في عروضه الثلاثة إشراكه في نظام الإمارات، غير أن بريطانيا رفضت هذه العروض لأنها كانت تخشي أن يؤدي قبولها إلي ارباك علاقاتها مع الدولة العثمانية. وقد اتجه عبد العزيز بنفسه لصنع الأحداث العامة في شرق الجزيرة العربية حيث انطلق في شهر مايو سنة ١٩١٣ من نجد وطرد الحامية والإدارة التركيتين من الإحساء وأعلن أنه سيحكم هذه المنطقة بعد ذلك التاريخ قائلاً :

«... وها نحن استولينا اليوم علي بلاد آبائنا وأجدادنا في الإحساء والقطيف وملحقاتها، وبعث بصورة من هذا الإعلان إلي بيرسي كوكس المقيم البريطاني في الخليج في ١٣ يونيو ١٩١٣ وأضاف قائلاً (٣):

«وبالنظر إلي مشاعري الودية تجاهكم، أود أن تكون علاقاتي معكم كالعلاقات التي كانت قائمة بينكم وبني أسلافي، كما أود أن تظل قائمة بينكم وبين».

وأجاب بيرسي كوكس علي هذه الرسالة في ١١ سبتمبر من نفس العام قائلاً:

«أنا مخول من حكومتي أن أؤكد لك، أنك إذا تعهدت من جانبك بالامتناع عن كل عمل يؤدي إلي اضطراب الوضع الراهن أو إلي إثارة القلق لدي الإمارات العربية التي يرتبط حكامها بالحكومة البريطانية في علاقاتهم، وبينها إمارة قطر، التي اعترفت الحكومتان البريطانية والتركية مؤخراً باستقلالها تحت حكم آل ثاني، فإن الحكومة البريطانية ستواصل الحفاظ علي العلاقات الودية التى كانت قائمة في الماضي».

وعموماً فإن إمارات الساحل قد شعرت بشئ من القلق، وتشاور شيخا أبي ظبي ودبي – وكان الأول قد حصل علي موقف متميز في البريمي – من أن النشاط السعودي يأخذ في التزايد، وكان الأمير عبد العزيز يعمل بإصرار علي تثبيت سيطرته علي الإحساء، وتذكر المصادر[٤] أنه كان بإمكانه اغتنام فرصة الاضطرابات السياسية في الجنوب الشرقي في منطقة عمان، غير أن ذلك كان بعيداً عن تفكير الأمير الشاب لإنشغاله في هذه الأونة بمرحلة تثبيت حكمه[٥] وهو ما يقتضي وقفة للتفسير والتعليل.

فقد امتدت سيطرة عبد العزيز آل سعود علي جميع المناطق الممتدة إلي الجنوب من الرياض حتي الربع الخالي، وأما إلي الشرق فقد امتدت حدوده إلي منطقة الحساء – كما سبقت الإشارة – غير أن الأتراك كان باستطاعتهم مساعدة آل الرشيد لوضع العراقيل أمام انتصارات آل سعود، وكان الأتراك راغبين في ابقاء نجد بعيدة عن الاتصال بالبحر، وإلي الغرب كانت الحجاز اقليما تابعاً للأتراك، وكان حاكمها الشريف حسين «ألعوبة في ايديهم»(٦)، ومع أنه لم يكن لديه حينذاك أي سبب لعداء عبد العزيز آل سعود فقد كانت تدور في نفسه آمال لحكم جميع جزيرة العرب، ومن هنا بدأ من المحتمل حدوث نزاع بين الطرفين حيث اتضح ان الشيخ مبارك كان ينظر بحسد إلي النجاح المفاجئ الذي حققه عبدالعزيز حيث شهد العقد الأول من القرن العشرين

العديد من الانتصارات التي حققها وصولاً إلي المبادرة التي سبقت الإشارة إليها في مواجهة الأتراك في الاحساء عندما قاد جيشه في هجوم ليلي ناجح علي مدينة الهفوف، ولم يكن في بقية منطقة الاحساء إلا جنود أتراك قليلون، ونجح عبد العزيز في الاستيلاء عليها وضم بذلك منطقة واسعة جديدة إلي حكمه ووجد مدخلاً إلي الخليج العربي ابتداء من جنوبي الكويت حتي شمالي قطر بعد أن نجح عبد العزيز في تهدئة القبائل وسيطر بذلك علي ساحل الخليج العربي بأسره من الكويت حتي البحرين ولم يعد يتعرض أبداً للمضايقة بسبب الهجمات التركية وأدي نجاح عبد العزيز آل سعود إلي استياء الباب العالي في الدلة من هذا الجزء من شبه الجزيرة العربية.

تم توقيع اتفاق بين بريطانيا والدولة العثمانية في ٢٩ يوليو ١٩١٣م يتم بموجبه انسحاب الحامية التركية من قطر، وكان هذا بمثابة رسالة لعبد العزيز آل سعود بشأن عدم تطلعه إلي قطر بعد نجاحه في الاستيلاء علي القطيف ومنطقة الاحساء. واقترحت وزارة الخارجية البريطانية علي وزارة الهند في شهر أكتوبر من السنة نفسها ما يلي:

«يجب اصدار التعليمات الي السير بيرسي كوكس بأن يوضح لعبد العزيز آل سعود، الذي سيفهم الرسالة ويقدرها حتماً، بأن اتفاقنا مع تركيا سينفذ طبعاً بعد فترة قصيرة من ابرامه، وأن حكومة جلالته تتوقع أن يتم هذا الإبرام قبل إنتهاء العام الحالي» (٧).

وتذكر المصادر أن عبد العزيز آل سعود لم يبد اهتماماً كبيراً بهذا الاتفاق لأنه كان منصرفاً إلي تسوية علاقاته مع الباب العالي علي اساس ثابت، وانتهت المفاوضات بين الطرفين إلى إتفاق تم التوقيع عليه في ١٥ مايو ١٩١٤ اعترف به عبد العزيز آل سعود بالسيادة العثمانية علي نجد والاحساء وبتعينه والياً عثمانياً علي نجد طيلة حياته علي أن يرثه في الحكم

أولاده وأحفاده. وأشار الاتفاق إلي أجداده علي أنهم من الولاه، وتعهد عبد العزيز آل سعود بأن لا يتدخل أو يتعامل في الشئون الخارجية وأن لا يعقد معاهدات دولية أو يمنح أية امتيازات الي الأجانب. (٨) وقدم السفير العثماني في لندن مذكرة إلي وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ ٩ يوليو سنة ١٩١٤ يؤكد تعيين عبد العزيز آل سعود والياً عثمانياً في نجد قائلاً:

«صدر فرمان عثماني بتعيين ابن سعود حاكماً عاماً وقائداً في نجد وليس من حقه أن يعقد أية مواثيق أو يقيم أية ارتباطات مع الدول الأجنبية وعلي ابن سعود في جميع الأحوال ان يحترم جميع المعاهدات المعقودة بين الامبراطورية العثمانية والدول الأخري» (٩).

استمرت الخلافات بين الحكومتين البريطانية والعثمانية بشأن الحدود الشرقة لنجد طوال عامي ١٩١٣ ، ١٩١٤ دون الوصول إلي تسوية مرضية، ومع قيام الحرب العالمية الأولي ونشوب الحرب بين بريطانيا والأمبراطورية العثمانية في ٣١ أكتوبر ١٩١٤ فقد ارتضي الباب العالي بالخط الأزرق كحدود صحيحة لممتلكاته في شرقي الجزيرة العربية، وكانت الحكومة العثمانية قد ابرمت في ٥ يونيو ١٩١٤ معاهدة تضمنت المادة الثالثة منها اشارة إلي الخط الأزرق تقول فيها:

« ... وفي الجنوب الغربي يسير خط حدود الممتلكات العثمانية في شكل خط مستقيم من المكان المسمي بلكمات الشعوب متجهاً إلي الشمال الشرقي في صحراد الربع الخالي مع ميل يقدر بخمس وأربعين درجة وينضم هذا الخط داخل الربع الخالي إلي خط الدرجة ٢٠ الموازي له، ويسيران معاً بإتجاه اليمين والي الجنوب إلي أن يصلا في الجنوب الي نقطة تقع علي خليج القصير، وتفصل بين اراضي سنجق العثماني وأراضي قطر، وفقاً للمادة ١١



من الميثاق الإنجلزي - العثماني المعقود في ٢٩ يوليو ١٩١٣ والمتعلق بأراضي الخليج والمناطق المجاورة (١٠) لها».

وقد تم إبرام المعاهدة السابقة بعد بضعة أسابيع من تفرغ عبد العزيز آل سعود من التوقيع علي اتفاقه مع الباب العالي، وأصبح ملتزماً بإحترام المعاهدة واحترام الخط الأزرق الذي اكتسب وضعاً قانونيا بموجب معاهدة عام ١٩١٤، وكان الخط الأزرق يتفق تماماً مع حدود السلطة الفعلية لعبد العزيز في الشرق، وكان هو نفسه في رسالته الي بيرسي كوكس المؤرخة في ١٣ يونيو ١٩١٣ قد حدد أراضي آبائه وأجداده خارج نجد بأنها الاحساء والقطيف وتوابعهما. غير أن المصادر السعودية تذكر أن عبد العزيز لم يكن ملتزماً بمَعاهدة عام ١٩١٤ لأنه كان قد انفصل عن السيادة العثمانية في شرق الجزرة العربية نتيجة طرده للأتراك من الاحساء، وتستطرد المصادر السعودية قائلة: «ولقد بات وحده في عام ١٩١٤ صاحب الصلاحية في التعامل بالنسبة للمناطق التي يمر فيها الخط الأزرق إلا إذا كان هو - أي عبد العزيز - قد خول تركيا(١١) بوسيلة أو بأخري - بالتصرف نيابة عنه»

من الأرجح أن الأمير عبد العزيز كان متتبعاً للتطورات الدولية سواء تعلق ذلك بالمتغيرات السائدة عشية الحرب العالمية الأولي أو خلال الحرب أو بعد انتهائها وتفسير ذلك أن الأوضاع الدولية لم تكن في صالح الدولة العثمانية عشية الحرب، وقد ذكر الكابتن ليشمان Leuchman والذي زار الأمير عبد العزيز في ديسمبر ١٩١٢ أنه كان مهتماً بأخبار حرب البلقان وتطوراتها كما أنه حاول اخفاء خططه بشأن منطقة الاحساء خوفاً من معارضة بعض القبائل القاطنة في المنطقة حتي كان هجومه المفاجئ الناجح عليها. وعند بداية الحرب العالمية الأولي أصبح عبد العزيز أقوي حاكم في الجزيرة العربية وخاصة من وجهة نظر بريطانيا التي لم تعد تغفل أهميته بعد أن تمكن من

ضم معظم منطقه الاحساء والحصول علي منفذ بحري علي الخليج العربي، ولدي احراز الدولة العثمانية بعض الانتصارات العسكرية المبدئية في بداية الحرب بالإضافة إلي عديد من الاعتبارات(١٢)، فقد قامت الحكومة البريطانية بإرسال قطاعات عسكرية من الجيش الهندي الي الخليج العربي بهدف حماية أنابيب النفط(١٣) وأمدقائها في المنطقة، وبدأت المواجهة بين القوات البريطانية والقوات العثمانية في العراق في نهاية أكتوبر ١٩١٤ وأنتهي ذلك باحتلال الفاو عند مدخل شط العرب والبصرة من قبل بريطانيا.

وفي ٢ أكتوبر ١٩١٤ قامت الحكومة البريطانية بإرسال الكابتن شكسبير لكسب ود الأمير عبد العزيز إلي جانب بريطانيا ضد الأتراك. ومن الثابت أن هذه الخطوة تعتبر تحولاً كبيراً في سياسة بريطانيا تجاه عبد العزيز حيث كانت السياسة البريطانية تعتبره حاكماً داخلياً، وقد سبقت الإشارة أن هذه الفكرة بدأت تتغير عندما تمكن عبد العزيز من ضم الاحساء. وقد اعقبت رحلة شكسبير زيارة الميجر نوكس Knox المقيم البريطاني في الخليج باتخاذ خطوة أخري بأن أرسل خطاباً إلي عبد العزيز يطلب منه التعاون مع شيخ الكويت والمحمرة في احتلال البصرة مقابل تعهد بريطانيا بصد أي اعتداء يقوم به الاتراك عن طريق البحر أو البر إلي الاعتراف به كحاكم مستقل في نجد والاحساء ومن ثم إبرام معاهدة معه تثبت رسمياً تلك المقترحات، غير أن عبد العزيز لم يقم بأي عمل عسكري لإحتلال البصرة، واتخذ جانب الحياد، وبدأ يقوي نفسه داخلياً.(١٤)

دارت عدة مناقشات لمحاولة اقناع عبد العزيز كي يدعم موقف بريطانيا ضد تركيا، إلا أن شكسبير قتل في ٢٤ يناير ١٩١٥ في موقعة جراب، وواصل السير بيرسي كوكس Bercy Cox هذه المجهودات وتمت مناقشة بعض الاقتراحات البريطانية كالسماح للبواخر التجارية البريطانية بزيارة المواني



السعودية وإنشاء مراكز بريد وتلغراف وحماية طريق الحج في منطقة نفوذ الأمير عبد العزيز، غير أنه اعتبر ذلك بمثابة تدخل في شئونه الداخلية إذ أن حماية طريق الحج في منطقة نفوذه أمر تمليه عليه العقيدة الإسلامية والمصلحة الوطنية ، ولهذا فهو غير مقتنع بنصيحة بريطانيا بهذا الشأن، وبعد مفاوضات مضنية، تم التوقيع علي معاهدة (دارين أو القطيف أو العقير) في ٢٦ ديسمبر ١٩١٥ والتي اعترفت بريطانيا بموجبها بالأمير عبد العزيز أميراً علي نجد والاحساء وتقديم مساعدات مالية وعسكرية علي أن لا يقوم بالإتصال بدول أخري أو عقد معاهدات إلا بعد موافقة بريطانيا، ويري بعض المؤرخين أن هذه المعاهدة كانت مجحفة في حق الأمير عبد العزيز، ولكن ظروفه المحلية جبرته علي قبولها، وعندما تمكن فيما بعد من توسيع رقعة حكمه ونفوذه وضم الحجاز فقد سارع إلي إلغاء معاهدة العقير في إتفاقية جدة سنة ١٩٢٧ والتي أعترفت به بريطانيا رسمياً ملكاً علي الحجاز ونجد، وتمكن بذلك من حرية الإتصالات الخارجية وعقد معاهدات مع الدول الأخري دون التقيد بالشروط السابقة في معاهدة العقير، وأصبح بذلك مستقلاً عن نفوذ بريطانياوغيرها (١٥).

وتجدر الإشارة أن سياسة بريطانيا عشية وخلال الحرب العالمية الأولي تجاه الأمير عبد العزيز كانت تسير نحو تحقيق مصالحها بالدرجة الأولي في الخليج العربي، وكان الأمير متيقظاً لهذه السياسة، ويمكن توضيح ذلك في الإعتبارات الأساسية الآتية. فقد أرسلت بريطانيا مندوبها في الكويت الميجر ديكسونDikson إلي نجد لتقضي الحقائق عن أهداف الأمير عبد العزيز، إذاء تشجيع القبائل علي الإستيطان في الهجر وتثقيفهم ثقافة دينية ومحاولة إقناعهم الإرتباط بالأرض والإعتناء بالزراعة، ومن الأرجح أن تلك المبادرات لم تلق الاستحسان من جانب بريطانيا التي أرسلت مندوبها في الكويت الميجر

ديكسون Dison ايتقصي الحقائق علي أهداف الأمير عبد االعزيز، ومن جهة أخري فإن بريطانيا في محاولة إقناع عبد العزيز للتوجه صوب حائل، كانت أيضاً تؤيد الشريف حسين في سياسته وهو ما وجده عبد العزيز فرصة تتوائم مع مصالحة في نجد فقام بإعداد قوات كبيرة والإتجاه إلي حائل ومحاصرتها.

غير أن السياسة البريطانية الرامية إلي تحقيق مصالحها بالدرجة الأولي قد بدأت تقلل من تأييد الامير عبد العزيز عندما بات لبريطانيا أن إنتصرت علي الدولة العثمانية أصبح وشيكاً، غير أن الأمير عبد العزيز كان متيقظاً لهذه السياسة الرامية لفك حصاره علي حائل، فسارع في تشديد الحصار حتي يفوت الفرصة علي المخطط البريطاني الذي كان يهدف إلي تقسيم االجزيرة العربية إلي دويلات صغيرة يمكن في المستقبل السيطرة عليها، وكانت وجهة النظر البريطانية تتلخص في أن عبد العزيز إذا ما تمكن من ضم تلك المنطقة إلي دولته فإن هذا سوف يشكل تهديداً مباشراً لمصالحهم في الخليج بصفة عامة، وبما يفسر هذا عدم حماس بريطانيا لإنتصارات عبد العزيز خوفاً من أن يتحول إلي الحجاز فيما بعد. (١٦) .

خرجت سلطنة نجد في نهاية الحرب العالمية الأولي أكثر ثباتاً وإستقراراً بسبب قوة شخصية الأمير عبد العزيز ومهارته السياسية والعسكرية وجهوده الناتجة في بسط سيطرته علي مناطق من شبه الجزيرة العربية لتوحيد أجزاءها، وتم وضع حدود سلطنة نجد مع العراق في بروتوكول محلق بمعاهدة المحمرة التي أبرمت في ٢ ديسمبر ١٩٢٢، كما تم وضع حدودها مع الكويت في معاهدة العقير في نفس التاريخ(١٧) غير أن الحدود الشرقية للسلطنة لم توضح، وقد أجري عبد العزيز مع بيرسي كوكس مفاوضات العقير، وكنا متفقين ضمناً علي أن الخط الأزرق الذي نصت عليه الإتفاقيات الإنجليزية العثمانية السابقة هو الحد الفاصل في الشرق لسلطنة نجد، وتذكر المصادر

أن محاولات بيرسي كوكس قد نجحت في وضع منطقة محايدة بين الكويت ونجد وقد تم التوصل إلي إتفاق لايزال قائماً حتي الان وهو يقضي وقفة للتفسير والتعليل نظراً لأن تخطيط الحدود السعودية الكويتية يعتبر نماذجاً يحتذي به في منطقةالخليج.

فقد ساعد علي نجاح تخطيط هذه الحدود أن العلاقات الأسرية القديمة بين آل سعود وآل الصباح قد إسمت بالوئام، فقد تم تخطيط هذه الحدود في مشروع إتفاق ١٩١٣ بين بريطانيا والدولة العثمانية حيث حالت ظروف الحرب العالمية دون التوقيع عليها، وكانت بريطانيا قد أعترفت بسلطنة نجد كدولة مستقلة عام ١٩١٥، وبعد نهاية الحرب العالمية الأولي، ثارت مشكلة الإنتهاء إلي حدود واضحة بين سلطنة نجد والكويت وذلك في إطار تسويات الحرب بعد أندثار الإمبراطورية العثمانية، وقد سبقت الإشارة إلي قيام مؤتمر العقير ببحث مسألة الحدود العراقيةالسعودية حيث كانت بريطانيا تعني بشئون العراق في إطار نظام الإنتداب، تضمنت إتفاقية العقير في ٢ ديسمبر ١٩٢٢ قسماً خاصاً بالحدود السعودية الكويتية يقضي بإقامة منطقة محايدة مساحتها ٢٠٠٠ ميل مربع، وتنص الإتفاقية علي أن لكل من الحكومتين حقوقاً متساوية في المنطقة المحايدة.

وتذكر المصادر(١٧) في تقييم هذه الاتفاقية أنها مع كونها مع كونها قد ابتدعت أسلوبا أصبح نموذجاً ناجحاً لتخطيط الحدود في الحالات المماثلة، إلا أنها لم ترسم نظاماً معيناً أو إدارة معينة للمنطقة، وربما يرجع ذلك إلي ظروف الحدود السعودية العراقية وأن الحدود بين الدولتين كانت تشمل مساحة شاسعة لم تكن آهلة بالسكان فضلا عن أن النفط لم يكن قد تفقد بعد، وبالتالي لم تكن هنا عملية لضبط نظام إدارة المنطقة، وهكذا ظلت سيادة كل من السعودية والكويت في المنطقة المحايدة دون تحديد دقيق، ولم تحدد

الإتفاقية طريقة معينة لممارسة هذه السياسة، فذلك أشبه بنظام السيادة المشتركة، ومع تزايد عمليات الكشف عن النفط ظهرت الحاجة الماسة إلي وضع نظام دقيق لإدارة المنطقة المحايدة (١٨)

علي أن مشكلات الحدود بين نجد والكويت ونجد والعراق من ناحية أخري قد شهدت تطورات حاسمة منذ بداية الخلافات في هذه الفترة وخاصة نظراً لدور بريطانيا وهي ما تقضي إستعراض في تفصيل غير قليل .

فقد كانت أولي بوادر الخلافات بين نجد والكويت هي منطقة بلبول (١٩) وقد بدأ الخلاف حين قرر الشيخ سالم أن يبني قصراً هناك، وقد إختلفت الآراء في أسباب إقدامه علي هذا العمل، حيث بعث الأمير عبد العزيز آل سعود خطاباً إلي الوكيل السياسي البريطاني في الكويت «الميجر مور» يخبره أن منطقة بلبول تقع ضمن أرضي القطيف، غير أن الشيخ سالم أكد أن بلبول ضمن أرض الكويت ولا علاقة لها بالقطيف واستند في ذلك إلي بنود المعاهدة البريطانية العثمانية لسنة ١٣٣١هـ / ١٩١٣م والتي جاء فيها أن بريطانيا تعترف بسيادة الدولة العثمانية علي الكويت والتي تضم الأراضي والجزر المجاورة حسب أراء الشيخ مبارك آل الصباح وتكون قضاءاً ممتعاً بالإستقلال الذاتي ضمن أراضي الدولة العثمانية، وإستطرد الشيخ مبارك قائلاً أن الهدف من ذلك هو التدخل في شئون الكويت وعدم إرسال جنود هناك . غير أن هذه المعاهدة لم تبرم بصيغتها النهائية حيث حال قيام الحرب العالمية الأولي دون سريان مضمونها كما سبق الإشارة، وربما يفسر هذا بقاء مشيخة الكويت دون حدود معينة تفصلها عن نجد لاسيما وأن معاهدة دارين (صفر ١٣٣٤هـ/ ديسمبر ١٩١٥م) والتي عقدت بين بريطانيا وابن سعود قد أشارت في مادتها السادسة إلي أن الحدود، ستعين فيما بعد، مما يعني أن بريطانيا كانت تعترف بعدم وجود تلك الحدود، فضلاً عن كونها غير نهائية بالرغم من إيضاح



ذلك في مشروع الإتفاقية المذكورة، ومع ذلك فإن الشيخ سالم عدل عن إنشاء قصر في منطقة بلبول(٢٠)

تجدد الخلاف علي الحدود مرة أخري حين هاجرت مجموعة من الأخوان يقودهم «ابن شقير»إلي مكان يدعو «قرية». وشرعوا في تأسيس بعض «الهجر» لهم، وقد إعترض الشيخ سالم وحذر قائلاً مجموعة الإخوان من الإستمرار، غير أن قائد المجموعة أجابه بأن لن يكف عن البناء مالم يرد إليه أمر صريح من الملك عبد العزيز، وقد عرض الشيخ سالم ذلك الأمر علي الوكيل البريطاني في الكويت الذي أبرق إلي الحاكم الملكي البريطاني في بغداد في ٥ شعبان ١٣٣٨هـ / ٢٣ إبريل ١٩٢٠م دون أن يلتقي منه رداً، وتورد المصادر. أن السبب فيَ يعود إلي عدم إهتمام المندوب السامي البريطاني في بغداد الأمر ظناً منه أن هذا الأمر من الأمور المألوفة بين البدو في البادية. وربما يرجع عدم الرد أيضاً إلي إنشغال السلطات البريطانية في العراق بالأوضاع غير المستقرة، وقد تطور هذا الخلاف إلي إصطدام مسلح في واقع حمص، وهي ما يقتضي وقفة للتفسير والتعليل حول ظروف هذه الواقع.

فقد سبق الإشارة إلي تباين الأراء حول أسباب هذا الخلاف، وكان من البديهي أن ابن شقير عندما رفض تهديدات الشيخ سالم وشرع في إقامة بضعة أكواخ من الطين إستعداداً للإقامة في فصل الصيف، أن يقوم الشيخ سالم بتصعيد الموقف وهو ما حدث بالفعل عندما أرسل قوة تحت قيادة الشيخ علي بن خليفة الدعيج، ويذكر السعدون (٢١)أن شعور الشيخ سالم بالإحباط لعدم إستجابة السلطات البريطانية لشكواه فضلاً عن غضبه من رد ابن شقير العنيف عليه جعلته يفضل الإعتماد علي قوته الذاتيةلإنهاء المشكلة، في حين يذكر حسن سليمان . أن بن سعودحث طائفة من مطير بالإغارة علي أطراف الكويت، مما جعل الشيخ سالم يرسل قواته إلي حمص، حيث أثار قوات

الشيخ سالم مخاوف ابن شقير من أن يؤخذ علي غرة، فاستنجد بفيصل الدرويش والذي أمده بقوة من الإخوان.

وأشتبكت القوتان في قتال انتهي بهزيمة قوات الشيخ سالم، ونجا عبد الله الجابر الصباح بما يشبه المعجزة، وقد أختلفت الأراء حول مسئولية الملك عبد العزيز عن أحداث حمص، ففي حين يذكر حسين سليمان. أن ابن سعود أو عز من طرف خفي إلي فيصل الدرويش بالهجوم، فإن خزعل . يذكر أن الأمير عبد العزيز كتب إلي فيصل الدرويش يحذره من غارته علي قوات الشيخ سالم، أما أمين الريحاني يورد أن ابن سعود كان يجهل ما يدور هناك وأوضح السعدون. أن الرواية الكويتية تحمل ابن سعود المسئولية الكاملة وأن الهجوم تم بعلمه، وقد ترك ذلك أثراً حذراً علي الشيخ سالم وراجت الإشاعات بإقتراب هجوم علي الكويت، فأمر الشيخ سالم ببناء سور للدفاع عن المدينة وكان له ذلك (٢٢).

جاء رد فعل بريطانيا علي هذه الأحداث ممثلاً في إنتقال الوكيل البريطاني في الكويت إلي بغداد لإجراء مفاوضات مع الحاكم العام أرنولد ولسن في ١٨ مارس ١٩٢٠، وبعد عودته قام بتسليم الشيخ سالم خطاباً من الحاكم البريطاني العام فيه:« أن الحكومة البريطانية جادة في سعيها لتثبيت الحدود بين نجد والكويت، وأن الميجر مو قدكلف بشرح ذلك لك» وأشار الوكيل البريطاني في الكويت علي الشيخ سالم بتسوية سلمية لهذه الخلافات.

غير أن الطرفين فشلا في الوصول إلي تسوية مباشرة من خلال المراسلات بينهما وقد أورد السعدون أن السلطان عبد العزيز أرسل إلي الوكيل البريطاني في البحرين في ٢٨ يوليو ١٩٢٠ يطلب منه تولي الأمر، بينما أورد خزعل أن الحاكم البريطاني العام في بغداد قد أبرق إلي الوكيل البريطاني في البحرين كي يتصل بالسلطان عبد العزيز والشيخ سالم بأن

يقوما تأكيد كتابيامسبقاً بأنهما سوف يلتزمان بما تنتهي إليه الوساطة من قرار، وقد رد الشيخ سالم بخطاب يوافق علي تعيين الحدود ويطلب دراسة أسباب الخلافات وجذورها، كما وافق الشيخ سالم علي توقيع التعهد بالإلتزام بما تنتهي إليه الوساطة وأرفق ثلاثة تضمن الأول حدود الكويت كما يتصورها الشيخ سالم، أما الثاني فتضمن هجوم الدرويش علي حمص، في حين تضمن الملحق الثالث مواد الصلح بينه وبين السلطان عبد العزيز. أما بالنسبة للسلطان عبد العزيز فقد وافق علي الوساطة البريطانية بشرط أن يسحب سالم قواته في الجهراء، وأن لايقترف أي عمل عدواني، وبالمقابل فإنه - أى عبد العزيز- سيقوم بسحب قواته من الحدود الكويتية. وفي خلال هذه الفترة، رأت بريطانيا أن السير ارنولد ولسون لايمكن الإستفادة من خدماته في العراق بسبب الثورة العراقية، وأرسلت بريطانيا السير بيرسي كوكس Percy Cox إلي العراق. وفي طريقه أجتمع كوكس بالسلطان عبد العزيز ثم عرج علي الشيخ سالم في الكويت، وقد تمكن كوكس من الإلمام بوجهتي نظر الطرفين حول الخلافات القائمة بينهما. غير أن تصعد الأحداث الإقليمية بدءا بثورة العراق في يونيو ١٩٢٠ ومروراً بفقدان الملك فيصل عرشه في سوريا بعد ميلسون في العام نفسه وتأثر الأوضاع الإقليمية بهذه الأحداث بشكل أو بآخر، أن تصاعدت الأحداث أيضاً بين الكويت وابن سعود وصولاً إلي الصدام المباشر في معركة الجهراء.(٢٣)

أختلفت الآراء حول مسئولية السلطان عبد العزيز عن هذه المعركة، فالرواية الكويتية تذكر أن بن سعود أصدر أمراً صريحاً إلي الدرويش بمهاجمة الجهرة وهو أمر تشير إليه الروايات السعودية التي أكتفت بالقول أن ابن سعود أصدر أمر للدرويش بإنقاذ إخوانه في قرية وذلك دون أن توضح إن كان الدرويش قد تحرك بمبادرة شخصية منه أو بأمر من ابن سعود، وقد

سبقت الإشارة إلي الوكيل السياسي البريطاني في البحرين سنة ١٩٢٠م وهي مبنية علي رسالة كان قد بعثها له الدرويش تظهر تحركاته وكأنها بمبادرة شخصية منه بعد أن لاحظ أن قوة الإغارة الكويتية قد توغلت داخل حدود نجد إلي مسافة لاتتعدي أكثر من مسيرة يوم ونصف يوم عن الرياض نفسها، ثم عاد إلي الجهرة ومعها الغنائم التي حصلت عليها مما جعل الدرويش والقبائل التي أضيرت من هذه الغارات تزحف خلف قوة الإغارة الكويتية لإسترجاع هذه الغنائم.(٢٤)

وعموماً فقد شن الإخوان هجومهم علي الجهرة، مما أضطر الشيخ سالم إلي سحب قواته والتحصن في القصر الأحمر، وقبل الشيخ سالم شروط الإخوان فانسحب فيصل الدرويش إلي الصبيحة، وعاد ابن الصباح إلي الكويت وطلب من بريطانيا حماية بلاده، وبالفعل سيطرت السلطات البريطانية علي الموقف وطالبت قوات السلطان عبد العزيز بالإنسحاب الفوري واعتبار الصبيحة غير محتملة من أى من الطرفين، ومطالبة الشيخ سالم بعدم ارسال اى تعزيزات الى الجهرة. ثم تفرغت السلطات البريطانية الى الجهود السياسية الأساسية فى محاولة تسوية النزاع من جذوره. وقد سعى شيخ المحمرة – خزعل – للتوسط في عقد صلح بين الطرفين، وقد وافق السير بيرس كوكس على ذلك، وكانت بريطانيا مشغولة بتصفية آثار الثورة الدامية فى العراق والإعداد لقيام النظام الملكى هناك. واشترطت بريطانيا على الشيخ خزعل عدم تضمن الصلح لموضوع الحدود بين نجد والكويت حيث سيترك ذلك لوجهة النظر البريطانية ويظهر هذا الشرط حرص السياسة البريطانية على عدم إنجاز أى أمر من وراء ظهورها وذلك بهدف تحقيق مصالحها الحالية والمتوقعة. وقد ترأس الوفد الكويتى ولى العهد أحمد الجابر الصباح، وذكر السلطان عبد العزيز أنه يمكن الصداقة لشعب الكويت وآل الصباح، غير أنه ابدى عدم

ارتياحه تجاه الشيخ سالم الذى تسبب فى تصعيد الموقف وتأزمه بين البلدين، غير أن وفاة الشيخ سالم فى ٢٧ يناير ١٩٢١ قد فتح المجال أمام علاقات ودية متنامية بين الجنبين، وفى تقييم معركة الجهراء يرى خالد السعدون أنه ليس من السهل التعرف على الشرارة التى اشعلت فتيل الصدام بين الطرفين فالرواية الكويتية لا تضع سبباً واضحاً لتحركات القوات النجدية ضد الكويتوتشير جميعها إلى أن العمليات الحربية بدأت بأمر صريح أصدره ابن سعود إلى قائده «فيصل الدويش» يقضى بأن يهاجم الجهرة وتشير الرواية السعودية بالمقابل إلى أن تحركات القوات النجدية بدأت حين علم ابن سعود بأمر القوة الكويتية التى وضعت تحت قيادة «دعيج الصباح» و«ابن طواله» والتى سيرها سالم نحو قرية فأصدر ابن سعود أمره إلى فيصل الدويش بالسير على رأس قواته من «الأرطاوية» الى قرية لتعزيز القوة المدافعة عنها ضد العدوان المحتمل. ويبدو أن الرواية الأخيرة هى الأقرب الى الصحة استناداً إلى قول ورد على لسان أحد آل الصباح ممن عاصر الأحداث واشترك فيها ونصه: «أن القوات الأخوان بقيادة الدويش خرجت لنجدة ابن شقير وجماعته فى جرية»(٢٦).

ويحبذ السعدون ضرورة التحقق مما نصت عليه الرواية الكويتية من أن ابن سعود أصدر أمراً صريحاً للدويش بمهاجمة الجهرة. وهو أمر لا تشير له الرواية السعودية التى اكتفت بالقول: ان ابن سعود اصدر أمراً للدرويش بإنجاد اخوانه فى قرية دون أن توضح لنا إن كان تحرك الدويش فيما وراء قرية قد تم بمبادرة شخصية منه أو بأمر من 'بن سعود نفسه. ولكن رسالة بعثها ابن سعود الى الوكيل السياسى البريطانى فى البحرين بتاريخ ١٣ صفر ١٣٣٩ - ٢٦ اكتوبر ١٩٢٠م وهى مبنية على ر. سالة بعثها له فيصل الدويش بتاريخ ٣٠ محرم ١٣٣٩هـ- ١٣ اكتوبر ١٩٢٠م تظهر تحركات الدويش وكأنها

تمت بمبادرة ذاتية منه بعد أن رزى أن قوة الغزو الكويتية تلك توغلت داخل نجد إلى مسافة لا تبعد أكثر من مسيرة يوم ونصف اليوم عن الرياض نفسها وعادت من غزوها الى الجهرة تسوق أمامها الغنائم التى كسبتها، مما جعل الدرويش والقبائل المنهوبة تزحف لاسترجا ع الغنائم. ويعلل السعدون(٢٧) ذلك قائلاً: «وربما لم يرد ابن سعود وهو السياسى المحنك أن يعترف للسلطات البريطانية بما وقع فعلاً فيكون معنى ذلك اقراره بأنه خرق اتفاقه معها والقاضى بعدم تدخله فى شئون محمياتها الواقعة على الخليج، أو ربما أن ذلك هو ما وقع بالفعل نتيجة لما هو معروف فى شخصية الدرويش من عنف وتسر ع».

وعموماً فقد شن الأخوان هجومهم على الجهرة صبيحة اليوم السابع والعشرين من محرم سنة ١٣٣٩هـ الموافق العاشر من اكتوبر ١٩٢٠ واندفع الاخوان نحو هدفهم في أرض مكشوفة غير مبالين بالنيران الحامية التي كانت تصليهم بها القوات المدافعة التى تمرست خلف الجدران، ويبدو من روايات شهود العيان أن هجوم المشاة لم ينصب على جهة واحدة بل توز ع على عدة جهات من القرية. بينما تكفل خيالة الاخوان بتشتيت شمل خيالة المدافعين الذين أوكلت لهم مهمة حماية جناحى القوة المدافعة. ولقد كان هجوم الاخوان عنيفاً ومستميتاً لدرجة لم يستمر معها القتال أكثر من ساعات معدودات بدأت على أثرها الهزيمة حين فوجئ سالم واتباعه المتحصنين فى الجزء الجنوبى الشرقى من القرية بالاخوان أمامهم وجهاً لوجه حيث جرت بين الطرفين معركة قصيرة اضطر بعدها سالم للانسحاب مع من نجا من اتباعه والتحصن فى «القصر الأحمر» فانتشرت اثر ذلك الفوضى فى بقية القوات المدافعة فى مواضع أخرى واندفع افرادها بغير نظام ينشدون السلامة، حيث إلتجأ أغلبهم الى القصر الذى تحصن فيه سالم. والشئ الملفت للنظر كما يرى السعدون(٢٨)



أن القوات الكويتية قاتلت ذلك اليوم دون أن يكون بينها تنسيق أو اتصال للقوات دون أن يدرى المدافعون عن أحد المواقع بالأمر فظلوا مرابطين فى أماكنهم وكأن شيئاً لم يكن.

ويستفاد من رواية الريحانى وهو الميال لوجهة النظر السعودية أن الدويش هو البادئ، وقد أكد ذلك ديكسون الذى كان يشغل آنئذ منصب الوكيل السياسى البريطانى فى البحرين، وقد روى خزعل(٢٩) أن الدرويش مال للمفاوضات لاسباب انسانية حين أخبره أحد الملتحقين لخدمته بالحال السيئة التى كان عليها المحاصرون فى القصر بعد أن دخله بموافقة الدويش لاقناع اخيه الذى كان بين المحاصرين بالخروج من القصر. وسواء أكان الذى اقترح الدخول فى المفاوضات هذا الطرف أو ذاك، فإنه يمكن القول كما يرى السعدون أن الطرفين معاً كانا بحاجة لها نتيجة للموقف الصعب الذى كانا فيه، فقد عرفنا حال المحاصرين فى القصر والتى لم تكن أسوأ كثيراً من حال الطرف الثانى الذى كان يعانى من كثرة الخسائر التى قدمها أثناء القتال إضافة إلى الخوف الذى سيطر عليه من نفاذ الذخيرة والمؤن.

ابتدأت المفاوضات فى عصر نفس اليوم حين جاء رسول من الدويش اسمه «مطلق بن مسعود» واخبر سالماً بأن من المقرر أن يقوم الاخوان بالهجوم على القصر تلك الليلة.

وأشار ديكسون الى أن الشروط التى طلبها الاخوان للسلام كانت اخلاء القصر والتنازل عن الجمال التى غنمها الاخوان اثناء المعركة.

تبدو الشروط الثلاثة الاضافية التى ذكرها خزعل غير منطقية ولا تنسجم مع واقع الحال. فلم تكن العلاقات سيئة فى ذلك الوقت بين بريطانيا وابن سعود بل وأن الاخوان وهم المعروفون بحماسهم الدينى الكبير لم تكن نظرتهم عدائية تجاه البريطانيين بشكل عام على حد قول - صدر رسمى بريطانى،

ولذلك فليس من المعقول أن يطالبوا بإخراج الوكيل البريطاني من الكويت، وينطبق نفس المبدأ على موقفهم من المستشفى الأمريكي في الكويت، أما ترحيل الشيعة عن الاحساء والقطيف الخاضعة لنفوذهم، فالأحرى بهم ألا يطالبوا شيخ الكويت بأمر لم يقدموا هم على فعله في بلدهم حيث لهم القدرة على تنفيذه. ويكتنف الغموض - من ناحية أخرى - رواية ديكسون، إذ أنها لا توضح بـ «إخلاء القصر» ويترك السعدون يحلل ذلك قائلاً: «فإذا افترضنا أن ذلك يعني انسحاب المحاصرين بعد اخلائه إلى الكويت وأيلولته إلى الأخوان كما آلت قبله الجهرة كلها لهم. فلا معنى بعد ذلك لمطالبة الأخوان بالجمال فقط لأن كل شئ في قرية الجهرة سيصبح ملكاً لهم يتصرفون به كما يشاءون. وإذا كان المقصود هو إخلاء المحاصرين للقصر ثم انسحاب الاخوان بعد ذلك مع غنائمهم، فلا معنى أيضاً للمطالبة بالإخلاء إذ بإمكان الاخوان الانسحاب بكل غنائمهم متى شاءوا وترك المحاصرين في قصرهم ليخرجوا بعد ذلك بالطريقة التي تعجبهم. ولا يبقى بعد هذا إلا رواية الرشيد وهي الأقرب إلى الواقع وإن كانت قضية تكفير الاتراك تثير التساؤل عن الفائدة التي سيجنيها الأخوان من تكفير الاتراك الذين انسحبوا من المنطقة منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، ولم تعد لهم بها أية علاقة. والملفت للنظر أن شروط الاخوان للصلح كانت دينية لا سياسية ولعل ذلك وحده يكفي للتدليل على خطأ ما ذهب إليه البعض من أن الأمر كله لا يعدو أن يكون تدبيراً وضعه ابن سعود وهدف من ورائه التوسع على حساب الكويت. إذ لو كان ذلك هو هدف الحملة حقاً لما كانت شروط الصلح مركزة على الناحية الدينية أو لما فتح باب المفاوضات أصلاً».

وجهت السلطات البريطانية جهودها بعد ذلك لتهدئة الحالة بين الطرفين فكتب المندوب السامي البريطاني في العراق الى أبن سعود في السابع من صفر ١٣٣٩هـ - العشرين من أكتوبر ١٩٢٠ محتجاً لديه على عمليات

الاخوان. ومطالباً إياه بإصدار الأمر بانسحابهم الفورى. وقد رد ابن سعود بأنه كان قد استبق ذلك الطلب البريطانى واصدر امره إلى الاخوان بالانسحاب وتعهد فوق ذلك بعدم هجوم الاخوان على الكويت مقابل شروط ثلاثة يجب على سالم التقيد بها وهى: أن يكف عن التآمر مع القبائل ضده، وأن يمتنع عن طلب العون من اعدائه فى المنطقة، وأن يوقف نشاطاته العدائية خلال الفترة التى تتطلبها عملية التسوية والتى ستتولى السلطات البريطانية انجازها. وفى خطوة اخرى اعلم المندوب السامى الطرفين فى السادس عشر من صفر - التاسع والعشرين من شهر اكتوبر بأنه يعتبر بقاء آبار «الصبيحة» غير محتلة من أى منهما أمراً فى غاية الأهمية للحيلولة دون سفك الدماء مجدداً خلال الفترة التى يجب ان تنقضى قبل أن يمكن حل النزاع، وأضاف أن خرق ذلك سيعرض مرتكبه لقصف الطائرات البريطانية وفى نفس الوقت كانت السلطات البريطانية حريصة على كف يد سالم عن أى عمل يمكن أن يؤدى إلى زيادة توتر الوضع، ولذلك طلبت منه عن طريق السياسى البريطانى فى الكويت الامتناع عن ارسال اى تعزيزات الى الجهرة وألا يبقى هناك من القوات أكثر من العدد الكافى لحمايتها(٣١).

سيطرت السلطات البريطانية عن طريق تلك الخطوات على اسس عوامل الانفجار وتفرغت بعد ذلك إلى الجهد الأساسى وهو محاولة تسوية النزاع من جذوره، قد اتجه تفكيرها فى هذا السبيل إلى إحياء فكرة دعوة ابن سعود إلى البصرة، فدعاه كوكس مجدداً لزيارتها حالاً من أجل عقد اجتماع لتسوية الأزمة تحت رعاية السلطات البريطانية، وقد ارسل الوكيل السياسى البريطانى فى البحرين تلك الدعوة لابن سعود وارفقها برسالة شخصية منه، حثه فيها على ابراز ما يتحلى به من صفات قيادية فى هذا الوقت، ووعده بأن تتم مناقشة موضوعى زيادة الاعانة المالية التى يتقاضاها من بريطانيا واللقب

الرسمى الذى سيحمله مستقبلاً وذلك بعد تسوية نزاعه مع الكويت، وأخبره أيضاً بأن برسى كوكس شخصياً سيرأس جلسات التسوية. ورغم كل تلك الاغراءات التى حاول بها ذلك الوكيل اقناع ابن سعود بالحضور فإنه تعمد التأخر فى ارسال الجواب، الذى وصل أخيراً وكان فحواه اعتذار ابن سعود عن تلبية الدعوة لظروفه الصحية ولعدم تمكنه من ترك نجد فى هذا الوقت.

وبالرغم من أن السير بيرسى كوكس لم يكن متحمساً لتسوية الحدود النجدية الكويتية، إلا أن تصاعد الغارات والغارات المضادة بين الأخوان والقبائل على حدود العراق، دفع بيرسى كوكس للتحرك لإيجاد حلول لهذه المشكلة حرصاً على سلامة الحكومة الجديدة فى العراق، بمعنى أن تسوية الحدود العراقية النجدية هو الذى كان محل اهتمام بيرسى كوكس وليست مشكلة الحدود الكويتية النجدية، ومع ذلك فقد دخلت هذه المشكلة الأخيرة ضمن بنود التسوية فى بروتوكول العقير.

وقد افتتحت جلسات هذه المعاهدة فى المحمرة فى ٥ رمضان ١٣٤٠هـ/ ٣ مايو ١٩٢٢ وحضرها أحمد بن ثنيان ممثلاً عن السلطان عبد العزيز وصبيح نشأت ممثلاً عن الحكومة العراقية، وذلك بحضور ممثل من قبل بيرسى كوكس، ولم تطل المباحثات بين الوفود، فقد وضع المندوبون اتفاقاً فى ٧ رمضان ١٣٤٠هـ / ٥ مايو ١٩٢٢م عرف بمعاهدة المحمرة، على أن لا تسرى بنود هذه المعاهدة إلا بعد التصديق عليها من ملك العراق وسلطان نجد والمندوب السامى البريطانى. ونصت المادة الأولى فقرة (أ) «إن العشائر التى هى تحت اسم عشائر المنتفق والظفير والعمارات فهم راجعون إلى حكومة العراق» وقد امتنع عبد العزيز عن التصديق على هذه المعاهدة لعدم النص فيها على جعل العشائر النجدية النازحة إلى العراق ترجع إلى نجد، وأن هذه المعاهدة جعلت هذه العشائر تابعين لحكومة العراق كما أنها لا تضمن حقوق

الرعى المكتسبة منذ عهد بعيد الى القبائل النجدية فى المناطق التى ألحقت بالعراق، ونتيجة لعدم تصديق السلطان عبد العزيز عليها فقد ألحق بروتوكول سمى ببروتوكول العقير رقم (١) وألحق أيضاً ببروتوكول العقير وذلك فى ١٢ ربيع الثانى سنة ١٣٤١هـ / ٢ ديسمبر ١٩٢٢م وذلك فى بندر العقير.

وقد اختلفت الآراء حول الظروف المحيطة بهذا البروتوكول فخزعل أورد أن بيرسى كوكس أرسل إلى الكولونيل وكسن كى يتصل بالسلطان عبد العزيز ويقنعه بالقدوم للعقير ليجتمع مع كوكس، فى حين يذكر الريحانى: أن عظمته قال: «نحن دعونا السير بيرسى كوكس إلى العقير لأخذ رأيه فى أمرين، الأول: الشريف حسين وأولاده، والثانى: الأتراك الطامعون الآن فى المحصل، أما مسألة العمارات والظفير فإن حلها لا يستوجب مجيئاً إلى هذا المكان...».

وصل السلطان عبد العزيز إلى العقير فى ٥ ربيع ثان ١٣٤١هـ الموافق ٢٦ أكتوبر ١٩٢٢ م ومعه سعود الكبير وعبد اللطيف المنديل وأمين الريحانى وعبد الله الدملوجى وعدد من الموظفين والحرس والميجر هولمز، أما بيرسى كوكس فقد وصل بعده بيومين ومعه صبيح نشأت ممثلاً للعراق والميجر مور ممثلاً لشيخ الكويت والشيخ فهد الهزال وبعض الفنيين فى معرفة الآبار والطرق ومناطق الرعى وكانت الجلسة الأولى غير رسمية اقتصرت على ترحيب السلطان عبد العزيز بالقادمين وتبعتها جلسات سرية بينه وبين رئيس وفد العراق والوكيل السياسى البريطانى فى الكويت وفهد الهزال، وانتهت الجلسات بتعيين الحدود بين كل من نجد والعراق والكويت والتوقيع على بروتوكول العقير(٣٢).

وقد وقع اتفاقية الحدود بين نجد والكويت كل من الوكيل السياسى البريطانى فى الكويت الميجور مور، وعن الجانب السعودى عبد الله سعد الدملوجى الذى صادق عليها هو الآخر فى ١٠ ربيع الثانى ١٣٤١هـ الموافق

٢٠ نوفمبر ١٩٢٢ وفى تقييم بروتوكول العقير، يمكن القول أنه كشف عن أن النزاع الحقيقى لم يكن يتركز على امتداد الأراضى التى يجب ضمها لكل من الطرفين فإن تلك المساومات كانت مرحلة أولية سرعان ما تجاوزها البحث الى الآراء المتعارضة حول تخطيط الحدود على النمط الأوروبى الذى كان كوكس يعمل من أجله، والحدود القبلية التى كان السلطان عبد العزيز يطالب بتطبيقها وكادت المفاوضات ان تتعثر وتفشل بسبب اختلاف وجهات النظر، لولا أن بيرسى كوكس حسم الأمر حينما انفرد بالسلطان عبد العزيز وأقنعه بالتخلى عن مطالبته بتطبيق الحدود القبلية وأعلن أنه سيتولى بنفسه رسم خط الحدود بنفسه، وقد عينت منطقة محايدة بين الطرفن رمزاً للحل الوسط بين الآراء الأوروبية عن الحدود والقبلية، واعتبرت هذه المنطقة المحايدة – على حد قول السعدون أرضاً مشاعة بين قبائل الطرفين.

هناك أيضاً الجدل الثائر حول هذه المشكلة، أى مشكلة الحدود بين نجد والكويت والتى لم تستأثر بإهتمام الميجور مور الذى صمت حينما أثيرت من جانب عبد اللطيف المنديل الذى اعترض على وجود منطقة محايدة بين البلدين وطالب بأن تلحق بنجد لاحتمال وجود النفط فيها، وهنا رد بيرسى كوكس بأن هذا هو السبب فى جعلها منطقة محايدة.

ويذكر عبد الله الأشعل أن «اتفاقية» العقير[٣٣] قد أشارت إلى أنه ستتلوها اتفاقية مفصلة أخرى بصدد الحدود، وأن تلك الاتفاقية كانت بمثابة تسوية مؤقتة لمشكلة الحدود ككل حتى يتسنى للدولتين استغلال موارد المنطقة المحايدة بالتساوى، أى أن تتم التسوية النهائية لوضع الحدود». وبالرغم من أن الاتفاقية ابتدعت اسلوباً جديداً وناجحاً لتخطيط الحدود فى الحالات المماثلة إلا أنها لم ترسم نظماً معيناً وإدارة معينة للمنطقة، وبما يرجع ذلك إلى أن هذه المساحة الشاسعة، لم تكن أهلة بالسكان وقت تخطيطها إذ لم يكن البترول قد

تدفق بعد وبالتالى لم تكن هناك حاجة ماسة لضبط نظام إدارى والتدقيق فى العلامات الحدودية بين الدولتين. أما خزعل فيعلق على تلك المعاهدة بقوله: «أنه وإن كان بيرسى كوكس قد قطع شوطاً «إصلاحياً» كبيراً وحقق إنجازاً سياسياً فى عقد هذه المعاهدة، إلا أنها العبارات التى صيغت بها المعاهدة كانت عبارات غامضة بحيث أنها قادت نزاع كبير بعد مدة وجيزة من نشرها، أما السعدون فيرى أن المؤتمر قد أنهى مشكلة الحدود بين نجد والكويت وأكسبها الصيغة الدولية، وعرفت الحدود التى تمارس كل دولة فيها سيادتها، ولا يعنى هذا بنهاية المشكلات بينهما، بل أن هذه المشكلات قد تجددت، ولكنها اختلفت نوعياً عن المشكلات التى سبقت اتفاقية تخطيط الحدود حيث لم يعد يخشى منها على كيان الكويت المستقل، وإنما هى مشكلات تندرج تحت كل ما يقع بين دولتين متجاورتين، وأن الكويت - بعد توقيع اتفاقية الحدود - قد نجحت من خطر الذوبان فى كيان جارتها القوية».

كذلك فقد أخذت اتفاقية العقير بمبدأ المناطق لمحايدة، وأقيمت دوريات منتظمة على الحدود، ووعد بريسى كوكس Cox بإجراء تدابير أخرى لمنع وقوع حوادث على الحدود وكانت هناك المشكلات التى أثارها الإخوان الذين مازالوا يتسللون إلى إمارة شرق الأردن وإقترابها من عمان وعدم إنسحابهم، وقد تدخل الطيران البريطانى للحيلولة دون إستمرار الإخوان، وتولى الكولونيل فوكس Knox مهام أعماله كخلف لبيرسى كوكس وواجه فوكس إصرار الأمير عبد العزيز بن سعود بشأن التفاوض مع كل حكومة على حدة (الأردن - العراق)، وإتخذ الأمير عبد الله أمير شرق الأردن هو الآخر موقفاً مماثلاً لموقف ابن سعود وطالب بإعادة الأوضاع التى ماكانت عليه سنة ١٩١٩ وأن تكون الحدود بين نجد والحجاز هى الصحراء القاحلة وينسحب الإخوان من الجوف ووادى سرحان، وعموماً فقد تمسك الأمير عبد الله أمير شرقى الأردن

بأن تكون له حدود متصلة مع العراق مما يعنى قطع الطريق بين نجد وسوريا التى تعتبر منفذاً من منافذ نجد الهامة، والملاحظ أن عبد الله صار يتحدث نيابة عن والده ملك الحجاز الذى رفض الحضور رغم إلحاح بريطانيا عليه، وهناك نتيجة أخرى لاتقل أهمية عن النتائج السابقة وهى إحتدام الجدل حول مستقبل وادى سرحان أيدت بريطانيا منحة للأردن حتى تتصل الإمارتان الهاشميتان الخاضعتان لنفوذها، والأمر الذى يستدعى أن قضية الحدود بين نجد من جهة والعراق والأردن من جهة أخرى لم تحل إلا أثناء حصار جدة وحتى أفول نجم الحكومة الهاشمية.

وهناك تفسير أخر للوضع القانونى والواقعى بشأن ماتم التوصل إليه فى إتفاقيتى المحمرة والعقير، فقد كانت حدود الكويت فى توقيع معاهدة العقير، هى تلك التى تم الوصول إليها فى معاهدة عام ١٩١٣، ولم يكن فى الإمكان تغييرها إلا بإتفاق بين الحكومتين العثمانية والبريطانية، وقد أوضح الأمير عبد العزيز ـ طبقاً لهذا التفسير ـ بتفاوض على حدود بلاده مع الكويت على الحكومة البريطانية موافقته على هذا المبدأ، وأقر بمركزه القانونى بعد إندثار الإمبراطورية العثمانية، أصبح ملزماً كحاكم على نجد والإحساء بإحترام الإلتزامات التعاهدية للدولة االعثمانية بالنسبة إلى حدود هذه المنطقة، ويستدل هذا التفسير تبريراته من أن القانون الدولى يقر أن الأمير عبد العزيز كوارث للسيادة العثمانية، فإن «الوراثة تحدث بالنسبة إلى الحقوق والواجبات الدولية التى كان السلف يملكها أو يقبلها كإلتزام، والمتعلقة محلياً بجزء من الأراضى المنقسمة أو التى تم التخلى عنها» وكان الخط الأزرق قد أكتسب الصفة القانونية كحدود شرقية لنسجق نجد العثمانى فى المادة الثالثةمن المعاهدة البريطانية العثمانية التى عقدت فى التاسع من مارس ١٩١٤ وتم إبرامها فى ٥ يونيو من نفس العام، وأصبح هذا الخط إلتزاماً دولياً يربط

محلياً بنجد والإحساء، ويضيف أحد الباحثين الغربيين فى القانون الدولى قائلاً :«إن المرء يجتهد كثيراً فى البحوث التى تعالج الأنظمة الإقليمية للبحث فى كيفية تنظيم الحدود، وتجمع الآراء على إعتبار مثل هذه البحوث متعلقة أيضاً بأصحاب السيادة الجدد على الممتلكات موضوع البحث». ويستطرد هذا الرأى فيذكر أن عبد العزيز قد أعترف بهذا المفهوم في ديباجة المعاهدة البريطانية السعودية في ٢٦ ديسمبر ١٩١٥ وذلك في المادة الأولي من المعاهدة كحاكم نجد والإحساء والقطيف وجبيل والبلدان والمواني التابعة لها، كما ورد ذكر الخط الأزرق في مفاوضات العقير ١٩٢٢ دون ذكر أية إشارة إلي إعتبار هذا الخط حدود شرقية لنجد.

بالرغم من التصديق علي معاهدة المحمرة ومؤتمر العقير، فقد ظلت المشكلات قائمة بين كل من نجد والعراق، وساد التوتر بسبب إستمرار الغارات بين العشائر العراقية والبادية في نجد، ونتيجة لحالة التوتر علي الحدود فقد أوعزت الحكومة لبريطانية للوكيل البريطاني بيرسي كوكس ومن بعده فوكس رئيس المعتمدين السياسيين في الخليج بإجراء إتصالات مع الأمير عبد العزيز وإقتراح قيام مؤتمر لحل المشكلات القائمة بين كل من نجد والعراق وشرق الأردن والحجاز، وقد عقد المؤتمر تحت إلحاح الحكومة البريطانية وتم إختيار الكويت مكاناً بإعتباره يقع في الوسط بين نجد والعراق وأن شيخها أحمد الجابر يتمتع بعلاقات طيبة مع سلطنة نجد والعراق، وأوضحت بريطانيا أن هدف المؤتمر هو إزالة الخلافات بين الحكام العرب، وقد رحب للسلطان عبد العزيز بدعوة بريطانيا له للحضور غير أنه أشترط لذلك أن تبحث مشكلاته مع كل من قطر علي حده وأن يؤجل موعده إلي فبراير ١٩٢٤ بدلاً من أواخر عام ١٩٢٣، كما دعت الحكومة البريطانية إلي مشاركة العراق بهدف إعادة النظر في معاهدة المحمرة، كما وافق الأمير عبد الله أمير شرق الأردن علي حضور المؤتمر.

بدأ مؤتمر الكويت في ١٧ ديسمبر ١٩٢٣ بحضور وفود سلطنة نجد والعراق وشرق الأردن ولم يحضر وفد الحجاز، ودارت بين تلك الوفود محادثات لمنع الغزوات والغارات بين العشائر المقيمة علي جانبي الحدود والتفكير في عقد معاهدات لتسليم المجرميين وجباية الزكاه، غير أن أوجه الخلاف حول هذه النقاط قد أجل النظر فيها حتي ١٨ يناير ١٩٢٤، وبعد مشاورات وإتصالات بين الحكومتين البيربطانية والعراقية أستؤنفت الجولة الثانية من مؤتمر الكويت. وكانت بريطانيا تسعي بذلك إلي عرقلة جهود السلطان عبد العزيز الرامية إلي إيصال حدوده إلي سوريا بقصد التجارة، وفي تقييم مؤتمر الكويت يري أحد الباحثين أنه من الأرجح أن المؤتمر لم ينجح في مساعيه بشأن تخفيف حدة التوتر في المنطقة، وهو ماجعل الحكومة السعودية تصدر الكتاب «الأخضر النجدي» المتعلق بمؤتمر الكويت شارحة وجهة نظرها وإستعدادها لحل الخلافات بالوسائل السليمة مع الحفاظ علي المصلحة الإقليمية[٣٤].

ويري حافظ وهبة أنه لم تكن هناك حدود دولية بين نجد والعراق لأن القبائل بين البلدين كانت دائمة التنقل، ويضيف وهبة أن أكثر العشائر المعروفة في العراق هي عشائر نجدية رحلت إلي العراق وسوريا ونجد مثل شمر، وكانت الحدود النجدية تمتد وتضيق حسب قوة الحكام وإمتداد سيطرته وسطوته بين القبائل والعشائر. وقد سبقت الإشارة أن الحدود السعودية العراقية سبق أن خططت في إتفاقية المحمرة عام ١٩٢٢ وأرفق بهذه الإتفاقية بروتوكول إنشاء منطقة محايدة مساحتها ٢٥٠٠ ميل مربع وتجاور الجزء الغربي من الحدود مع الكويت، وفي هذه المنطقة المحايدة تم الإتفاق علي عدم إقامة منشآت عسكرية دائمة، ويباح للقبائل الرحل من كلا البلدين أن تجوب المنطقة بحثاً عن الكلأ والمياه.

أما فيما يتعلق بالعلاقات بين عبد العزيز بن سعود وبريطانيا، فقد شهدت هذه العلاقات مرحلة جديدة منذ عام ١٩٢٧ بعد التوقيع علي معاهدة جدة في ٢٠ مايو من نفس العام، ومثلت هذه المعاهدة إعترافاً بالتغييرات العظيمة وأزدياد مكانة عبد العزيز بن سعود وسلطاته منذ توقيت معاهدة ١٩١٥م التي سبقت الإشارة إليها، حيث ألغيت هذه المعاهدة بناء علي ابن سعود وأن المرتبة التي بلغها لاتسمح له ببقاء العلاقة التي رسمتها، ونص في معاهدة جدة التي تم التوقيع عليها في ٢٠ مايو ١٩٢٧ علي إلغاء معاهدة دراين صراحة، والإعتراف بإستقلال الدولة السعودية إستقلالاً تاماً وكاملاً بدون قيد ولا شرط، وأضفت معاهدة جدة علي بن سعود لقب «ملك الحجاز ونجد وملحقاتها» ورفعت من المعاهدة الجديدة القيود التي كانت مفروضة علي تصريفه لعلاقاته الخارجية وأعماله الأخري بموجب معاهدة عام ١٩١٥، وأعترفت الحكومة البريطانية بالإستقلال الكامل والمطلق لبلاده، وتعهد ابن سعود بمواصلة إحترام السلامة الإقليمية لإمارات شرقي الجزيرة العربية الواقعة تحت الحماية البريطانية، ونصت المادة السادسة من معاهدة جدة علي أن «يتعهد جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما بالحفاظ علي العلاقات الصديقة والسلمية مع أرضي الكويت والبحرين ومشايخ قطر وساحل عمان الذين يرتبطون بعلاقات تعاهدية خاصة مع صاحب الجلالة البريطانية».

والواقع أن بريطانيا بموافقتها علي إلغاء معاهدة ١٩١٥ ـ معاهدة دراين أو العقير ـ كانت تدرك إن هذه المعاهدة لم تعد صالحة لأن تكون قاعدة لعلاقات الحكومتين النجدية والبريطانية بعد أن تغيرت الأحوال والظروف بفضل قوة شخصية السلطان عبد العزيز بن سعود، ومن ناحية أخري فإن الأوضاع في قطر والكويت في هذه الفترة كانت تطلب ذلك، ذ شنيخة قطر التي تقع بين نجد والكويت كانت بريطانيا قد وقعت معها عدة إتفاقيات تعاهدية كان آخرها في



سنة ١٩١٦، أما الكويت فقد ظل خبر الإتفاق المعقود بين الشيخ مبارك وبريطانيا في ٢٣ يناير ١٨٩٩ سراً بينهما، وعقب إعلان الحرب العالمية الأولي زار السير بيرسي كوكس الشيخ مبارك، وقبل ذلك بعام إنتزاع الإنجليز وثيقة من الدولة العثمانية تعترف بموجبها بالإتفاقيات بين بريطانيا والكويت[٣٥].

الهوامش:

١- راجع حافظ وهبة، خمسون عاما في جزيرة العرب، القاهرة ١٩٦٠ وتحديد الإشارة البريطانية وضعت أمرين من الأسرة الهاشمية : الأول علي عرش العراق والثاني علي عرش الأردن وقد ساد مفهوم سياسي بريطاني أن الأسرة الهاشمية في هذه الفترة لم تعد بتلك الأهمية التي كانت تحظي بها عشية الحرب العالمية الأولي، كما أنها لا تملك القوة العسكرية الضرورية لحكم القبائل في الجزيرة «الباحث».

٢ ـ راجع في تفصيل ذلك :

محمد علي الداود، الخليج العربي والعمل العربي المشترك، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، مطبعة الأرشاد، بغداد، ١٩٨٠ من ص ٧٢ ـ ٧٤ .

٣ ـ المرجع نفسه من ص ٧٥ ـ ٧٧ وحول نهاية الرخوان الدور المناوئ لفيصل الدرويش تجاه نجد في هذه الفترة راجع : محمد المانع، مرجع سابق، من ص ١٦١ ـ ١٩٥ .

٤ ـ المرجع نفسه من ص ١٦٥ ـ ١٨٨ .

٥ ـ حول الدور السعودي وآراء جلبرت كلايتون عموماً، راجع :

Clayton, Sir G, "arbia And The Arabs Ib" Journal Of The Royal Lnstitite Of Iaternation Affairs,, 1929, Pp. 8-20.

٦ ـ راجع :

Antonius, Sir G, Arabia Awaking, The Story Of Arab Ntional Movement, London, 1938.

٧ ـ تميرلي، الوثائق البريطانية ـ م . س . ذ.



٨ ـ راجع تفصيل ذلك في : ممدوح الروسان العراق والسياسة العربية ١٩٣١ ـ ١٩٤١ ، رسالة ماجيستير ـ غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٧٢.

Antonius, G., Op. Cit., pp. 114-116.

٩ ـ راجع :

Clayton, Sir G,m "arbia And The Arabs Ib" Journal Of The Royal Lnstitite Of Iaternation Affairs,, 1929, Pp. 3-18.

١٠ ـ لورمي، م. س. ذ. ، الجزء الثاني

١١ ـ نقلاً عن المذكرة البريطانية.

١٢ ـ راجع خالد السعودن . م.س.ذ

١٣ ـ المرجع نفسه

١٤ ـ دكتور تركي محمد بن سعود الكبير، م. س. ذ

١٥ ـ المرجع نفسه.

١٦ ـ يذكر الريحاني أن التفسير ليس بمدينة الأمرية وإنما هي إسم لجمرك من جمارك نجد في الإحساء وهي أحد مواني السلطان عبد العزيز الثالث ومن العقير يبدأ الطريق الشرقي إلي نجد راجع في تفصيل ذلك، ياقوت الحموي، بحجم البلدية، بيروت ، ١٩٥٧.

١٧ ـ راجع : خالد السعدون، م. س. ذ.

١٨ ـ المرجع نفسه.



١٩ ـ المرجع نفسه .

٢٠ ـ المرجع نفسه.

٢١ إعتمدنا في هذا الجزء من الدراسة علي التحليل القيم لخالد السعدون م.س.ذ.

٢٢ ـ خزعل تاريخ الكويت السياسي خلص ٢٢٠ ـ ٢٢٧



٢٣ ـ خالد السعدون م.س.ذ.

٢٤ ـ رئيس المرجع السابق، وراجع أيضاً : دكتور تركي بن محمد بن سعود الكبير، مرجع سابق.

٢٥ ـ خزعل ، مرجع سابق

٢٦ ـ خالد السعدون ، مرجع سابق

٢٧ ـ المرجع نفسه

٢٨ ـ المرجع نفسه

٢٩ ـ أمين الريحاني ، م.س.ذ

٣٠ ـ خالد السعدون تلال عن خزعل.

٣١ ـ حول فريد من التفصيل، راجع خزعل، م.س.ذ

٣٢ ـ د/ محمد نصر رضا وأخرون، الخليج العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩١ .

٣٣ ـ دكتور عبد الله شعلان، مطبعة الحدود في الخليج العربي القاهرة ،١٩٧٨

٣٤ ـ حافظ وهبة، مرجع سابق.

٣٥ ـ دكتور محمد رضا، الخليج العربي، مرجع سابق ص ٤٠١ ـ ٤٣١ .

الفصل الخامس

رياح التغيير الإقليمية

سبقت الإشارة إلي نظرة ابن سعود(١) إلي تصرفات الثورة التركية نظرة الشك، خاصة وأنها عينت الشريف حسين بن علي الهاشمي في الحجاز. وكان السعوديون علي خلاف مع الأشراف منذ العمليات الحربية التي وقعت في الحجاز في أوائل القرن التاسع عشر، ورأي ابن سعود في هذا التعيين تدعيماً لنفوذ الأتراك في البلاد العربية، وربط بينه وبين تقوية الحاميات العثمانية في أنحاء شبه الجزيرة.

كانت بريطانيا تواصل عملية تطويقها للبلاد العربية، وإمتداد نفوذها فى الخليج العربي وفى عدن، فوجد ابن سعود أن هناك دائرتين تعملان علي تطويقه، والحد من خططه، الأولي عثمانية، والثانية بريطانية. وكان في حاجة إلي مخرج له علي البحر، وكان أقرب ساحل له هو الخليج العربي، الذي تفوق فيه النفوذ البريطاني، نظراً لوجود الأسطول. ووجود أعوان البريطانيين، مثل الشيخ مبارك. ولم يكن في قدرة الأتراك أن يمنحوا ابن سعود مثل هذا المخرج.

اتصل عبد العزيز بالشيخ مبارك، وطلب منه في سنة ١٩١١م أن يحاول معرفة نيات حلفائه البريطانيين تجاهه، ولم تكن السلطات البريطاينة تعارض في امتداد النفوذ السعودي، مادام هذا النفوذ يجعل السلطة العثمانية بعيدة عن سواحل الخليج، ومادامت مصالح ابن سعود غير متعارضة مع مصالحهم ومصالح حلفائهم، وخاصة في منطقة الكويت. فأخذ ابن سعود في الاستعداد، واتجهت أنظاره إلي منطقة الاحساء وجاءت الحرب الإيطالية التركية سنة ١٩١١م ثم الحرب البلقانية سنة ١٩١٢م لكي تسهل عليه خطة العمل.

أضطرت الدولة العثمانية إلي سحب جزء من حامياتها المتفرقة شرقاً وغرباً، لكي تواجه بها هجوم البلغار علي استانبول، وعلم ابن سعود أن عدداً حامية الهفوف (عاصمة الاحساء) قد انخفض إلي النصف، ولما كان الأهالي لا يقبلون حكم الأتراك لمنطقتهم إلا مكرهين، أعد ابن سعود قواته وسار بها مسرعاً ودون توقف، متجهاً صوب الهفوف فبلغها بعد ثلاثة أيام، وتسلق بعض رجاله أسوار المدينة، وفتحوا الأبواب فدخلتها المقدمة التي تمكنت من الاستيلاء علي الأبراج والقلعة، وفي الصباح دخلت بقية قوات السعوديين الي المدينة، وحاصرت رجال الحامية الذين اعتصموا بالمسجد، وبعد مفاوضات مع التصرف، قبل ابن سعود ان يخرج الجنود العثمانيون بأسلحتهم وأسرهم وأمتعتهم عائدين إلي البصرة ثم أحتل السعوديون ميناء القطيف وعقير، فخضع لهم كل الأقليم، وبطبيعة الحال لم تتحرك بريطانيا أمام توسع السعوديين علي الخليج العربي أما الحكومة العثمانية فقد شعرت بعجزها عن إعادة اقليم الاحساء الي ادارتها المباشرة، وحاولت أن تكسب ود ابن سعود، فأعترفت له بالأمر الواقع، وعقدت معه اتفاقية اعترفت به أميراً علي نجد وملحقاتها.

كان ضم الاحساء إلي نجد في عام كما سبقت الاشارة ١٩١٣ سبباً في ازدياد نفوذ ابن سعود من الناحية الأدبية في بقية أنحاء الخليج العربي، وإنتهت حالة العزلة التي عاشها وسط الجزيرة بحصوله علي منفذ بحري هام ولم يكن في بال ابن سعود ولا بريطانيا في هذا الوقت ما تشتمل عليه أرض الإحساء من كنوز في باطن الأرض ستغير تاريخ الخليج العربي بعد سنوات.

أعلنت الحرب العالمية الأولي واشتركت فيها الدولة العثمانية وكل أقاليمها العربية، في وقت لم يكن فيه ابن سعود في وضع يسمح له بالمشاركة إيجابيا في مجهوداتها، وكانت مبادئ الاستقلال العربي عن الدولة العثمانية قد

انتشرت في كل مكان. نتيجة لنشاط الجمعيات الوطنية، وخاصة جمعيتي الفتاة والعهد. وكان تحرير الأقاليم السورية وبلاد العراق وإرجاعها إلي الحكم العربي أمنية تداعب قادة العرب وزعمائهم، غير أن ابن سعود وجد أن خروجه علي رأس رجاله من وسط الجزيرة إلي سوريا أو العراق قد يساعد علي إنشاء حكم عربي في هذه الأقاليم. ولكنه لن يحمل فائدة تذكر للجزيرة العربية ذاتها، كي دماء هذه الأقاليم وتقوي علي تغيير وضعها السياسي وربما الاقتصادي، ولكن نجداً ستظل موطناً لقبائل منقسمة غير مستقرة، وفي وضع إجتماعي متخلف فصمم علي البدء بأقليمه، وعمل علي بنائه بشكل يسمح له – فيما بعد – بمشاركة بقية البلاد العربية حياتها وكفاحها. وكان ابن سعود سباقاً بهذا الفكر تجاه تغيير بلاده وتحديثها.

انقسم رعايا ابن سعود إلي قسمين: الأول هم سكان القري والمدن، والثاني هم سكان البادية. وإذا كان في إستطاعته أن يثق في ولاء أبناء القسم الأول، فإن تطبيق النظام علي البادية كان أمراً صعباً، ما داموا يعيشون علي النظم القبلية، ويستندون إلي العصبيات، وكان رجال القبائل في حركة دائمة، ويؤمنون بأن حياة البدو المنتقلين هي أشرف حياة وأنبلها، وكانوا يعتزون بأنسابهم التي يرجعون بها إلي أدم، ويعتزون بحريتهم وبسيوفهم، وكانوا في حقيقة الأمر يقنعون بخيامهم وخيولهم ونسائهم، وحريتهم، ولا يعترفون بكثير من الإلتزامات، التي تفرضه تحديث المجتمعات علي مواطنيها، وكثيراً ما آثرت فيهم الفصاحة والخطابة التى تلهب عواطفهم، فيتخذون من المواقف ماقد يدفع بهم إلي الحرب، ولكنهم عجزوا، نتيجة لتحكيمهم العواطف، عن القيام بمجهودات متواصلة، وقد قاسي ابن سعود نفسه منهم كمحاربين وكرعايا، إذ كانوا لا يتورعون في حالات خاصة، عن الإنضمام إلي العدو، أو الاقتصار من المعركة علي أخذ الأسلاب. وكم من مرة إضطر فيها إلي عقابهم، غير أن هذا

العقاب لم يعط إلا نتائج مؤقتة، ولم يغير شيئاً من عاداتهم أو أخلاقهم.(٣)

وجد ابن سعود أنه من الواجب عليه أن يعمل علي تغيير ظروف حياتهم تغييراً أساسياً، وفكر في تغيير حالة البداوة والتنقل بتثبيتهم حول عيون المياه، وإغرائهم علي العمل في الزراعة أي تغييرهم من مجتمع الرعي إلي مجتمع الزراعة، تدريجياً، فاختار لذلك بعض عيون الماء الثانوية، أو التي تبعد عن طرق القوافل الرئيسية، وعمل علي تحسين وسائل الري، وزيادة مساحة الأرض المزروعة فيها، إغراء للقبائل المحيطة علي التوطن والعمل المنتج، وستصبح هذه التجمعات مع مضي الوقت، مراكز لتجنيد قوات تدين بالولاء لابن سعود، وتعود بعد المعارك لكي تواصل عملها في أراضيها فيمكن لسيد الجزيرة أن يصل بالتالي إلي تغيير نوع القوات المحاربة التي يعتمد عليها في بناء دولته العربية.(٤)

غير أن الحالة الفكرية والمستوي الثقافي الذي كانت تعيشه نجد في هذا الوقت لم تكن لتسمح لابن سعود بالقيام بهذا المشروع إلا إذا ما استند إلي الإسلام كدعامة أساسية، فلتكن هذه التجمعات إذن زوايا سعودية يرتبط فيها الأهالي بوحدة في التكوين، ووحدة في الهدف. سيتعلمون أنهم يجاهدون في سبيل الله، وتحت قيادة موحدة، يعترفون بها ويحترمونها، ويتركون جانباً من عصبياتهم القبلية وولاءهم للنسب، فيتمكن ابن سعود إذن من توجيه حب العرب للحرب إلي صالح المجموع، ويثبت في العرب تجانسا قوميا مرتبطاً بهذه البقع الخضراء التي ستنتشر في الصحراء طولاً وعرضاً.

كان الطريق مليئاً بالعقبات، خاصة وأن ابن سعود كان يهدف إلي تحديث الوضع الإجتماعي في اسسه الإقتصادية، وفي طبيعة تكوينه، وجاءت العقبات من إعتزاز العرب بطريقة معيشتهم. وجاءت العقبة الأساسية من

الزعامات والقيادات التي خشيت من ضياع إمتيازاتها، وترأس المعارض فريق من آل سعود أنفسهم وهو مايستدعى وقفة للتفسير.

كان افراد هذه الأسرة هم المشرفون علي الدعوة الوهابية التي نظمت نفسها في شكل هرمي، فأحتفظوا لأنفسهم بالزعامة أوالقيادة، وكانت الأوامر والإرشادات، تصدرمنهم عن طريق القيادات الثانوية إلي أن تصل إلي القبائل. وكانت إمتيازاتهم تعتمد من ناحية علي المذهب الوهابي، ومن ناحية أخري علي السيف، أداة الجهاد. فرأوا في إقامة هذه التجمعات أداة لإقامة قوة حديثةتدين له بالولاء، رغم سيرها علي الطريقة الوهابية. وخشوا من أن يؤدي هذا المشروع إلي أن يفقدوا كل مالديهم من كلمة. غير أنه أفهمهم أنه بمثابة معسكرات دائمة ثابتة تعمل من أجل الإسلام، ونجح في الحصول علي تأييد والده الإمام عبد الرحمن أمام هذه التجربة .

بدأ ابن سعود بواحة الأرتواية الواقعة بين نجد والإحساء، وجهزها برجاله المخلصين وجعلها مركزاً لإقامة «الإخوان» الذين حصلوا علي ملكية أراضيهم، وأصبحوا يكونون مجتمعاً صغيراً يلتف حول المسجد، ويقوم بالزراعة، ويحتفظ كل فرد منهم في منزله الصغير بسلاحه والطلقات والرصاص، ويعتبر نفسه مجاهداً في سبيل العروبة والإسلام، ولكن تحت قيادته وبأوامر صريحه منه.

أخذ عبد العزيز في الإهتمام بهذا المجتمع الجديد وكثيراً ما قام بزيارتهم وشجع الإخوان علي العمل، ثم عهد بقيادة هذه المنطقة إلي الشيخ الدويش، وهو من الرجال المعروفين بغيرتهم علي الإسلام، وتحمسهم في الدفاع عن العروبة. وأثبت بذلك أن الضغائن والإنقسامات القبلية قد إنتهت، وحلت محلها سلطة مركزية تعتمد علي نظام الدولة الحديثة، وشعور المواطن بخضوعه لسلطة وطنية قوية تعطيه حقوقه وتطلب إليه أن يقوم بواجباته وهو ابتولى

ماوصفه صانتج بانه أي ابن سعود سياسي(٥) الصحراء وتتركه اقتوني نانتج يعبر عن ذلك قائلا:

"كان لابد من تندمج فتوحاته فى بعضها لتكوين مجتمع قوى مستقر، وفى سبيل هذه الغاية لم يكن العرب فى حاجة إلى نداء فحسب، وإنما كانوا فى حاجة إلى حرفة؟ وهكذا راح الأيد الملك قخا يقدر يبت مفهوما جديدا وثوريا للحياة فى المجتمعات اليدوية فى نجد وتحديا لظروف التقليد، بدأ فى عام ١٩١٠ يخرج القبائل ببعضها البعض وأعاد توطنيهم ، وكان له من وراء ذلك أهداف ثلاثة هي: تكوين تجانس قومى قادر على الدفاع عن نفسه وذلك فى سياق مصالح هذا التجانس لمواجهة قطاع الطرق ثم تعليم البدو منافع الحياة المستقرة على نقيض حياة الترحال، وأخيرا محاولة تفكيك البنيان القبلى القديم بما يشمل عليه من فتن بسبب الإنقسام وأن يحل محله إحساس بالتماسك القومى المفضى إلى تحقيق مصالحهم المشتركة"(٦)

ولم يكن يعبأ بالدسانس وعلى صعيد رياح التغيير المحلية والاقليمية وجد ابن سعود انقال الرشيدفي شمر، هم أعداوه.. ورأي في بقاء الشريف حسين بن علي في الحجاز خطراً ثانياً يهدد دولته في الرياض، ويهدد طريقته في الحياه الإسلامية. وشعر بدرورة القضاء علي نفوذ الهاشميين من الأراضي المقدسة. فكان هذا عاملاً يدفع به لمواجهة الدولة العثمانية .

وجد أمير نجد خطورة البقاء وحيداً في ميدان المعركة فعزم علي الميل إلي جانب بريطانيا التي إزداد نفوذها في الخليج العربي، وأرسلت إحدي حملاتها العسكرية إلي البصرة وجنوب العراق. وأراد أن يتخذ من هذا التحالف دعامة لبناء سياسة وطنية خاصه به. وإسلامية في نفس الوقت، سياسة تهدف إلي تقليم أظافر النفوذ التركي في شبه الجزيرة العربية، بالقضاء علي آل الرشيد، وتهدف من ناحية أخري للقضاء علي"

الإرستقراطية"(٧) الإسلامية الهاشميين التي تعتمد علي نسبه وبنائها في حكم المسلمين، خاصة وأن السعوديين كانوا لايعترفون لعربي بفضل علي عجمي إلا بالتقوي، وهو ما يتعارض تمام المعارضة مع الإستناد إلي الحسب والنسب.

وعلي أي حال فقد أمن ابن سعود علي ممتلكاته ضد أي خطر خارجي، وأعتقد إنها تسمح له بمهاجمة الحجاز، وإنتزاعه من سلطة الشريف حسين، ولم يكن يعبأ بالدسائس البريطانية، في البلاد العربية. وسرعان ما أعلن الحسين الثورة العربية ضد الدولة العثمانية، وبدأ في التعاون تعاوناً وثيقاً مع قوات الحلفاء . وحينئذ علم ابن سعود أن خصمه قد أصبح حليف بريطانيا الاول في المنطقة،.وإنه قد قيد نفسه بمصادقته مادام الحسين صديقاً لبريطانيا . ولكن هذه الصداقة كانت علي غير أساس، إذ أنها كانت تتعارض مع طبيعة القوي الموجودة في المنطقة.(٨)

ويرى أحد المؤرخين المعاصرين إلى إعلان الشريف حسين الثورة علي الاتراك من الأراضي المقدسة، ثم إعلانه نفسه ملكاً علي البلاد العربية، يعد أكبر تهديد لإستقلال نجد حيث رد ابن سعود قائلا أنه لايحق للحسين التحدث باسم العرب جميعاً، فمابالك بإعلان نفسه ملكاً عليه دون أن يحصل منهم علي البيعة ؟ وكان هذا بداية الشقاق السياسي بين القوتين الناشئتين في الجزيرة العربية في ذلك الوقت : قوة السعوديين، وقوة الأشراف الهاشميين. وفضلاً عن ذلك فإن الحسين بن علي طلب إلي عبد العزيز أن يمده بالرجال لمقاتلة الأتراك، ثم زادت مخاوف عبد العزيز حين إستلم مبلغ الخمسة آلاف جنيه استرليني والتي وعدته بريطانيا بها. من «ملك الحجاز»، مما وضعه في مركز التابع للحسين، وهو مركز لا يرضي عنه.

ورأي عبد العزيز أن يعتمد علي «مذهب» وعلي «إخوان» يحاربون عن



عقيدة في الوقت الذي يعتمد فيه الحسين علي مجندين من المرتزقة، يعملون في خدمة الإمبراطورية البريطانية، لقاء رواتب، فكان من الطبيعي أن تصطدم القوتان معا، رغم تحالف كل منهما مع بريطانيا، نتيجة لإختلاف تكوين وإتجاه كل منهما عن الأخري وتطلب الأمر تغيير الموقف السياسي، أونشوء الإدعاءات لكي تتخذ زريعة لإعلان التصادم. وسرعان ما ظهر السعوديين الإستقلالية أمام القوة الجديدة التي عد ل الحسين جاهداً علي بنائها، ووقع النزاع في منطقة التخوم أو الحدود بينهما وعلي واحد الخرمة. ونترك انتونى ناتنج يعبر عن ذلك قائلا:

« كان ماحصل عليه – عبد العزيز آل سعود مبلغا ضخما بالنسبة إلى أمير معوز كان يمكنه فى ذلك الوقت أن يضع فى خرجه الإحتياطات المالية فى مملكته بأسرها – إلا إن ابن سعود عجز تماما عن تنفيذ هذا الجانب من الصفقة .. وعندئذ غرضت بريطانيا مضاعفة الإعانة إذا إسترد ابن سعود "مدنية" حائل عن أمريكا فى آل الرشيد. غير أنه أى ابن سعود أصر على الحصول على ثلاثة أضعاف هذا المبلغ وأن يتم تزويده بعشرة آلاف بندقية»

فى غضون ذلك عمل الحسين علي إخضاع هذه الواحة لسلطة الحجاز، رغم دخولها في نطاق الأرضي التابعة للسعوديين، ووجود كثير من الوهابين فيها. وكانت هذه الواحة سوقاً لبيع منتجات إقليم نجد ومواشيها إلي أهالي الحجاز فما إن أرسل الحسين قواته لإحتلالها حتي صمم عبد العزيز بن سعود علي إعادتها إلي نجد، وجعلها بمثابة حد يوقف عنده «توسع الدولة الحجازية» في متلكاته.

وإحتاج عبد العزيز آل سعود إلي منفس تخرج منه نزعة أهل نجد لنشر المذهب الوهابي في الأقاليم العربية المجاورة. كما شعر بضرورة إظهار قوته للسياسة البريطانية، ووضعها أمام الأمر الواقع، وإقناعها بأن له من المقومات

التي تسمح له بالسيطرة علي شبه الجزيرة العربية ما لايتوفر لدي الهاشميين . فصمم علي محاربة القوات الحجازية، وأعد قواته سار بها متجهاً صوب الغرب، وصوب أرضي الحسين .

ولقد حاول فيليبى، ممثل السلطات البريطانية في الهند لدي بن سعود، أن يثنيه عن عزمه، ويذكره بإتفاقية العقير وإلتزام بريطانيا بمساعدته إذا ما هاجمت قوات أجنبية .(١٠)

وقعت المعركة الفاصلة في تربة، فى عام ١٩١٩م بين قوات الملك حسين وبين الإخوان، وسقط علي أرض المعركة خمسة آلاف قتيل، وكان النصر في جانب مقاتلي نجد الذين أستولوا علي غنائم حربية من بنادق ومدافع ورشاشات كثيرة، ونجحوا بذلك في كسر قوة الحسين الرئيسية في الحجاز، في الوقت الذي تشتتت فيه بقية قواته في الشمال. وأصبحت القوة الرئيسية في شبه الجزيرة العربية هي قوة نجد التي إنفتح الطريق أمامها، دون مقاومة، إلي مكة والمدينة .

وفى نفس الوقت دارت المفاوضات بين الحلفاء الهاشميين لتسوية مشكلات مابعد الحرب. وحولت بريطانيا أن تجد في إتفاقها مع الأمير فيصل ما يخرجها من تضارب وعودها، بين إستقلال العرب الذي تعهدت به للشريف حسين، وإتفاقية سيكس بيكو التى أتفقت فيها مع حلفائها الغربيين علي تقسيم البلاد العربية، وبين هذه الوعود نفسها وتصريح بلفور الذي هدف إلي إدخال مشردي اليهود، أو من يدعون التشرد، أرض فلسطين العربية وإخضاعه إياها(١١) . أحتاجت بريطانيا إلي معاونة الهاشميين السياسية لإخراجها من ورطتها، والموافقة ـ ولو بشكل، مقنع ـ علي مصالحها الإستعمارية في البلاد العربية. فلم يكن من السهل علي بريطانيا أن تتخلي عن الهاشميين، وخاصة أمام قوة نجد الناشئة، التي تستند إلي حد السيف لتغيير الوضع القائم، ولبناء دولة تعتمد علي الإسلام.



إضطرت بريطانيا إلي الوقوف إلي جانب الحجاز في هذا الوقت، بحجة وفائها بتعهداتها الدولية وطلبت إلي عبد العزيز آل سعود أن يترك تربة والخرمة أرضاً خلاء، حتي تتم تسوية مشكلات مابعد الحرب والحدود وأن يعود في الحال برجاله إلي نجد. وهددته بأن الإتفاقية البريطانية السعودية «إتفاقية العقير» ستصبح لاغية في حالة رفضه تنفيذ هذا الطلب، بل وبإنها ستتخذ التدابير اللازمة ضد هذه الحركة «المعتدية » علي الحجاز. أما في حالة إنسحاب أهل نجد فإن بريطانيا ستقدر لعبد العزيز بن سعود عمله، وتعتبره دليلاً علي الود والولاء «لأنها تعد الجميع أصدقاء لها وتأسف أشد الأسف لما وقع بين أصدقائها، سواء أكان النصر في جانبهم أو في جانب الحسين».

هكذا اتضح الأمر أمام عبد العزيز آل سعود: فى أن بريطانيا تتدخل وتطلب إليه أن ينفذ، ويثبت وده وولاءه، وإلا فإن بريطانيا لن تتعهد بمساعدته علي الإحتفاظ باستقلالة أمام أى غزو أجنبي!! فإن إتفاقية العقير قد وضعته في موضع التابع لبريطانيا ولهذه الدولة أن تؤيد من تشاء، وتقدم من تختار من بين العرب، خاصة وأن دخول السعوديين الحجاز كان عملية هجومية وليست عملية دفاعية وكانت وحدات الأسطول البريطاني راسية في جدة وينبع والعقبة، والفرق الهندية والأسترالية قريبة، في مصر وفلسطين، ووحدات سلاح الطيران البريطاني تحلق فوق فلسطين.

أضطر عبد العزيز آل سعود إلي الإنسحاب بقواته من تربة صوب نجد، ولكن العداء أصبح معلناً بينه وبين الملك حسين، وعمل عبد العزيز علي تدعيم مركزه في وسط الجزيرة نفسها، وإتخذ موقف المدافع عن بلاده حتى يضمن مساعدة بريطانيا أو حيادها في العمليات. ووجه مجهوده ضد حكومة آل الرشيدفي حائل «أقليم شمر» في الشمال، وساعدته الغنائم التي أستولي عليها في تربة، وتخلي الدولة العثمانية عن آل رشيد، علي الإنتصار، وعلي ضم

هذه المنطقة إلي ممتلكاته، وأعلن نفسه سلطان علي نجد وملحقاتها . وإرتفعت أسهمه في أعين العرب، وأهميته في نظر بريطانيا نفسها. ووصل سلطان نجد إلي أوج عظمته، ولكن عبد العزيز إضطر إلي الإنتظار إضطراراً، حتي تحين الفرصة ويتغير موقف القوي الموجودة في الميدان الواحد من الآخري، وظلت أنظاره متجهة إلي الحجاز. وفي الوقت الذي زارت فيه قوة آل سعود في الحجاز، نتيجة للمكاسب المادية والمعنوية التي حصل عليها، مستنداً إلي تكوين قواته وتدعيمها قلت فيه قوة الملك حسين في الحجاز، بل وإنخفضت أسهمه لدي حلفائه البريطانيين . وكانت هذه هي الفرصة التي إنتظرها عبد العزيز بن عبد الرحمن للقيام بدوره في تاريخ الخليج العربي، لكي يحرر نفسه من الإرتباطات التي حدت من حرية عمله أمام الإمبراطورية البريطانية.

في غضون ذلك كان الحسين بن علي قد إستند من الناحية السياسية إلي الوعود التي أعطتها له بريطانيا أثناء الحرب العالمية؛ ومن الناحية العسكرية إلي المعونة المادية التي زودته بها بريطانيا، وكذلك إلي الخبرة الفنية البريطانية والفرنسية لتنظيم قواته، وإستند من الناحية المعنوية إلي شرف نسبه وسمو مركز أسرته بين العرب فأتخذ موقف المتحدث الرسمي بأسم العرب، والممثل الفعلي لأمال القومية العربية وأمانيها، ولكن هذه الدعامة التي إستند إليها الحسين بن علي كانت تحمل في نفس الوقت طياتها ودلالات أخرى.

من الناحية السياسية كانت بريطانيا قد أعطت وعوداً تضاربت مع الوعود التي قطعتها علي نفسها حياله. فأضطر الحسين إلي المطالبة بتنفيذ التعهدات البريطانية ولكنه لم يجد من حكومة لندن إلا المراوغة ومحاولة التملص، بل وإغراق القضية العربية في الجزئيات حتي يضيع هيكلها العام. وإتخذ موقف المحامي المدافع عن القضية العربية، وأخذ في إتهام بريطانيا

علانية بنكث الوعود والعهود، فتغير جو الود والصفاء الذي ساد بينه وبين حكومة لندن.(١٢)

ويري الدكتور جلال يحيي أن العالم العربي كان قد بدأ يشعر بإنفصال قيادته الهاشمية عن قاعدة الوطنيين المكافحين. وكانت طلبات السوريين لفيصل بإعلان الحرب علي فرنسا، حيث شرعت في إحتلال بلادهم، تدل علي هذا الإنشقاق، الذي تبلور في معركة ميسولون، حين رفض يوسف العضمة أوامر فيصل بعدم التعرض للفرنسيين، ووقع مدافعاً مجاهداً بل شهيداً من شهداء القومية العربية في الميدان. فكان من الطبيعي أن يأخذ الوطنيين العرب علي القيادة الهاشمية إقتصارها علي المدافعة والمرافعة عن قضية الوحدة والحرية، التي لاتحتاج إلا للدماء لكسبها. ففشل الحسين إذاً في إرضاء القاعدة الوطنية في الوقت الذي أغضب فيه أصدقاءه البريطانيين.

ومن الثابت أن بريطانيا قد أرادت بذلك أن تضع حسيناً في موضع لايحسد عليه، وأن تجبره علي الإلتجاء إليها، بشكل يفرض عليه عدم معارضتها سياسياً في الشرق العربي واصلت بريطانيا هذه السياسة، وأرسلت الكولونيل لورانس إلي الحجاز في سنة ١٩٢١ لكي يشرح للحسين ضرورة عقده لمعاهدة تحالف مع بريطانيا، حتي يتمكن من الإحتفاظ بعرشه أمام أى هجوم من الخارج : وكان معني التحالف هو الوصول بهذا الشيخ إلي موقف عميل الإستعمار، وإستغلاله في الإحتفاظ بالوضعية الإستعمارية المفروضة علي المنطقة. وقد يكون من الخطأ السياسى أن يرفض الحسين هذا العرض، وخاصة أمام تهديد قوات نجد له، ولكنه يدل علي إخلاص هذا الشيخ لمبادئه ولعروبته، وإن كان قد ثبت عدم صلاحيته قيادة المعركة العربية، في مثل هذا الميدان، وأمام هؤلاء الأعداء، وعلي أي حال فقد ساعد ذلك علي زيادة مخاوف الشريف حسين.

ونترك الدكتور/ جلال يحيى يستكمل الخطوات التالية للشريف حسين قائلا:

«وكانت أول خطوة له في هذا الطريق هو إعلان نفسه ملكاً علي البلاد العربية سنة ١٩١٦ مما جعل القيادات العربية الأخري تعمل علي التخلص من سيطرته عليها، مستندة في ذلك إلي إنه لم يحصل علي البيعه. ووصل به الأمر في ٧ مارس سنة ١٩٢٤ إلي إعلان نفسه خليفة للمسلمين بعد أن تخلص من الأتراك الكماليين، من آخر خلفاء آل عثمان. وكان الحسين بن علي قد أغضب جزءاً هاماً من الرأي العام الإسلامي حينما أعلن الثورة علي الدولة الإسلامية، دولة الخلافة الإسلامية. وظهر الغضب واضحاً في البلاد العربية والإسلامية التي كانت تجاهد من أجل حصولها علي إستقلالها من الدول الإستعمارية الغربية، وفي توافق مع حركة الجامعة الإسلامية المركزة في الدولة العثمانية. ظهر هذا الغضب من «الثورة العربية»، تجابهت قوات نجد وقوات الحجاز بمجرد أن أعلن الحسين نفسه خليفة علي المسلمين وكانت فرصة نادرة لكي يحقق عبد العزيز بن سعود خطته وينجز دوره في تاريخ الخليج العربي بل والعالم العربى المعاصر.

وليس معني هذا أن عبد العزيز بن عبد الرحمن قد إستند إلي تأييد بريطانيا في الهجوم علي الحجاز أو أن بريطانيا قد رضيت عن توسع سيد نجد وعن توسيعه لحدود سلطته من سواحل الخليج العربي إلي سواحل البحر الأحمر، بل أن عبد العزيز آل سعود قد استفاد من«حياد» بريطانيا في شأن الأراضي المقدسة لكي يضرب ضربته.

وكانت مصلحة بريطانيا الفعلية في هذا الوقت هي الإحتفاظ بالوضع القائم ورسمت خيوطه، مقطعة بها أوصال العالم العربي. وكانت مصلحتها الفعلية هي الإحتفاظ بالتوازن بين القوى الموجودة في المنطقة، حتي لاتزيد

إمكانيات إحداها، ويصل بها الأمر إلي التحكم مافي طرق المواصلات الإمبراطورية مستقبلا.

كانت بريطانيا تخشي من توسع نجد صوب العراق، وصوب شرقي الأردن، خاصة وإن إحتلال أهل نجد لأقليم شط العرب، أو توغلهم في الممر الصحراوي الشمالي الذي يصل شرقي الأردن بالعراق، ويفصل نجد عن سوريا كان يعمل علي قطع خطوط مواصلات الإمبراطورية البريطانية البرية بين حيفا والخليج العربي. وكانت المناوشات مستمرة بين الإخوان والسلطات المحلية في كل من هاتين الجبهتين.

ويرى إنتونى ناتنج فى تقييم الأحداث الجسام السابقة أن بريطانيا قد أحست بالخطر خاصة بعد إشتباك كل من الشريف حسين والأمير عبد العزيز على حدود الحجاز ونجد، حيث كانت بريطانيا قد إنحازت إلى جانبى حسين فى هذه المشكلة وفى مارس ١٩١٩م أمرت ابن سعود بالخروج من الحرمة، ولكن عندما وصل عبد الله فى مايو من نفس العام ليتملكها باسم الشريف خسر كل القوة التى كانت معه على أيدى الوهابيين، وأدى ذلك إلى عقد مؤتمر برئاسة بريكانيل فى الكويت فى نوفمبر ١٩٢٣ دعا ابن سعود إلى السماح لحسين بامتلاك الحرمة إذا اعترفت بريطانيا بحقه فى وادى سرحان، ولكن الأمير رفض صراحة إذا كان يعلم أن بإمكانه الإحتفاظ بالإثنين، وقد سادت حالة من الهدنة المسلحة لمدة أربعة أشهر، ثم نادى حسين بنفسه خليفة فى فبراير ١٩٢٤ م وكان هذا بالنسبة لابن سعود ذريعة كافية للإستيلاء على الحجاز، وفى سبتمبر من نفس العام سقطت الطائف فى أيدى الاخوان المتحمسين.. وفى السنة التالية حصل الأيد على المدينة المنورة وجدة وفى ٨ يناير ١٩٢٦ نودى بابن سعود ملكا على الحجاز وسلطانا لنجد.

أما تفصيلات هذه الأحداث التى أوردها ناتنج فقد سارت على النحو الآتى إعتبارا من عام ١٩٢٣م:

أولا: سعت بريطانيا إلي عقد مؤتمر يضم ممثلي السعوديين مع ممثلي كل من العراق وشرقي الأردن والحجاز في الكويت لتصفية المسائل المعلقة. أي لإقرار الوضع القائم، والإحتفاظ بالتوازن بين القوي العربية المختلفة، وفي صالح الإمبراطورية البريطانية. وإستندت بريطانيا في ذلك إلي النزاع القائم بين نجد والحجاز حول السماح لأبناء وسط الجزيرة للمشاركة في الحج من ناحية وإلي إغارة بعض الإخوان علي حدود العراق وشرقي الأردن من ناحية أخري.

وكان الحسين بن علي قد إشترط في عام ١٩٢٣ علي حكومة نجد أن تبلغه رسمياً عدد الحجاج، وأن يكون وصولهم إلي الحجاز عن طريق البحر كبقية المسلمين. وإلتجأ عبد العزيز بن سعود إلي المندوب السامي البريطاني في العراق وطلب منه التدخل، نظراً لما يعرفه من إزدياد النفوذ البريطاني حول ملك الحجاز. فلم يكن من الملك الحسين إلا أن تصلب في موقفه، خاصة وأن علاقته كانت قد ساءت مع بريطانيا وإتهم حكومة لندن بمحاباة إبن سعود وأعلن أن توغل الإخوان في منطقة الحدود النجدية الحجازية يفرض عليه إقفال هذه الجبهة، وإنتظار وصول الحجاج بالسفن عن طريق البحر الأحمر.

ووجد البريطانيون أن كل من حكومات العرق شرقي الأردن والحجاز ونجد تلتجئ إليهم للتدخل، وكل للدفاع عن مصالحه، فقرروا جمع ممثلي هذه الدول العربية لتصفية الخلافات مع بريطانيا.

ثانيا: إنعقد المؤتمر في الكويت في ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٣ وتخلف عنه مندوبي الحجاز. وإستمرت المباحثات خمسة جلسات إتفق فيها مندوبي نجد مع مندوبي العراق علي بعض مواد لتسوية مشكلات الحدود بين الإقليمين، ولكن العراقيين إشترطوا أن تصل حكومة نجد إلي تسوية خلافاتها، وعقد إتفاق مع الحجاز، حتي يصبح إتفاقهم مع السعوديين نافذاً. فأصبح الإتفاق العراقي - النجدي معلقاً، إنتظار للمباحثات السعودية الحجازية.

أمـا مندوبي شـرقي الأردن فـقـد طلبـوا إخـلاء الجـوف وسكاكـا وادى السـرحـان من الإخـوان، وإلحـاقـهـا بإمـاراتـهم، مـستندين إلي إنهـا «حـيـوية» للإحـتفـاظ بمـواصـالاتهم مع العـراق. وطلبـوا كذلك إخـلاء المناطق التى يـحـتلهـا أبناء نجد فى إقليم الحـجـاز، وهي تربة والخـرمة وخيـبر، وجعل الصـحـراء هي الحدود مـع نجد. ورفض السـعـوديين هذه المطالب، فـانفض المؤتمر لكي يتـشاور المندوبون مع حكوماتهم، ويعودوا للاجتماع من جديد في يوم ٨ يناير ١٩٢٤ .

ثالثاً: لم تشـارك الحـجـاز في هذه الدورة الثـانية، بل أن مندوب العراق نفسـه قد تخلف، ولم يحضـر إلا وفد نجد ووفد شرقـي الأردن. وأصـر مندوبو شرق الاردن علـي طلباتهم السـابقة بشـأن الممر الصـحـراوى مع العـراق، وكذلك في أمـر الحدود النجدية ـ الحـجـازية، ففشـل المؤتمر. وفشلت سيـاسـة بريطانيا في الحـصـول علي إعتـراف يدعم من الامـر الواقع. وإنتـهـز عـبـد العـزيز هذه الفرصـة التي اصطحـبهـا زيادة عزلة الملك حسين، وتوترت العلاقـات بينه وبين البريطانين، لكي يهاجم الحجاز ويضمهم لنجد.

رابعاً: كـان فـشل مؤتمر الكويت يخـدم أغراض عـبد العـزيز أل سـعـود بطريقة غير مباشرة، إذ أنه يطلق يداه في العمل على إرضـاء مصـالحه، خاصـة وأن قواته كانت مستعدة، في الوقت الذي ظهر فيه ضعف الحكومة الحجازية.

غير أن عبد العزيز بن عبد الرحمن وجد أنه من الخطورة بمكان أن يقوم بحركة لها لون سياسي ظاهر، أو يغلب عليها اللون العسكرى. فعمد إلى إخفاء أهدافه وراء لون أخر، هو الدين وفـرائضـه، حـتى يحـرم بريطـانيا من إمكـانيـة التدخل في نزا ع إسلامي، وحول الأراضي المقدسة.

فما أن علم سلطان نجد بفشل مؤتمر الكويت حتي جمع مؤتمراً أخر في الرياض لتشاور في مسألة الحج. وتألبت كل العداوة القديمة بين الأشراف وبين الإشـراف وبين السـعـوديـين منذ إعـلان المذهب الوهـابي. وأتـهم أهـل نجـد الملك

الحسين بأنه تركي، ثم أتهمه بأنه عميل البريطانين، وانتهوا إلي أن ليس له حق في منع المسلمين من الحج إلي بيت الله الحرام : فهو يمنع إذن قيام المسلمين بفرائض دينهم، وعليهم ـ كمسلمين مخلصين ـ أن يسيروا إلي مكة وإذا منعهم مانع فهناك السيوف، لإعلاء كلمة الله والإسلام .

كان هذا القرار يعني الزحف العام على الحجاز، ويقوم به أهل نجد، وعمد عبد العزيز آل سعود إلي تأيدهم بقوة عسكرية بلغت ستة عشر لواء، تجمعت في تربه بقيادة خالد بن لؤي. وكانت هذه القوة مكبيرة نسبياً أمام قوات الملك حسين باكملها، وزادت من أهميتها هذا الزحف العام الذي يقوم به أهل نجد بحد السيف إن تطلب الأمر، وساروا جميعاً تحت لواء الاسلام، وزادت حماستهم لإعلان الأراضي المقدسة ملكاً مشرعاً لكل المسلمين.

خامسا: لم تعلم حكومة الحجاز بهذه التعبئة حتي توغل الاخوان صوب الطائف، فحاولت أن توقف هذا الزحف، وتحتفظ بسلطة الدولة علي المدن الهامة، فأصدر الملك حسين أوامره إلي حامية الطائف بالوقوف والدفاع. وخرج بعض رجال حامية هذه المدينة إلي المرتفعات القديمة، ونصبوا عليها المدافع لانتظار مجئ أهل نجد: بعض مئات من قوات الحجاز يساعدها بعض مئات من المتطوعين من القبائل، ولكن القوات الزاحفة كانت حشوداً، وكتلاً متراصة. وفي نفس الوقت أصدر الحسين أوامره لقواته في مكة بالتقدم في طريقين، شمالاً وجنوباً، صوب الطائف للعمل علي إنجاد هذه المدينة، وتطويق قوات نجد، وقطع خط الرجعة عليهم. ولكن القوات الزاحفة من مكة تأخرت في سيرها، كما أن مقدمة جيش الحجاز، وكانت من متطوعي القبائل، لم تصمد كثيراً أمام هجوم الاخوان، بل قام بعضهم بالإنضمام لقوات نجد نفسهافي أثناء المعركة. فإضطرت قوات الطائف إلي التقهقر قليلاً قليلاً أمام الإخوان، وإحتل أبناء نجد كل موقع ينسحب منه جنود الحسين، حتي بلغوا مدينة

الطائف نفسها. ولقد استبسل جنود الحجاز فى الدفاع عن الطائف، ولكن شجاعتهم لم تغنيهم شيئاً أمام الحشود الزاحفة، فإضطروا إلي إخلاء المدينة التي تدفقت إليها جموع الإخوان.

ووقعت فى الطائف مذبحة عامة راح ضحيتها الآلاف من السكان، ونهبت الممتلكات والديار، وإستخدمت فيها القسوة وساد عليها روح الانتقام. وأمر قائد الإخوان بإخراج سكان المدينة رجلاً ونساء وأطفالاً إلي خارج المدينة «وكان النساء سافرات لأول مرة في هذه البلاد ، وكن مع الرجال، ومكثوا أياماً ثلاثة» ويقال ان بن سعود قد بكي حين بلغته الأخبار، وعرف الثمن الذي دفعه لإحتلال الطائف وأمر قواده بالكف عن القتال.

سادساً:- حاول الأمير علي بن الحسين أن يقف في الهدي لمنع قوات الإخوان الزاحفة من الوصول إلي مكة. ولكن قواته لم تزد علي مائتي جندي، وستمائة من رجال القبائل، فلم يتمكن من المقاومة طويلاً أمام قوات الإخوان، وأسرابهم الزاحفة وبأعداد كبيرة. فاضطر إلي الانسحاب إلي مكة، ثم ذهب منها إلي جدة، وبقي والده في مكة للدفاع عنها. وفي هذا الوقت ظهرت فكرة تنازل الملك حسين عن الملك لابنه علي، وعمل من أجلها بعض أهل الحجاز أنفسهم.

وخدمت هذه الفكرة خطة عبد العزيز آل سعود دون أن تقدم مكسباً واضحاً للعرب عامة ولأقليم الحجاز بشكل خاص. وأظهرها أبناء الطبقة الوسطي الذين يعملون في التجارة، ويهمهم سيادة السلام وأعلنتها هذه الحفنه من المتعلمين في الحجاز والذين حاولوا الوصول إلي حكم دستوري، أي إلي زيادة إشراكهم في تصريف أموراقليمهم.

وأعتقد أعضاء «الحزب الوطني الحجازي» أن العداوة استحكمت إلا بين الحسين وبين عبد العزيز آل سعود، فتدخلوا لفرض خطتهم علي الموقف، دون أن يستندوا الي قوة معنوية أو مادية يمكنها أن تؤثر علي سير المعركة.

وكانت خطتهم تدورحول تنازل الملك حسين عن التاج لابنه علي، وفي أن يعلنوا علياً بن الحسين ملكاً دستورياً، أي أن يكسبوا من الأزمة النجدية ـ الحجازية إشراكهم في إدارة شئون الحجاز. وكتبوا رسمياً إلي الملك في ٣ أكتوبر سنة ١٩٢٤ طالبين منه التنازل عن ملك الحجاز لابنه علي «علي أن يكون مقيداً بدستور ومجلسين نيابيين» فوضح الانقسام في المعسكر الحجازي، وعلي طريقة الحكم، والقوات النجدية تواصل تقدمها صوب مكة ولقد رفض الملك حسين أن يتنازل عن الحكم لابنه علي بالذات، ولكن معارضته انتهت كذلك بالتنازل، تاركاً لاهل الحجاز أمر إختيار ملك عليهم.

وكان هناك كثير من الأشراف في الحجاز، وكان عباس حلمي، خديوي مصر السابق، يصلح لمثل هذا «المركز». ولكن رجال الحزب الوطني الحجازي بايعوا علياً ملكاً علي الحجاز. واشترطوا عليه أن يكون للبلاد مجلس نيابي وطني، وقانون أساسي تضعه جمعية تأسيسية «كما هو جاري في الأمم المتدينة». ولما كانت الظروف لاتسمح بإجراء انتخابات في ذلك الوقت فقد ألف رجال هذا الحزب هيئة مؤقتة لمراقبة أعمال الحكومة.

وأثر تنازل الحسين علي معنوية الجند، وأكد من إنتصار عبد العزيز آل سعود دون أن يتحرك من الرياض، وجاء إعترافاً صريحاً من أهل الحجاز بضرورة تغيير الحال في إقليمهم وظهر بن سعود كمارداً أمام هذا الملك الصغير المتواضع المسالم.

واعتقد ابناء الحزب الوطني الحجازي أن إبعاد الحسين سيقضي علي النزاع مع أهل نجد، ورغبوا في إنشاء حكومة حديثة في إقليمهم ولكنهم فشلوا في فهم عمق الهوة التي تفصل بين عقيدة الإخوان وبين حكومة الأشراف.

كما أن خطتهم لإنشاء حكومة حديثة في الحجاز كانت تتعارض كذلك وفي شكلها الخارجي علي الاقل مع الطريقة البدائية التي يسير عليها أهل

نجد، رغم إشتمالهم علي نوع من أنواع الديمقراطية. وتناسوا نمو قوة «الاسرة» السعودية وإستنادها إلي القرآن وحده دستوراً للمسلمين وإلي حد السيف قوة تنفيذية لتطبيق شريعة الله.

وأخيراً فقد فقد الحجاز بهذا التغير كل المزايا الدولية التي حصل عليها من بقاء الحسين ملكاً عليه، خاصة وأن الدولة الأوربية كانت قد أعترفت به ملكاً علي الحجاز. ولم تعقد أي معاهدات دولية للاعتراف لحدود مملكة الحجاز فكانت الملكية مرتبطه بشخصه في هذه المنطقة، وإحتاج ابنه علي إلي اعتراف جديد به. وكان في إستطاعة الحسين أن يستنجد بالبريطانين إن تطلب الأمر ولكن ابنه فقد هذا السلاح.

وتوجه الحسين إلي جده ثم ابحر منها إلي العقبة، بعد أن رفضت مصر إقامته فيها، إبتعاداً عن المشاكل ووقع علي كاهل علي أمر الاشتباك في معركة خاسرة.

سابعاً: يعتبر انتصار عبد العزيز آل سعود علي الملك حسين - من وجه نظر الدكتور جلال يحيي(١٦) - قضاء علي تلك القيادة العربية التي استندت الي دول الغرب الاستعمارية، وسمحت لهم بطريقة غير مباشرة بالدخول الي البلاد العربية. ولكن عبد العزيز بن عبد الرحمن كان هو الآخر مرتبطاً باتفاقية العقير مع بريطانيا منذ سنة ١٩١٥، يصادق من يصادقها ويعادي من يعاديها. وكان قد تراجع عن الصدام مع بريطانيا في الوقت الذي لم يتراجع فيه عن الصدام مع الحسين. وأنهي بذلك هذه المعارضة التي قام بها الحسين ضد بريطانيا، وعزل هذا «العامل» وأدار هذه الصفحة التي أخذ فيها العرب يطالبون بريطانيا بتحقيق وعودها التي قطعتها لهم في أثناء الحرب العالمية الأولي، إذ لم تكن بريطانيا قد قطعت من العهود العرب إلا للحسين بن علي.

عاد الملك علي من جدة إلي مكة لكي يدافع عنها لوكنه لم يمكث بها إلا اسبوعاً، ثم إضطر في ١٤ من أكتوبر إلي الانسحاب منها عائداً الي جدة مرة

جديدة، بعد أن وجد قوته تنحصر في خمسمائة جندي. ودخل الاخوان مكة دون حرب، بل محرمين مطوفين ببيت الله، بعد أن أصدر عبد العزيز أمره بمعاقبة كل من يقاتل في هذه المدينة. ورغم ذلك فقد وقعت بعض عمليات السلب والنهب. ثم صمم عبد العزيز بن عبد الرحمن علي الحضور إلي أم القري. وقبل قيام سلطان نجد من الرياض أرسل بقواته إلي كل من حدود العراق وحدود شرقي الأردن ليمنع أخوي علي، في الشرق والشمال، من الهجوم علي نجد، ومن إرسال المعاونة لأخيهم في جدة. وكان دخول عبد العزيز بن عبد الرحمن الي مكة مع حشود الخوان يوماً مشهوداً، ارتفعت فيه ضرخاتهم تتجاوبها الجبال: لبيك اللهم لبيك.

وكان الملك قد أرسل بخطابات إلي ملوك العرب ورؤساء المسلمين، طالباً منهم التدخل للتوسط في الصلح مع سلطان نجد. وحاول الحاج أمين الحسين أن يتوسط، ولكن عبد العزيز عدد له مساوئ حكم الاشراف في الحجاز، وأكد عزيمتهم علي إقامة إدارة فيه «تكفل حقوق جميع المسلمين بوجه المساواه». أما شوكت علي، رئيس جمعية الخلافة في الهند، فإنه أجاب حكومة جدة بأنه لايعترف لهم بحق توليه ملك علي الحجاز بمفردهم، وأن الحكم فيّ ذلك يجب أن يكون لكافة المسلمين في المؤتمر العام، وأن مسلمي الهند لايقبلون بأي وجه من الأوجه تولية الحسين أو أحد أولاده ولايرضون إلا بتأسيس حكومة ديمقراطية يشترك فيها جميع المسلمين.

وعموما فقد ثبت إنعزال الملك علي وضعفه وعدم تأييد العالم الإسلامي له، في الوقت الذي دخل فيه عبد العزيز مكة. وسادت نظرية لاتعرف لعربي بفضل علي عجمي إلا بالتقوي، وتنادي باشتراك جميع المسلمين في تقرير وضع جديد للإراضي المقدسة، أي ملكية المسلمين المشتركة لبلاد الحجاز. ولم يبقي لفصل الأمر إلا بالقوي المادية، وكانت في أيدي أبناء نجد دون منازع.

وحينما طلب الملك علي من عبد العزيز حقن الدماء والوصول الي سلم، اشترط عليه سلطان نجد أن يقوم بإخلاء الحجاز، وينتظر حكم العالم الاسلامى في الأمر.

وأجتمع عبد العزيز آل سعود بأهل مكة، ورفض أن يسمح لهم بتقبيل يده، وحينما أظهروا دهشتهم شرح لهم أن عادة العرب المصافحة كذلك فعل الصحابة مع الرسول (صلعم)، ومع بعضهم بعضا، وأن عادة تقبيل الأيادي قد نزحت إلي البلاد العربية مع الأجانب.

ثم وافق علي اجتماع كل من علماء مكة مع علماء نجد، لكي يتشاوروا في أمور الدين والشرع، ولكي يصلوا إلي اتفاق حول المسائل المذهبية، وبالتالي الي اقرار قانون اساسي أو دستور يرضاه الجميع، وفي هذا الاجتماع شرح الشيخ حافظ وهبة أهمية مكة والحجاز من الناحية الإسلامية، ثم رسم الخطوط العامة لسياسة السعوديين في هذه المنطقة، فربط بين إنتشار الباع البلاد الإسلامية وبين إتجاه «الترقي المدني» وذكر أن السعوديين يهدفون إلي «الارتقاء الديني» وذلك برجوع المسلمين إلي السنن التي سنها الله لهم في كتابه وعلي لسان نبيه، ثم شرح ان السعوديين يهدفون إلي الرجوع بالإسلام إلي عهد الشوري، وأوضح ان عبد العزيز بن عبد الرحمن لا يريد أن يكون هذا البيت ملكاً لأحد، بل مشاعاً بين المسلمين، ولكل شعب من الشعوب الإسلامية، ولكل فرد من أفراد العالم الاسلامي حق فيه، وختم بأن التجربة قد اثبتت فشل حكم آل الحسين للحجاز، وأن الواجب يحتم علي كل العرب أن يعملوا علي التخلص منهم.

أما عبد العزيز آل سعود فقد شرح أن الرسول (صلعم) قد قاتل من كان بمكة حينما عصيت قريش أوامر الله، وأعرضت عن الحق، وأنه قد شرف بلال الحبشي وسلمان الفارسي بعد إسلامهما، والأول عبد حبشي والآخر رجل

فارسي، وأن الله قد أذل أبو لهب بالكفر وهو عم الرسول (صلعم) فالشرف ليس بالحسب ولا بالنسب، وإنما هو بالعمل الصالح، فأكد بذلك الديمقراطية الإسلامية، دون نظر إلي نسب أو إلي عنصر، بل علي أساس المساواة وتقديم العمل الصالح.

ولم يكن في استطاعة أي من علماء مكة أن يجادل في هذه المبادئ فأصبح الشرع هو دستور الحجاز، يستمدونه من الكتاب والسنة.

نشر عبد العزيز بن سعود بياناً تعهد فيه بجعل الأمر في الحجاز شوري بين المسلمين، وبقصر مصادر التشريع والأحكام علي كتاب الله وسنة رسوله، أو ما أقره علماء الإسلام عن طريق القياس أو ما أجمعوا عليه. وزبرق إلي كافة المسلمين في سائر الدول طالباً منهم أن يرسلوا وفودهم لعقد مؤتمر إسلامي عام، يقرر شكل الحكوم الذي يرونه صالحاً ومطابقاً لأحكام الله في الأراضي المقدسة.

ولكن الخلاف لم يكن في وضع أسس الدستور أو الرجوع إليها، بل كان في استخراج القوانين وفي طريقة تطبيقها، أي في علاقة الفرد بالمجموع في تفاضيلها، وسلطة المجتمع، وتمثله الحكومة، في تطبيق هذه القوانين علي الافراد، خاصة في مسائل الدين. فنجد أن الأخوان لا يدخنون ولا يسمحون للمسلم بالتدخين، ويعارضون في استخدام مظاهر الحضارة الحديثة من برق وهاتف في حياتهم اليومية، فهل يتمشي هذا الموقف مع الدستور الذي اتفق عليه، أي مع الشريعة الإسلامية(١٧)

وقعت بعض المشكلات بين الإخوان وبين أهالي مكة نتيجة لضربهم من يقوم بالتدخين، ودفعهم الأهالي دفعاً إلي إغلاق الحوانيت حينما يؤذن المؤذن للصلاة، وأجبارهم أياهم علي القيام بالفرائض وفي أوقاتها. وشعرت «جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» أن من واجبها إستخدام كل الوسائل لإجبار

أهل الحجاز علي تطبيق ما ارتضته لنجد مذهباً. ولكن هذه المشكلات كانت تهدد عبد العزيز آل سعود بقيام حركة معارضة له في بقية البلاد الإسلامية، خاصة وأن مسألة الخلافة كانت لا تزال قائمة، بل كانت سلطة الملك علي لا تزال موجودة في جدة، فاضطر عبد العزيز بن عبد الرحمن إلي التخلي عن شئ من «توصيات» ابن عبد الوهاب، بل أيضاً من إتجاهات ابن قيم الجوزية، ووقف عند المذهب الحنبلي، أي أنه اعترف بوجود المذاهب الأخري، وبصلاحية تطبيقها.

واضطر عبد العزيز إلي أن يوبخ رجاله، وأمرهم بألا يشمتوا أو يضربوا أحداً إذ أن المعروف لا يدعي إليه بالمنكر.

ولكن سيد الجزيرة لم يقبل التساهل في أمر القيام بالفرائض الاسلامية من صلاة وصوم وزكاة، وكلف البلدية بمراقبة تنفيذ ذلك. ثم عين الشيخ حافظ وهبة محافظاً علي مكة نظراً لما عرف عنه من أنه رجل حر الفكر دمث الطبع فيمكنه أن يجذب القلوب بدلاً من أن ينفرها.

ثانياً: تقييم أحداث هذه الفترة فقد حاول بعض البريطانيين والعرب والمسلمين من اصدقاء عبد العزيز آل سعود التدخل في الحرب القائمة بينه وبين الملك في جدة، وذلك للتوسط من أجل السلم. أي بمعني آخر الوصول إلي حل وسط، وبالتالي إلي منع سلطان نجد من الوصول إلي حل لشبه الجزيرة العربية، ونذكر علي التوالي كل من فيلبي المستشرق، وأمين الريحاني، وهو من عرب لبنان غير المسلمين، والسيد طالب النقيب من زعماء العرب والمسلمين في العراق. وكان فيلبي أقلهم أهلية للتحدث في موضوع يهم العروبة ويهم الإسلام. أما أمين الريحاني فلم يكن له حق التدخل في الشئون الإسلامية، حتي وإن كان يمثل آراء بعض العرب المسلمين المتحررين في لبنان. وأما السيد طالب النقيب فكان أكثرهم أهلية.

فأضطر عبد العزيز آل سعود إلي ارجاع المسألة الي أوصلها، والوقوف موقفاً ديكالياً، وشرح الحجازية هي إسلامية قبل أن تكون عربية، وأنها تهم المسلمين جميعاً، مما يحرم الأفراد والهيئات من التدخل بمفردهم، فأصبح واضحاً أن سلطان نجد لن يستمع إلا للحل الذي يرتضيه المسلمون أجمعون، وأبعدت بذلك كل محاولة تسعي إلي وقف المعركة، والأحتفاظ بوضع غير مستقل.

وبقي الملك علي في جدة، وحاول أن يبرر موقفه أمام أهل مكة في الإنسحاب من مدينتهم بضرورة التكتيك الحربي، وطلب منهم أن يساعدوه بإعلان الثورة حتي يتمكن من القضاء علي الاحتلال السعودي، وكأنه يحاول إثاة عامل الولاء لدولته سلاحاً في وجه «النظام الإيسلامي» الذي دخل مكة، وظهرت ضحالة مجهوداته في هذا الميدان.

وجمع عبد العزيز آل سعود مجلس مشورته، وقرر الزحف علي جدة، ولما كان هذا الميناء يشتمل علي قنصليات الدول الأجنبية، وعلي عدد من رعاياها، فإن الإخوان قد قرروا محاصرته حتي يستسلم. وبدأت القوات تزحف صوب جدة، وأخذت في محاصرتهم وتضييق الخناق عليها، وسرعان ما بدأت المناوشات.

ازدادت قوات ابن سعود المحاصرة لجدة فقد زاد عددها من خمسة آلاف حتي بلغ أربعين ألفاً، وكانت أسلحتهم قد زادت مع الغنائم التي حصلوا عليها في المعارك المتعاقبة. وكانوا يحاربون من أجل وحدة الإسلام، وتطبيق الشرع الإسلامي في الاراضي المقدسة، ويعملون جيداً أنهم يحاربون ابن من عينه الأتراك علي الحجاز، ومن ضحي بمصالح العرب والإسلام، ومن ثم حكم الطبقات الإجتماعية، ولا يعترف بالديمقراطية فظهر أن معركة علي هي معركة خاسرة من أولها، ولا تحتاج إلا لعامل الوقت لإقرار نهايتها.

وحاولت حكومة جدة إستخدم الطائرات في ضرب مواقع السعوديين المحاصرين للمدينة، ولكنها فقدت طائرتين في هذه العمليات، في الوقت الذي تلفت فيه طائرتان آخرتان. فحاولت إستخدام المصفحات وعززتها بسيارتي نقل، درعتهما بطريقة بدائية، ووضعت فيهما المدافع الرشاشة، ولكنها غاصت في الرمال وأستولي السعوديون عليها. فخسرت حكومة جدة في ساعات ما صرفت الأشهر في إعداده ورسمه، وفقدت في هجماتها ما أمدتها به حكومة شرقي الأردن من بعض الأسلحة والذخائر فإنخفضت الروح المعنوية بين رجال الملك علي واقتربت النهاية.

وانتهز قناصل روسيا وإيران وهولندا، وكلهم من المسلمين، فرصة سماح عبد العزيز لهم بأداء فريضة الحج لكي يطلبوا منه، بصفتهم الشخصية كمسلمين، استقبال وزير خارجية الملك علي، تمهيداً لتصفية الموقف. واشترط ابن سعود أن يكون هذا الوزير مستعداً للموافقة علي ما يمليه عليه من شروط. ثم طلب صراحة إنهاء حكم الهاشميين من الحجاز وخروج علي من جدة وإخراج والده الجسين من العقبة.

وحاول كل من إمام اليمن وشاه إيران وملك مصر التوسط في المسألة الحجازية، خاصة وأن وكالات الأنباء كانت قد نشرت الأخبار عند محاصرة السعوديين للمدينة المنورة، وبدأ الرأي العام الإسلامي ينشغل بضرورة حماية قبر الرسول (صلعم) من التخريب. وكذلك حاولت بريطانيا التوسط للدفاع عن مصالحها فبمنطقة الهلال الخصيب والطريق البري الموصل للهند أمام التوسع السعودي فما كان من عبد العزيز بن عبد الرحمن إلا أن فصل السياسة الدولية عن السياسة الاقليمية. ورضي بالمفاوضة مع البريطانيين لتحديد مشكلات الحدود مع كل من العراق ومن شرقي الاردن. وأخرج بذلك بريطانيا من الميدان. ثم نجح في اقناع الوفد المصري بترك الحجازيين أنفسهم يقررون

نوع الحكم الذي يرضيهم، واعترف في نفس الوقت بحقوق العالم الإسلامي في الاراضي المقدسة، ووكل إلي الملك فؤاد أمر دعوة مندوبي المسلمين في مصر لينظروا في هذه الأمور، وتعهد بتنفيذ ما يقررون. كما أنه رد علي إمام اليمن معلناً قرب دعوة مصر لمؤتمر إسلامي، ورجا منه أن يشترك فيه. وترك الوفد الإيراني يزور المدينة ويتأكد من عدم تخريب الإخوان لها، وطلب منه أن يبلغ احكومته فكرة إنعقاد المؤتمر الإسلامي لكي تشارك فيه وهكذا نجح عبد العزيز آل سعود في ابطال مفعول هذه المحاولات ووجهها صوب مشكلة الخلافة، محتفظاً لأهل الحجاز ولنفسه، بسلطة تقرير المصير الدولي للأقليم.

وتدخلت بريطانيا لسحب الملك حسين من العقبة في شهر يونيو سنة ١٩٢٥ وانتهت مقاومة المدينة المنوة ودخلتها قوات السعوديين في ٥ ديسمبر من نفس السنة، فاضطر الملك الي قبول الانسحاب من جدة، وحملته السفينة البريطانية «كورن فلاور» إلي عدن ثم الي العراق. ودخل عبد العزيز آل سعود المدينة يوم ٢٤ ديسمبر وانتهي بذلك حكم الهاشميين في كل الحجاز.

وشعر كل من السعوديين والحجازيين بضرورة تدعيم الوضع الإقليمي لمنطقتهم قبل اجتماع المؤتمر الاسلامي، فقرروا في اجتماع عقدوه يوم ٨ يناير سنة ١٩٢٦ مبايعة عبد العزيز بن سعود ملكاً علي الحجاز، واعلنوا بذلك توحيد اقليمهم مع بقية وسط الجزيرة. وأصبح لقب عبد العزيز الجديد هو «ملك الحجاز وسلطان نجد».

وهكذا نجح عبد العزيز في ضم الحجاز لنجد، والقضاء نهائياً علي حكم الهاشميين ونظامهم. وقضي بذلك علي أعوان الاستعمار وأصبح عليه أن يدعم بناء دولته في الداخل وفي الخارج.

وفي تقييم توازن القوي الاقليمية يمكن القول ان عملية إبعاد الهاشميين من اقليم الحجاز وضمه الي اقليم نجد كانت إحدي الخطوات التي سار عليها

عبد العزيز بن سعود لبناء دولة قوية في منطقة الشرق العربي، لها خصائصها ودعائمها. واصبح من الواجب علي ملك الحجاز، وسلطان نجد أن يدعم هذا البناء، وخاصة أمام الأخطار والمشكلات التي طالبت بضرورة إيجاد حل لها. وكانت هذه المشكلات متعددة، فمنها الإسلامي المتصل بأمر الخلافة والحج، ومنها السياسي الذي يتصل بالحدود مع البلاد العربية المجاورة، وفيها نفوذ بريطاني واضح، ومنها الداخلي الذى يتعلق بعملية البناء والتوحيد بين اقاليمه المختلفة، ومنها كذلك الاقتصادي ولقد نجح عبد العزيز في حل كل منها، وأن كان قد اضطر الي تغيير موقفه، ونتيجة للقوي المواجهة له في الميدان وخاصة في مسألتي الوحدة العربية والمذهب الاصلاحي الوهابي.(١٨)

الهوامش:

١- درجت المصادر الغربية على إطلاق كلمة "ابن سعود" على الملك عبد العزيز "الباحث" وراجع فى تفصيل ذلك أنتونى ناتنج، العرب : إنتصاراتهم وأمجاد إسلامهم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٧٤ ص ص ٣٧٩-٤٢٨.

٢- وهو مايراه الباحث.

٣- راجع هو تفصيل ذلك ، محمد المانع ، م.س.ذ. ص ص ٣٤-٥٧.

٤- راجع فى تفصيل ذلك ، دكتور جلال يحيى ، م.س.ذ ص ص ٣٠-٣٧.

٥- راجع فى تفصيل ذلك، انتونى ناتنج، م.س.ذ ص ٤٠٩-٤٢٨.

٦- المرجع نفسه ص ص ٤١٢ - ٤١٨

٧- وهى اللفظة التى اطلعتها الدكتور/ جلال يحيى على نظرة عبد العزيز آل سعود تجاه الهاشميين، وهذه بالطبع هى تحليلات الباحثين والمؤرخين الغربيين وهم فى الغالب غير منصفين تجاه العرب "الباحث".

٨- دكتور/ جلال يحيى ، م.س.ذ. ص ص ٣٥-٣٧.

٩- انتونى ناتنج، م.س.ذ ص ص ٤١٤-٤١٥.

١٠- راجع : دكتور محمد نصر مهنا وآخرون ، الخليج العربى ، دراسة فى العلاقات الدولية والإقليمية، م.س. ص ص ٢٤٢ ومابعدها وراجع أيضا أمين أمين الريحانى ، م.س.ذ. ص ص ٣٠٥-٣١٠.

١١- لمزيد من التفصيل راجع، دكتور محمد نصر مهنا ، مشكلة فلسطين أمام الرأى العربى، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩.

١٢- دكتور/ جلال يحيى م.س.ذ. ص ص ٤٤-٤٥.

١٣- المرجع نفسه ص ص ٤٦-٤٧.

١٤- المرجع نفسه

١٥- انتونى ناتنج مرجع سابق ص ص ٤١٧-٤١٨.

١٦- دكتور/ جلال يحيى م.س.ذ. ص ص ٥٦-٥٨ وراجع أيضا احمد عبد الغفورعطار ، صقر الجزيرة ، ص ص ٢٨٠-٢٩٥.

١٧- دكتور/ جلال يحيى، م.س.ذ. ص ص ٥٩-٦١.

١٨- المرجع نفسه ص ٦٥.

الباب الثالث

الفترة المعاصرة وبعض مظاهر التحديث

الفصل الاول :	سياسة الصحراء والتحديث السياسى من عبد العزيز بن سعود إلى فيصل بن عبد العزيز أزمات العلاقات الكويتية العراقية فى القرن العشرين.
الفصل الثانى :	سياسة دولة الإمارات العربية المتحدة تجاه الخليج.
الفصل الثالث :	الموقف السعودى من أزمات الخليج العربى المعاصرة
الفصل الرابع :	مشكلات نقل التكنولوجيا
فصل ختامي :	الإعلام - النفط



الفصل الاول

التوجهات السعودية فى التحديث

كان توسع سلطان نجد وملحقاتها إقليميا صوب البحر الأحمر يحمل فى طياته عامل تغيير التوازن الدولى فى المنطقة، بشكل اقلق بريطانيا ، ورفع من مكانة عبد العزيز أمام من يسعون إلى الأحتفاظ لأنفسهم بكلمة حاسمة فى مسألة خلافة المسلمين اجمعين وكان تطرف أهل نجد فى مذهبهم الحنبلى يثير مخاوف المسلمين السنين المعتدلين فى المناطق التى تخضع للنفوذ البريطانى. وكانت العمليات الحربية بين السعوديين والأشراف فى الحجاز تهدد بتقويض الأماكن المقدسة، فحاولت البلاد الإسلامية أن تحد من سلطة السعوديين، وذلك بفرض حل بعينه فى مسألة الخلافة ، وحمل هذا فى نفس الوقت معنى محاولة الأحتفاظ بالتوازن بين القوى الإسلامية، وإتخذوا من العمليات الحربية فى الحجاز عامة، ومن محاصرة قوات السعوديين للمدينة المنورة خاصة، وسيلة للتدخل، بأسم الوساطة بين الأمير (الملك فيما بعد) عبد العزيز والملك على ، وتهدف إلى الحصول على ضمانات فى مسألة الأراضى المقدسة، وفى مسألة الخلافة، وبالتالى فى مسألة توازن القوى الإسلامية (١)

وقامت ضجة ، وكانت فرصة للتدخل. فتدخل الملك أحمد فؤاد فى مصر لدى إبن سعود لكى يعمل على صيانة الحرم النبوى الشريف وأثار المدينة المنورة فطمأنه عبد العزيز بأن العرب هم أبناء الحرمين الشريفين ولم يسعوا إلى جعل الحجاز ساحة الحرب، وألقى بمسئولية هذه الحرب على كاهل الأشراف ويستفاد من ذلك -اى السلطان عبد العزيز (الملك فيما بعد) -قد رفض الوساطة المصرية فى أمر الحجاز. ولكنه إعترف فى نفس الوقت بحقوق العالم الإسلامى كله فى الأراضى المقدسة، وكان يعمل أن مسألة الخلافة

مسألة شائكة وأن الخلافات عليها كثيرة ، والأطماع فيها متعددة (٢) فوكل إلى الملك فؤاد أمر دعوة مندوبي المسلمين فى مؤتمر إسلامى عام يعقد فى مصر، وتعهد من جانبه بتنفيذ مايقررون . واستند ابن سعود إى هذه المسألة لكى يتفرغ هو لتسوية الوضع السياسى والمدنى للحجاز.، ولكى يترك القوات الإسلامية الأخرى تتفاعل مع بعضها ، وتتنافس وتتجادل وتتصارع من أجل لقد الخلافة . وكان هذا مارآه ابن سعود، وأثبت المؤتمر الإسلامى الذى عقد فى القاهرة فشله التام، نتيجة لعدم إشتراك كثير من المسلمين فيه، ونتيجة لصعوبة التوفيق بين الاتجاهات بل والأطماع المتعارضة، خاصة وأن أى خليفة جديد لن يتمكنَ من إدارة شئون المسلمين. نظرا لإفتقاره إلى القوة المادية اللازمة، بل وإفتقاره إلى القوة المعنوية كذلك ، مادامت الأراضى المقدسة فى أيدى السعوديين.

وجد عبد العزيز بن عبد الرحمن أن الفرصة قد أصبحت مواتية لفرض الحل الذى إرتضاه الجميع، وإن هذه الفرصة قد جاءت فى شكل تشاور ديمقراطى. فدعا إلى عقد المؤتمر الإسلامى الثانى فى مكة يوم ٧ يونيو سنه ١٩٢٦م وشرح لأعضاء المؤتمر أن غزوه للحجاز أمر نهائي، ولا يمكن النقاش فيه، وأعلن فى نفس الوقت أن الأراضى المقدسة هي وديعة العالم الإسلامى أجمع، وطلب إبداء الآراء وإيجاد أحسن الطرق للعناية بالحجاج وبالمؤمين . وكان وفد جمعية الخلافة الإسلامية الهندى من بين أقوى الوفود في المؤتمر، فترأس حركة مهاجمة الحسين بن على، وأثنى على إخراجه من الحجاز، فخدم السعوديين بهذا الموقف، ولو بطريق غير مباشر. ولكن ذلك لم يمنع من ظهور الأنقسام واضحا بين وفود المؤتمر فى إتجاهين متباينين: الاتجاه الوهابى الذي يسعى إلى فرض الشريعة الإسلامية قانونا وإلى اجبار المسلمين على القيام

بفرائضهم، واتجاه المسلمين المعتدلين فى الهند ومصر وهم الذين يطبقون الشريعة فى شئونهم الشخصية من زواج وميراث ، ويتركون أحوالهم المدنية لقوانين وضعية، وينظرون إلى الوهابيين نظرة أقرب ماتكون إلى الغضب (٣).

وكان هذا الأنقسام من أكبر المصاعب التى واجهت الوفود فى المؤتمر، وهددت بفشله، وجاءت حادثة المحمل لكى تخرج المؤتمر من هذه الأزمة ، وسمحت لعبد العزيز بن سعود بفرض إتجاهه على المؤتمر.

نظر السعوديون إلى مظاهر ارسال المحمل من مصر على أنها خارجة عن الإسلام، فوافقت مصر هذه المرة على إرسال المحمل دون موسيقى ولكن ما أن إقترب المحمل من مكة. وكان المؤتمر الإسلامى منعقداً، حتى وقعت حادثة مؤسفة . ذلك أن الجنود المصريين ضربوا نوبة (بروجى) فى المساء، فما كان من رجال نجد إلا أن هاجموهم بدعوى أنهم من الكفار وإضطرت القوة المصرية أإلى الدفاع عن نفسها وأطلقت النار فى الهواء، ثم فى هذه الحشود التى حاولت إجتياحها والتفرس فيها وسقط خمسة وعشرون وهابى على أرض المعركة . وسرعان ما ظهر الملك عبد العزيز نفسه فى مكان الألتحام وواسى رجاله، موضحا للضابط المصرى أن ليس له الحق فى إطلاق النار فى مملكة الحجاز، وأمره بالعودة مع جنوده إلى القاهرة دون أن يكمل الحج (٤)

كانت هذه الحادثة سببا فى إمتناع مصر عن إرسال المحمل إلى الحجاز حتى سنة ١٩٣٦، لكن ذلك أعطى تأثيراً مباشراً على المؤتمر الإسلامى المنعقد في ذلك الوقت. ذلك أن إغضاب مصر وإخراج بعثة الحج التى أرسلتها للحجاز فى هذه السنة قطع على الوفد المصري كل إمكانيته للمناقشة فى المؤتمر، مادام قد أصبح فى وضع الخصم من السعوديين، فقلت المعارضة المعتدلة أمام عبد العزيز، وأصبح لا يواجه إلا وفد جمعية الخلافة الإسلامية الهندى. وأثبت



ابن سعود أنه لا يقبل أى تدخل إدارى أو مدنى فى شئون الحجاز ، أذ أنه هو رئيس السلطة التنفيذية فى الأقليم، فلم يبق أمام المؤتمر إلا محاولة الأحتفاظ بالسلطة الدينية، أى النفوذ الأسلامى (المعنوى) فى الأراضى المقدسة وأضطر المؤتمر إلى قبول الأمر الواقع إخفاء لهزيمته. وكانت هذه الحادثة سببا مباشرا لعدم الوصول إلى حل حاسم فى مسألة الخلافة التى ظلت معلقة، وصرف المؤتمر جهده فى جمع الشمل وفى محاولة الأحتفاظ بما تبقي له من كيان أسمى، ونجح فى تشكيل هيئة دائمة للمؤتمر الإسلامى،نص على ضرورة إجتماعها من وقت لآخر، للتباحث فى الأمور التى تهم المسلمين، ولكنه إعترف بطريق مباشر أو غير مباشر بهذا الوضع الذى إختاره عبد العزيز بن سعود للحجاز، مادام يفتقر إلى القوة التى تسمح له بتغييره. وكان هذا هو مايسعى إليه ملك الحجاز ونجد، مادام لا يسعى إلى الحصول على لقب الخلافة، مع كل مايحمله ذلك اللقب من تبعات. ولكن تقرير هذا الوضع للحجاز ولأبن سعود جعل منهما قوة من القوى الإسلامية التى تمتاز بعروبتها، وفرض عليها أمر موازنة نفسها مع غيرها من القوى، فألغى بذلك صفتها الثورية، وحددها بحدود المملكة التى تعيش فيها . ويرى الدكتور جلال يحيى أن التنافس بين ابن سعود وبين القوى الإسلامية ، إضطر هذا الملك إلى الإسراع فى تسوية المشاكل السياسية مع الدول المحيطة به، وخاصة مع العراق ومع شرقى الأردن، حتى يضمن الأستقرار وزاد هذا الاستقرار الزمنى من إلغاء الصفة الثورية لتلك القوة التى خرجت من نجد لنشر مذهب الأخوان، ولتوحيد العرب، إذ أنها ستعترف بوجود القوى الأخرى ، داخل حدودها، وتعرف بتقسيم العالم العربى بين دول متعددة ، وتدخل ، هى الأخرى، فى طور القوميات العربية (المحلية) ، أو (الأقليمية) (٥) .



ابن سعود والتحول فى الإهتمامات الاقليمية والدولية:

ساءت العلاقات بين السعوديين والبريطانيين نتيجة لعمليات الإخوان فى الحجاز ومحاولتهم تغيير الوضع القائم فى العالم العربى، وما حمله ذلك من تأثير على كل من مملكة العراق وإمارة شرقى الأردن ، حليفتا بريطانيا فى الشرق والشمال .

وكان إمتداد الحكم السعودى من مياه الخليج العربى إلى سواحل البحر الأحمر يزيد من أهمية عبد العزيز ودولته فى نظر بريطانيا، خاصة وأن دولته أصبحت تكون حزاما يوصل إلى مياه الهند، ويقع خارج منطقة النفوذ البريطانى . وكان عبد العزيز آل سعود يطالب بالعقبة على أنها من أرض الحجاز، وكانت بريطانيا قد إعترفت فعلا فى عام ١٩١٦ بهذه المدينة داخل نطاق مملكة حسين فى الحجاز. غير أن تسلم السعوديين لها كان يحرم بريطانيا من قاعدة إستراتيجية هامة فى المنطقة، عقدت عليها كثيراً من الأمال، للمواصلات مع حيفا فى الشمال ثم فى البحر الأحمر، فى حالة تعطيل الملاحة فى قناة السويس، واختارتها مركزا لفرض سيطرتها على كل من شرقى الأردن (٦) وفلسطين، ومخرجا لهاتين المنطقتين صوب المياه الإفريقية والشرقية. وكان تسلم السعوديين للعقبة يعنى غلق الميناء الأردنى الوحيد، ويهدد بالتالى بإستيلائهم على الجزء الجنوبى من فلسطين (النقب) ويجعل حدودها متاخمة للحدود المصرية فى سيناء.

وكان عبد العزيز بن سعود لا يعترف بما أنشأته بريطانيا وسمته إمارة شرقى الأردن، بل كانت حدوده الشمالية فى نظره هى مع الشام، وحتى بافتراض أنه يوافق على ترك الأمير عبد الله فى عمان، فهو يرفض وجود الممر الصحراوى الشمالى الذى يصل عبد الله بمملكة العراق. ويفصله ابن سعود

عن سوريا. فكان عبد العزيز يهدد الخط البرى للمواصلات الامبراطورية البريطانية مع الهند تهديداً مباشراً ، ويسعى الى شطره من منتصفه .

واذا كان عبد العزيز قد أحجم عن الإصطدام بقوة بريطانيا، وامتنع عن معاداة حلفائها الأشراف فى كل من العراق وشرقى الأردن، فى الوقت الذى قام فيه بعملياته فى الحجاز. فإن ذلك لم يمنعه من التصريح بمطالبه، خاصة وأنه شعر بأن حياد بريطانيا فى حرب الحجاز كان لا ينفى محاولتها الوصول إلى إنهاك القوى العربية، والواحدة ضد الأخرى، بما فيها قوته ومحاصرته من الجنوب والشمال بشكل واضح .

وعلى صعيد علاقة ابن سعود ببريطانيا فقد تبلور سوء العلاقات مع بريطانيا فى الوقت الذى أقام فيه الملك حسين فى العقبة، وترك إبنه على يحارب الإخوان من جدة، فوضح أن الهاشميين يستندون إلى القواعد الحربية البريطانية: ولكن بريطانيا إضطرت إلى أنهاء هذه الأزمة فأبلغت الحسين فى ١٨ مايو سنه ١٩٢٥ أن السعوديين قد أعدوا قوة حربية لمهاجمة العقبة، مستندين إلى إقامته بها، وإلى أن الأشراف يتخذونها - مع عمان - قواعد عسكرية ضد الأخوان. فدعت بريطانيا حسينا لترك العقبة حتى لا يتسبب فى خلق المشكلات بينها وبين سلطان نجد، وأصرت بإلحاح على سفره منها فى أقرب فرصة. ولقد طلب الحسين السماح له بالاقامة فى حيفا أو يافا، ولكن بريطانيا رفضت ، وأشارت عليه بقبرص وكان خروج الحسين من العقبة عاملا من العوامل الذى خدم المصالح البريطانية، وخدم كذلك مصالح السعوديين (٦)

ومع ظهور التنافس الإسلامى ، للتدخل فى أمر الخلافة والأراضى المقدسة، وللتوفيق بين عبد العزيز وعلى ، ثم للحصول على ضمانات بشأن الحرمين فقد ازدادت العلاقات السعودية تحسنا مع بريطانيا، فتستند



بريطانيا إلى إتفاقية العقير التى بحثت مشكلات الحدود النجدية مع كل من العراق والكويت ، وترسل جليبرت كلايتون(٧) على رأى وفد للتباحث مع سلطان نجد في أمر الحدود، ولإقرارها بشكل نهائي، وذلك فى ٩ أكتوبر سنه ١٩٢٥م وأعلن هذا الوفد أن بريطانيا لاتزال محافظة على حيادها التام فى المسألة الحجازية النجديه، فظهرت أسس المصالح المتبادلة بين نجد وبريطانيا فى الوقت الذى ثارت فيه المشاكل بين نجد وبقية العالم العربى والإسلامي. وصرح الوفد بأنه يريد الأتفاق على المسائل المعلقة بين نجد وشرق الأردن وبين نجد والعراق، فظهر أن بريطانيا تحاول الحصول علي إعتراف عبد العزيز بالوضع الذى نشأته فى الشمال، بتشييدها لملكة العراق (الخليفة) إمارة شرق الأردن الموضوعة تحت الإنتداب، وفلسطين الخاضعة للحكم البريطانى المباشر، وفي نظير ذلك تترك بريطانيا لابن سعود أمر الوصول إلى حل فى مسألة الحجاز، حسب قوته أمام خصومه، وموقف المنافسين الأخرين منه.

ولم يكن من مصلحة عبد العزيز أن يجادل كثيراً، خاصة وأن معظم الدول لم تكن قد إعترفت به، وكان يستند إلى الإتفاقية التى وقعها مع بريطانيا سنة ١٩١٥م والتي كانت تحد من مظاهر إستقلاله. فساد المباحثات جو ودى طول فترة المفاوضات التى إمتدت خمسة وعشرون يوما. وأثنى السعوديون علي روح توفيق السويدى ، ممثل العراق في الوفد البريطانى، فأثبتوا بذلك إعترافهم بحكم (الإشراف) فى الشمال، فى الوقت الذى يرفضونه فى الغرب، وإعترافهم بقيام قوميات عربية (محلية) فى الوقت الذى لا يرضون عن الوحدة العربية بديلا فى مسألة الحجاز .

أسفرت هذه المفاوضات عن وضع إتفاقيتين: الأولى هى إتفاقية بحرة التى عالجت المسائل العراقية النجدية ووقعت فى أول نوفمبر سنه ١٩٢٥م،

والثانية هي إتفاقية حداء بين شرقى الأردن ونجد، ووقع عليها فى اليوم التالى، ولقد أدخلت هذه الإتفاقية الثانية بعض التعديلات الطفيفة على الممر الصحراوى الشمالى الذى يصل شرقى الأردن بالعراق. ولكنها تركت مسألتى عمان والعقبة، وتركتهما فى صمت، أى تركتهما للأمير عبد الله. وإستند عبد العزيز بن سعود إلى هاتين الإتفاقيتين لإضعاف الملك على فى جدة، ولضم الحجاز بأكمله إلى نجد .

عقب إعلان عبد العزيز نفسه ملكا على الحجاز، أرسلت بريطانيا السير جلبرت كلايتون للتفاوض من أجل عقد معاهدة بريطانية سعودية تحل محل الإتفاقية السابقة المعقودة مع السلطات البريطانية فى الهندسة ١٩١٥ والتى أصبحت غير ذات موضوع. وتم التوقيع على هذه المعاهدة فى جدة فى ٢٠ مايو سنه ١٩٢٧م وإعترفت فيها بريطانيا بإستقلال عبد العزيز، وإعترف ابن سعود بمركز بريطانيا الخاص في كل من البحرين وشياخات الخليج العربى ، وتعهد كذلك بالتعاون مع السلطات البريطانية من أجل إلغاء تجارة الرقيق. وفى مذكرة ملحقة بالمعاهدة ، إعترف ملك الحجاز بإمتلاك شرقى الأردن لكل من عمان والعقبة (٧)

وكانت مدة صلاحية المعاهده سبع سنوات وتم توثيقها فى ١٧ سبتمبر ١٩٢٦ ، وعرفت باسم معاهدة جدة . ولكن وضعية عبد العزيز قد تغيرت، إذ أنه أصبح ملكا متوجا لدولة، بعد أن كان شيخا لعشائر نجد ، وأهم من ذلك رئيسا كحركة إسلامية وعربية عريقه ويتمتع باستقلال والسيادة التامة سياسيا داخليا وخارجيا .

تطورت سلطة عبد العزيز آل سعود مع تطور الأحداث وتلاحقها فى شبه الجزيرة العربية. وأخذ هذا التطور يؤثر على الاحداث الاقليمية والدولية منذ بدء



عملياته في الحجاز بشكل عام، وبعد وصوله إلى إتفاق مع بريطانيا بشكل خاص. فأتخذت سلطته شكل الدولة التى تعترف بإلتزاماتها في المحيط العالمى، وتكبح بالتالى أو تلغى أو تتناسى مقوماتها الثورية. فما أن تم الأتفاق بين عبد العزيز من ناحية، وبريطانيا وحلفائها فى العراق وشرق الأردن من ناحية أخرى ، حتى ظهر الأنقسام واضحا بين سيد الجزيرة وبين زعماء الأخوان وقادتهم. وأدى هذا الإنقسام إلى تبلور ثم إصطدام بين القوى الوهابية وبين قوة الدولة الناشئة. وأُصبح مستقبل الجزيرة العربية برمتها متوقفاً على نتيجة هذا الصراع.

أعلن قائدان من قواد ابن سعود الثورة عليه بمجرد إتفاقه مع السير جلبرت كلايتون بشأن مسائل الحدود مع كل من العراق وشرقى الأردن، وهما فيصل الدويش وسلطان بن بجاد. وكانا من أكبر قواد الإخوان ومن الدعائم التى إستند إليها ابن سعود فى سلطته فى شبه الجزيرة العربية. ونجح كل منهما فى الخروج على رأس فرقة من الإخوان وعارضا الاتفاقيات السعودية البريطانية، وإنهما عبد العزيز بالكفر نتيجة لمهادنته الكفار وإعترافه بهم، ووصفوه بأنه لم يكن إلا طالب ملك، وأردفوا ذلك بإنتقاد وسائل التحديث التى يستخدمها ابن سعود من هاتف وبرق للقيام بدعاية ضده . وحاولوا مواصلة الكفاح من أجل الوهابية فى شكلها البدائي من ناحية، وأبطال هذه الاتفاقيات بمهاجمة حدود العراق شرقى الأردن من ناحية أخرى .

رأى ابن سعود مع تصميمه على تحديث بلاده أن هذا القسم من الأخوان يأبى التطور، فأتهمهم بالهمجية والرجعية. وإضطر أمام هذا الإنشقاق إلى الاعتماد إلى درجة كبيرة على أسرته، آل سعود، لكى يسد النقص فى القيادة. فجاء هذا مدعما لظهور أسرة عربية حاكمة، ولإظطراد نموها وإزدياد



نفوذها. فنمت سلطة الدولة وتبعها بالتالى إزدياد إختصاصات الملك، وقلة الشورى وتقليم أظافر الأخوان، والحد من قوة الدعوة الوهابية. بل لقد إشطر عبد العزيز إلى التعاون مع القوات العراقية والأردنية وسلاح الطيران البريطانى المرابط فى كل منها للقضاء على هذه القوة البدائية ، التى كانت الأساس الأول لقيام حركته ثم دولته .

وإستعد عبد العزيز للقضاء على هؤلاء الثوار. فجمع قوة من الفرسان والمقاتلين بلغ عددها أربعين ألفاً، وكان عدد القوار لايزيد على أربعة آلفا، ووقعت المعركة الأولى فى السبة، وتولي عبد العزيز آل سعود نفسه قيادة قلب الجيش وولى أخاه محمد بن عبد الرحمن الجناح الأيسر، وأبنه سعود الجناح الأيمن. ورغم إشتداد المعركة فأنها لم تكن حاسمة إذ تمكن كل من فيصل الدويش وسلطان بن يجاد من الأنسحاب رغم خسائرهما.

غير أن سلطان بن يجاد إضطر إلى طلب العفو من عبد العزيز آل سعود، ثم سلم نفسه في الرياض. فأحتفظ به الملك سجينا لخطورته على الأمن العام. وإشتبك حاكم إقليم حائل مع إحدى القوات التابعة لفيصل الدريش وقتل معظم رجالها، ومن بينهم إبنه. ورغم ذلك فأن الثوار واصلوا الهجوم، وعمليات السلب والنهب، وهددوا المواصلات فى شبه الجزيرة العربية كلها، رغم أن قواعدهم الأساسية كانت فى المنطقة الواقعة بين الاحساء والكويت وخشى ابن سعود من أن يلجأ الثوار إلى العراق، ومن أن يتخذهم الهاشميون والبريطانيون مطية لإقلاقه فى بلاده. خاصة وأنه قد سمع بإتصال الدويش بجلوب (أبي حنيك) المفتش الادارى للبادية الجنوبية فى العراق فى ذلك الوقت. وإستند عبد العزيز إلى مركزه الدولى وإلى الاتفاقيات المعقودة مع العراق، وأبلغ المندوب السامى البريطانى فى بغداد أنه قد سار على رأس قواته لتأديب

الثائرين الذى قامت عليهم قائمة الحكومات البريطانية والعراقية والكويتية، بعد أن قتلوا رعاياها فى أرضها فسادا، وطلب منه أن تنفذ بريطانيا تعهداتها التى قطعتها على نفسها بإخراج (المجرمين) من المناطق الخاضعة لنفوذها. ولكن السلطات العراقية كانت قد رفضت مساعدة الثوار فخرجوا منها إلى الكويت، فكتب ابن سعود إلى المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى ، مذكرا أياه بتعدات بريطانيا حياله فى هذا الشأن. فإضطرت السلطات البريطانية إلى إلقاء القبض على فيصل الدويش ورجاله والاحتفاظ بهم على إحدى البواخر الحربية، حينما طلبوا حق الإلتجاء السياسى بعد أن انهكت قواهم، ثم قامت بنقلهم جويا وسلمتهم إلى ابن سعود الذى زج بهم فى السجن.

إضطرعبد العزيز فى الناحية الداخلية إلى الاعتماد على قوة عصبيته وأسرته أمام هذا الأنفصال الذى وقع فى جبهة الإخوان.

وإزدادت سيطرة السعوديين علي أمور شبه الجزيرة العربية مع القضاء على بعض القيادات القديمة. فإزدادت سلطة الأسرة الحاكمة التى ربطت نفسها بعلاقات المصاهرة مع معظم القبائل. ومع إزدياد سلطة الأسرة الحاكمة، والدولة، قلت الفوارق بين الأقاليم العربية، وسمح ذلك لعبد العزيز أل سعود بتوحيد ممتلكاته فى ١٨ سبتمبر سنه ١٩٣٢ تحت إسم المملكة العربية السعودية (٨) وأقام إبنه سعوداً نائبا عنه فى الرياض ووليا للعهد، كما أقام أبنه فيصلا نائبا عنه فى الحجاز ووزيراً للخارجية، نظرا لمعرفته اللغات الأوربية ووجود السفارات الاجنبية فى هذا الاقليم. ولقد نجحت هذه الإدارة القوية فى اضرب على أيدى العابثين ، وفى إقرار الأمن بشكل غير من تاريخ البلاد.

كما أنه اضطر فى الناحية الدولية إلى التعاون مع السلطات البريطانية للمحافظة على الأمن والنظام على الحدود. فأصبح رأسا لدولة وتعترف

بإلتزاماته حيال .. يرانها، التغاضى بالتالى بهم وإضطر إلى التغاضى عن العداوة التقليدية بين السعوديين والهاشمين، حتى يدعم الوضع القائم ، ويمنع أى تهديد يقوم به الهاشميين فى الشمال ضد ملكه ، ولما كان النفوذ البريطانى متفوقا فى مناطق حكم الهاشميين فقد أصبحت كل عداوة أو جفاء بين السعوديين والهاشميين أو بينهم وبين البريطانيين غير ذات موضوع. فوافق ابن سعود على مقابلة الملك فيصل الأول، وتمت المقابلة فى بارجة حربية بريطانية راسية فى ميناء الخليج العربى. ولعبت بريطانيا دور حمامة السلام بين ملوك العرب، واستقر الوضع الذى رسمته لخدمة مصالحها، ويتعانق الملكان ويتعادها على العمل من أجل (البلاد) العربية. وشهدت سنة ١٩٣٠م التوقيع على معاهدة (صداقة) بين المملكة العربية السعودية والعراق (٩). كما شهد عام ١٩٣٣ إبرام معاهدة (صداقة) أخرى مع إمارة شرقى الأردن .

- ابن سعود: سياسي الصحراء والبترول

كان إكتشاف البترول فى أراضى المملكة العربية السعودية عاملا هاما رئيسيا فى تحديث شئون المملكة من حيث تطور الحياة الإجتماعية والأقتصادية فيها، وأثر كذلك فى موقفها من القوى العربية الأخرى فى الفترة التالية التى وقعت فيها الحرب العالمية الثانية ، وما تلاها من أحداث .

وقد أعطت المملكة العربية السعودية إمتياز إستخراج البترول فى ٢٩ مايو عام ١٩٣٣ إلى شركة زيوت أستاندارد كاليفورنيا Stondord Oil Company of Colifdrnia وذلك لمدة ستين عاما، وفى منطقة واسعة فى شرقى المملكة ، فتكونت نتيجة لذلك شركة استاندارد كاليفورنيا العربية لإستغلال هذه الموارد ولما إنضمت إليها شركة بترول تكساس فى العالم التالى، تألفت منهما الشركه العربية الأمريكية للبترول، وهى المعروفة بإسم (أرامكو). وكانت المملكة

العربية السعودية تجتاز أزمة إقتصادية عصيبة فى هذه السنوات، نتيجة لقلة عدد الحجاج، وكانوا موردها الأقتصادى الرئيسى، ونتيجة بالتالى للأزمة الأقتصادية العالمية فى أوائل الثلاثينات . فطلبت الحكومة السعودية إلى هذه الشركة أن تقدم لها قرضا يبلغ ٣٠و٠٠٠ جنيه إنجليزى (من الذهب) حتى تتمكن من تصريف أمورها. ورغم صعوبة المناخ الذى عملت فيه الشركه وإفتقارها إلى تأييد رسمى من حكومة الولايات المتحدة، التى أحجمت عن تشجيع مشروعات إقتصادية فى مناطق قريبة من النفوذ البريطانى ، فإن تقارير الخبراء عن كمية البترول الموجودة دفع بالشركة إلى أن تقدم هذا القرض دون تردد. وسرعان ماحفرت الآبار فى مناطق الظهران والدمام وأبى حضرية فى إقليم الإحساء . وأكتشفت أن كمية البترول المخزونه تحت الأرض تفوق أضعاف أضعاف ماجاء فى تقارير الخبراء الأوائل . فشجع ذلك كل من شركة أرامكو والمملكة العربية السعودية على مواصلة التعاون ، وبخاصة بعد إستخراج البترول بكميات كبيرة.

وساعدت إيرادات البترول المملكة العربية السعودية على إدخال وسائل الحضارة والمدنية الحديثة فى بلادها . من إنشاء الطرق ووسائل المواصلات والتعليم ودخل العمران فى مناطق كثيرة منها . وتمكنت الحكومة من إنشاء إدارة حديثة وأستخدمت فيها الموظفين من كل البلاد العربية، وبخاصة من سوريا وفلسطين ومصر. وأستندت الحكومة السعودية إلى موارد ثروتها الجديدة ، وإلى الخبرة الفنية لكى تسير بخطوات واسعة وسريعة إلى الأمام.

وأصبحت حقول إستغلال البترول أساسا لنشأة (صناعة) حدثة فى إحدى البلاد العربية، وصحبها ظهور طبقة خاصة من العمال، لهم شخصية وعقلية تختلف تماما عن عقلية ونفسية الرعاة والتجار. وكان هذا التطور خطيرا فى الحياة الاجتماعية، وبخاصة فى أقليم الاحساء.



كما كانت موارد البترول العربى أساسا لاتجاه جديد فى السياسة العربية، وهو الميل الى الولايات المتحدة الأمريكية ، وتفضيلها على غيرها من الدول الصديقة الخارجية . وأملى البترول على الملك عبد العزيز بن سعود موقفه فى التنافس الدولى ، الذى بدأ فى الثلاثينات بين الدول النازية ، أى دول المحور من ناحية، وبين الحلفاء، أو الدول الرأسمالية من ناحية أخرى.

فلقد عرضت اليابان فى عام ١٩٣٧ عرضا مغرياً لإستغلال البترول العربى، ويفوق بمراحل شروط الأستغلال الأمريكية ، ولكن عبد العزيز رأى أن هذا العرض يسعى إلى الحصول على نتائج سياسية ، فرفضه وحاولت ألمانيا كذلك فى نفس السنة ابعاد أمريكا عن هذه المناطق ، فقام الدكتور فريتزجروبا Dr. Fritz Grodda وزيرها المفوض فى العراق والمملكة العربية السعودية بالانتقال من بغداد – مقر منصبه – إلى جدة ، وعرض على إبن سعود عروضا جديدة. ولكن عبد العزيز رفضها ، مفضلا إستمرار التعاون مع الأمريكيين ، ومواصلة العمل من أجل بناء دولته، دون إقحامها فى ميادين التنافس الدولية، أى أنه فضل العمل فى إتجاه واحد يسمح له بالإستقرار والمواصلة ، والحصول على نتائج ملموسة .

وأعطى الملك عبد العزيز لشركة أرامكو إمتيازا جديدا لإستغلال البترول فى ٣١ مايو سنه ١٩٣٩ وظهر أن اتجاهه السياسى قد تحدد بالخطوط التى يسير عليها فى إقتصادياته. ومع حلول الحرب العالمية الثانية أصبحت المملكة العربية السعودية قلعة من أهم قلاع الديمقراطيات الغربية فى العالم العربى. وأصبحت تميل إلى الولايات المتحدة الامريكية أكثر من ميلها إلى غيرها من دول الحلفاء الغربيين. وإن كان إستغلال البترول قد أصبح عاملا للتنافس بين أمريكا وبريطانيا فى المنطقة .

ويرى الدكتور جلال يحيى ان الملك عبد العزيز قد نجح تماما فى



السيطرة على وسط الجزيرة العربية. واستند إلى قوة إسلامية أفاد منها وقت إنعزال الأشراف في الاستيلاء على الحجاز، ونجح في بناء دولة تخلصت من النفوذ البريطاني، ولكنه أضطر إلى أن يعترف بالتزاماته تجاه الدول العربية الأخرى التي نشأت بمساعدة الحلفاء بعد الحرب العالمية الأولى. وسمحت له أمكانياته الاقتصادية بالسير في طريق تحديث شئون بلاده مع احداث على المحافظة على التراث الاسلامي والتقاليد الاسلامية في نفس الوقت

وفيما يتعلق بالعلاقات الدولية مع المملكة وسياستها الخارجية فإن أهم الركائز التي اعتمد الملك عبد العزيز عليها في السياسة الخارجية هي الدعوة إلى التضامن الإسلامي لرفع شأن المسلمين في أقطارهم وتقوية أواصر التعاون بينهم.

وقد تصاعدت مكانة المملكة العربية السعودية، ببلاد العالم الإسلامي في الحج السنوي إلى (مكة المكرمة) وزيارة (المدينة المنورة) مؤكدة مكانة الحجاز وبالتالي المملكة في نظر المسلمين (١٠) وقد حاول الملك عبد العزيز منذ عام ١٩٢٦م – أن يضع نظاما لاجتماع قادة المسلمين وزعمائهم في موسم الحج من كل عام (١١). وذلك عندما دعا إلى عقد (مؤتمر إسلامي) في مكة المكرمة داعما بذلك مركز المملكة، ومقويا للصلات التي تربطها ببلاد العالم الإسلامي والعربي (١٢).

ورأى أن من واجبه العمل بكل اهتمام، نحو نشر دعوة الإسلام والسلام، وتثبيت دعائمه والدفاع عن مقدساته قولا وعملا(١٣) .

وإن أقواله جاءت موضحة ذلك ، وأعماله مطبقة لأهدافه السياسية الاسلامية للمملكة العربية السعودية، ومن ضمن ماقاله في ذلك (١٤).

« إنتى أفخر بكل من يخدم الإسلام والمسلمين، وأعتز بهم، بل أخدمهم، وأساعدهم وأؤيدهم ، إننى أمقت كل من يحاول الدس على الدين والمسلمين ولو كان من أسمى الناس مقاما وأعلاهم مكانة» (١٥)

– أيضا : «أننى أدعو المسلمين جميعا إلى عبادة الله وحده، والرجوع للعمل بما كان عليه السلف الصالح، لأنه لانجاة للمسلمين إلا بهذا ، وأسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعا إلى مايحبه ويرضاه» (١٦)

ولقد كان النهج الذى سار عليه وساعده فى شق طريقه فى المحيطين العربى والإسلامى بدأه باعتبار قضية فلسطين) عربية بل إسلامية ، وذلك حين خاطب الرئيس الأمريكى (روزفلت) بقوله:

« إن عرب فلسطين ومن ورائهم سائر العرب، بل سائر العالم الاسلامى يطالبون بحقهم ويدافعون عن بلادهم » (١٧)

وبعد وفاته سنه ١٩٥٣م خلفه على الفور أكبر أبنائه (سعود)، الذى حكم لمدة أربعة عشر عاما لغاية سنه ١٩٦٤م ، ومن بعد ذلك خلفه أخوه الأمير (فيصل) فى نفس العام الذى أعلن فيه فيصل بن عبد العزيز ملكا للمملكة العربية السعودية وإماما لها (١٨)

الملك فيصل والتضامن والتحديث السياسى:

إذا كان الملك عبد العزيز هو مؤسس الدولة وصانع سياستها الإسلامية، فإن الملك فيصل يعتبر مطورا ومكملا لها، وقد بدأ تجربته فى مجالات الشئون الخارجية قبل توليه العرش، عندما زار بريطانيا سنه ١٩١٩م لتقديم التهانى لانتصار الحلفاء فى الحرب، وتمكن خلالها من مناقشته بعض الأمور المتعلقة بالسياسة الخارجية مع كبار المسؤولين فيها (١٩)



كما عين وزيرا للخارجية سنه ١٩٣٠م واستمر فيها طوال حياته، باستثناء فترة قصيرة فى عام ١٩٦٠م، ومن الواضح أن السياسة الخارجية قد شغلت كل اهتمامته وأفكاره، فعندما كان ينظر إلى واقع بلاد العرب والمسلمين، وجد أن الصهيونية قد أقامت إسرائيل لتكون قاعدتها الأمامية ، كما أنه لاحظ أحوال العالم الإسلامى، وأن هناك دولا إسلامية مغتصبة ينكر مستعمرها على أصحابها حق تقرير المصير، بالإضافة إلى بلدان ألحقها المستعمر بدول غريبة عنه بعد أن اقتطعها من الأصل، مع وجود عشرات الملايين من المسلمين الذين يقيمون فى بلاد تخضع لأنظمة حرمتهم من الحرية . مع عدم وجود وحدة بشرية تهتم بهم، وتنصر كفاحهم بالاضافة الى الانقسامات الحاصلة فى الدول الاسلامية والعربية (٣٠) وفكر فى العمل على تحسين أوضاع المسلمين وجمع كلمتهم .

وكانت النتيجة قناعته: بأنه لا يستطيع أن يقوم بهذا الدور وحده إلا إذا اجتمعت الدول الاسلامية ووحدت كلمتها لرفع الضرر الذى لحق بالمسلمين، ولتحقيق ذلك أخذ يفكر فى الدعوة إلى عقد مؤتمر قمة إسلامى يحضره كل الملوك والرؤساء للدول الاسلامية للتباحث فى أمورهم ومشاكل إخوانهم المسلمين.

وننظر الآن المملكة العربية السعودية تحتضن الأراضى المقدسة، فقد كان من واجبها أن تتحمل مسؤولية الدعوة إلى تضامن المسلمين، ولاجتماعهم على كلمة سواء لبحث مشاكلهم، والدفاع عن حقوقهم ولذلك فقد كان الدعم المقدم من السعودية (الرابطة العالم الاسلامي) التى أنشئت عام ١٩٦٢ دعما غير محدود حيث إن الرابطة فى أهدافها عبارة عن شكل من أشكال التضامن بين المؤسسات والمنظمات الإسلامية فى العالم – فمن خلال هذه المؤسسة العالمية



الإسلامية تم التعبير عن رأى المؤسسات الاسلامية فى عدد من القضايا التى تتصل بالأليات المسلمة فى العالم وببعض القضايا العربية والاسلامية، وعلى الرغم من ذلك ففى منتصف عام ١٩٦٥م أخذ الملك فيصل ينفذ فكرة (التضامن الإسلامى) داعيا إلى عقد مؤتمر قمة إسلامى يضم ملوك ورؤساء الدول الإسلامية، رغم معارضة شديدة من بعض الدول العربية ثم انتقل إلى مرحلة التنفيذ الحقيقى لعقد مؤتمر قمة إسلامى، فوجه الدعوة إلى كل ملوك ورؤساء الدول الاسلامية لحضوره ، وقد شجعه على ذلك عدة عوامل منها :-

أولا: أن نداءه لم يكن جديدا فى طبيعته ، وليس الأول من نوعه، كما أنه لم يكن وحيدا فى تفكيره، فقد وجدت أفكار مشابهة عبرت عنها الكثير من المعاهد والمنظمات، وبعض من رؤساء الدول الاسلامية . فقد عقد فى عام ١٩٦٤م مؤتمر إسلامى (بمقديشو) عاصمة الجمهورية الصومالية، كان الهدف منه: مناقشة المشاكل التى تواجه العالم الاسلامى، كما ألقى الرئيس الصومالى (أدم عثمان) خطابا دعا فيه إلى عقد مؤتمر قمة إسلامى يحضره جميع الملوك والرؤساء المسلمين، كما تبنى المؤتمر فكرة الملك فيصل وتأييدها (٢١)

ثانيا: فى أبريل سنه ١٩٦٥م ، عقدت رابطة العالم الاسلامى مؤتمرها السنوى (بمكة) وألقى الملك فيصل خطابا فى الجلسة الافتتاحية متضمنا : (ثناءه على مبادرة الرئيس الصومالى وموافقة المملكة عليها وفى نهاية الاجتماع صدر قرار خاص فى ذلك يتضمن الآتى (يؤكد المؤتمر على تأييده لنداء جلالة الملك فيصل بعقد مؤتمر قمة إسلامى ، أملا أن يعود ذلك بفوائد جمة على الإسلام والمسلمين ، كما يلتمس من جلالته مواصلة العمل لتحقيق هذا الهدف الكبير) (٢٢)

عند بداية تنفيذه للمبادرة - لم يكن المناخ السياسي في العالم العربي مشجعا لعقد مؤتمر لوجود شقاقات ونزاعات تفرض نفسها على المنطقة ، ولذلك رأى أنه من الأجدر لتنفيذ فكرته هو القيام بسلسلة من الزيارات إلى الدول الإسلامي وبعض الدول العربية لشرح دعوته ومزاياها .

ثالثاً: وبدأ زيارته الأولى (لشاه ايران) في ديسمبر ١٩٦٥م - واستطاع أن يحصل على موافقته ، ونص البيان المشترك الذي صدر في نهاية الزيارة على ذلك ، وتضمن مايلي (يعلن الطرفان الساميان موافقتهما على الدعوة إلى عقد مؤتمر قمة إسلامي، ليكون فرصة لمناقشة الأمور التي تهم الدول الاسلامية ، ونقطة انطلاق وحدتها وصيانة مصالحها). كما شملت زيارته أيضا الأردن (١٩٦٦م) ، السودان (مارس ١٩٦٦م) ، باكستان (ابريل ١٩٦٦م) ، تركيا ،أغسطس ١٩٦٦م) المغرب وغينيا ومالي وتونس (سبتمر ١٩٦٦م) (٢٣).

رابعاً: ومن خلال رحلاته ظهرت عدة أمور ساعدته على القيام بتنفيذ فكرته: أبرزت العلاقات المشتركة وجود شخصية إسلامية ، لها أثرها الروحي ، والمتميز على الصعيد الدولي في الستينات من القرن الحاضر، وأن دعوة التضامن الإسلامي ، لا تتعارض مع التضامن العربي ، بل تعزز كل منهما الأخرى ، إن الاخذ بهذه الفكرة يكون نقطة انطلاقة لاقامة منظمة عالمية للدول الإسلامية، كما أنها وضحت للجميع بما فيها معارضيها أنها قامت من أجل تآخي الشعوب ، وتحرير الانسان، ودعم السلم والحرية بين البشر، والابتعاد عن كل متعصب وعدوان ومستنكرة سياسة التمييز العنصري ، كما أعلنت عزمها على مؤازرة الشعوب المستعمر في جميع أنحاء العالم الاسلامي، للحصول على استقالهم وحرياتهم. كما أكد جلالته في دعوته: أن رابطة العقيدة هي المقام الأسمى والأول في نظر الشرعية الإسلامية. كما أنها تتفق

مع كل الدعوات التى تنادى بتصفية الاستعمار في العالم، كما أن زيارته إلى بعض الدول الافريقية أثارت اهتماما دوليا خاص - لأن فى أفريقيا بعضا من المناطق التى تعانى من ظلم الاستعمار وتغلغل الصهيونية فيها. كما كان يدعو فى جميع رحلاته إلى تحرير فلسطين والأراضى المحتلة من الاستعمار، وقد كان لدعوته صدى ملموس، وأثر قوى لدى الدول الأفريقية الاسلامية، التى أيدت دعوته إلى عقد مؤتمر إسلامى (٢٤).

الهوامش:

١- دكتور جلال يحيي - الثورة العربية : القاهرة ، دار المعرفة ١٩٥٩ ص ٣١٩.

٢- خير الدين الزركلي ، شبه الجزيرة العربيه فى عهد الملك عبد العزيز .

٣- راجع : محمد المانع ، توحيد المملكة العربية السعودية م. س. ز ص ٤٧.

٤- دكتور جلال يحيى ، م. س. ز ص ص ٦٧ ومابعدها .

٥- دكتور جلال يحيى ص ٧٠ وراجع أيضا : احمد عسه ، معركة فوق الرمال ص ٧٧ .

٦- راجع دكتور عبد العزيز نوار ، تاريخ العراق الحديث ، دكتور جلال يحيى ص ٧١ .

٧- وسوف يرتفع نجمة جلبرت كليتون فيما بعد في تسوية مشكلات الحدود

و راجع أيضا حافظ وهبه ، خمسون عاما فى جزيرة العرب ص ٨٧ .

٨- دكتور جلال يحيى ، م. س. ذ ص ص ٧٣ - ٧٤ .

٩- دكتور جلال يحيى ص ٧٤ وراجع أيضا د/ تركى بن محمد بن سعود الكبير، علاقة بريطانيا بالملك عبد العزيز - رحمه الله - فى : الدارة ، العدد الرابع ، ١٩٨٦ وراجع أيضا دكتور/ محمد نصر مهنا ، الخليج العربي، مرجع سابق.

١٠-امين الريحاني ، تاريخ نجد وملحقاتها ، دكتور / جلال يحيى م. س. ز ص ٧٦

١١- محمد المانع ، م. س. ذ ، دكتور / جلال يحيى ص ٧٧

١٢- دكتور عبد العزيز نوار ، تاريخ العراق الحديث ص ٩٧ ومابعدها .

١٣- راجع : بحوث دبلوماسية ، وزارة الخارجية السعودية ، الرياض ، بدون تاريخ اصدار وراجع أيضا : أحمد عسه ، معجزة فوق الرمال ، ط٣ ، (لبنان : المطابع الاهلية اللبنانية ، ١٩٧١م) ص ١٦ .

١٤- نزار عبيد مدني، المفهوم الإسلامي للسياسة الخارجية للمملكة العربية السعودية ، دعوة الملك فيصل للتضامن الإسلامي (١٩٦٥م - ١٩٧٥م) ، واشنطن ، الجامعة الامريكية ١٩٧٧م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، ص ٥٨.

١٥- نزار عبيد مدني ، المصدر السابق ، ص ٦٠ .

١٦- أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة ، ص ٥٦ ط ٣ ، (لبنان : المطبعة العربية بيروت ، ١٩٨٢هـ) ص ٢٣١.

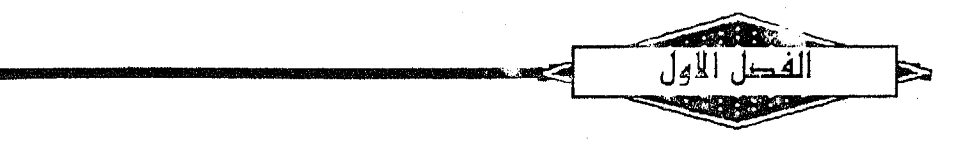
١٧- محمد عنان، السعودية وهموم العرب خلال نصف قرن ، ١٩٢٣ - ١٩٧٨م ، (بيروت: منشورات المكتبة العالمية للطباعة والنشر، ١٩٧٨م) ص ٩٢.

١٨- عباس محمود العقاد، مع عاهل الجزيرة العربية، (بيروت منشورات المكتبة العصرية) ص ١٩.

١٩- عباس محمود العقاد، المصدر السابق، ص ١٩

٢٠- محمد عنان ، المصدر السابق . ص ٩٤ .

٢١- سيد محمد إبراهيم ، تاريخ المملكة العربية السعودية ، (الرياض : مكتبة الرياض الحديثة، ١٣٩٣هـ ١٩٧٢م) ص ١٣٨



٢٢- منير العجلانى ، تاريخ مملكة فى سيرة زعيم فيصل ملك المملكة العربية السعودية وإمام المسلمين ، ط ١ ، ١٩٦٨م ، ص ١٤٩

٢٣- نزار عبيد مدنى ، المصدر السابق ، ٨٧ .

٢٤- نزار عبيد مدنى ، المصدر السابق ، ٩٣ .

الفصل الثانى

أزمات العلاقات الكويتية العراقية

اراد الانجليز بعد الحرب العالمية الأولى رسم الحدود بين الكويت والعراق وحيث حركة القبائل على تلك الحدودلاتعترف بالقيود بسبب ترحالها المستمر.

وكانت الحكومة البريطانية قد اتفقت مع الدولة العثمانية على رسم خريطة لحدود الكويت عام ١٩١٣ ، وكانت بريطانيا تعتبر تلك الحدود هى حدود الكويت ، وأقرتها عام ١٩٢٢ وكانت تلك الحدود تصل بالكويت جنوبا إلى جبل منيفه على مسافة تبعد نحو مائة وستين ميلا عن حدود الكويت الحالية مع المملكة العربية السعودية» (١)

ومنذ بداية العشرينيات كانت مسألة الحدود الكويتية العراقية قد استقرت لأن الطرفين اعتبرا اتفاقية ١٩١٣ بين بريطانيا والدولة العثمانية حول تحديد الحدود الكويتية هى الأساس للعلاقات بين البلدين .

يرى الدكتور/ عبد المالك (٢) اليمنى أنه اذا كانت مشاكل الحدود فى منطقة الخليج العربية قد بدأت بسبب حركة القبائل ونزاعها ، فإن أسباب تفجرها الأساسية تعود إلى ظهور النفط فى المنطقة، ولذلك يمكن تأريخ مشاكل الحدود مع تاريخ النفط فيها منذ الكشف والتنقيب عليه حتى إنتاجه بكميات اقتصادية كبيرة . بما يعنيه ذلك أن بروزها مقترن إلى حد كبير بظهور النفط أكثر من اقترانها بفكرة الكيان والدولة الحديثة، لأن النفط فى المنطقة أسبق من تلك الفكرة ، بيد أن نضوب النفط لا يعنى انتهاء المشاكل الناتجة

عنه ومنها مشكلات الحدود. لقد استقرت لدى سكان المنطقة فكرة الدولة ذات الحدود الواضحة والإحساس بالسيادة، وكان النفط فى منطقة الخليج معروفا لدى الشركات الأجنبية منذ قبيل الحرب العالمية الأولى، لكننا ويمكن القول إن مسألة الحدود بين العراق والكويت قد استقرت فى بداية العشرينيات فى اتفاقية العقير عام ١٩٢٢ عندما اعتبر المؤتمرون أن الاتفاقية البريطانية العثمانية لعام ١٩١٣ بشأن الحدود بين العراق والكويت هى الأساس رغم أن النتائج لذلك المؤتمر قد اختلفت عن تلك الاتفاقية فى بعض بنودها - كما سبقت الاشارة - غير إثارة الازمات بين العراق والكويت والتى كانت العراق هى السبب المباشر لها دائما - هو الأمر الذى يستدعى وقفة للتفسير والتحليل:

يرى جى . بى . كيلى : «أن حدود الكويت قد تمت بتوقيع اتفاقية العقير التى تم الوصول إليها فى معاهدة ١٩١٣ (٣) ، ولم يكن فى الامكان تغييرها إلا باتفاق بين الحكومتين العثمانية والبريطانية ، ولقد بين ابن سعود بتفاوضه على هذا المبدأ، وأقر بمركزه القانونى كوريث للإمبراطورية العثمانية على نجد والأحساء، وأصبح ملزما باحترام الالتزامات التعاهدية للباب العالى بالنسبة إلى حدود هذه المناطق (٤). ويتساءل اليمنى عما إذا كانت الكويت قد فقدت مساحات من أراضيها كنتيجة لتلك الاتفاقية .

إن إشكال العلاقه بين الدولتين وما شابها من ازمات حتى العقد الاخير من القرن العشرين ، كان موقف الكويت دفاعيا باستمرار فى علاقاتها مع جيرانها، ففيما يتعلق بموقفها مع العراق فإن الذى كانت تطالب به باستمرار منذ قيام الدولة الحديثة فى العراق عام ١٩٢١ حتى الغزو العراقى للكويت فى أغسطس ١٩٩٠ هو ترسيم الحدود بين العراق والكويت والاعتراف بكيان



واستقلال الكويت. ورغم تحسن العلاقات بين البلدين فى فترات معينة إلا أن أنظمة الحكم فى العراق كانت بين الحين والآخر تخرق التزاماتها والتزامات الحكومات العراقية السابقة تجاه الكويت.

ففى أول أبريل عام ١٩٢٣م وجه الشيخ أحمد الجابر حاكم الكويت رسالة إلى الوكيل السياسى البريطانى فى الكويت يسأل فيها عن موضوع تحديد الحدود العراقية الكويتية، وبناء عليها رد الوكيل السياسى البريطانى فى العراق بتاريخ ٤ أبريل ١٩٢٣م . وكان الرد يؤكد ضرورة احترام العراق للالتزامات الدولية القانونية التى ورثها عن الدولة المنتدبة.. وتم تبادل الرسائل بين وزارة الخارجية البريطانية ورئيس وزراء العراق فى ١٧ أبريل ١٩٢٤م باعتبار الكويت كيانا سياسيا ودوليا مستقلا، وأكدت محاضر وزارة الخارجية البريطانية المؤرخة فى ٦ فبراير ١٩٢٩ استقلالية إمارة الكويت ، وأن شيخ الكويت يرتبط بعلاقات تعاهدية مع حكومة صاحبة الجلالة، ومعترف به كحاكم مستقل، ولكن نظام الحكم فى العراق رغم تبعيته لبريطانيا لم يلتزم بتلك التعاهدات، ففى عام ١٩٣٠م بدأ بمضايقة الكويت وذلك بمطالبته شيخ الكويت، بدفع الضرائب عن مزارع النخيل فى البصرة والتى هى ملك لأسرة الصباح وبعض الأسر الكويتية أو مصادرتها رغم أن هناك اتفاقا يعفى تلك المزارع من الضرائب حيث جاء ذلك الإعفاء مقابل موقف الشيخ مبارك الصباح ضد الأتراك فى جنوب العراق أثناء الحرب العالمية الأولى (٥) .

وعقب استقلال العراق عام ١٩٣٢ تبادل رئيس وزراء العراق مع حاكم الكويت الشيخ احمد الجابر الصباح الرسائل حول الحدود والعلاقات بين البلدين . وأكدت تلك الرسائل على كيان الكويت وعلى الحدود الكويتية العراقية التى سبق الاتفاق بشأنها عامى ١٩١٣ و ١٩٢٢ م.

وتجدر الإشارة إلى علاقات الكويت بجيرانها كانت تمر بمرحلة صعبة في العشرينيات والثلاثينيات ، وانعكس ذلك على الوضع الاقتصادى للكويت حيث تأثر سلبيا . لقد شهدت الثلاثينيات ثلاثة أحداث فيما يتعلق بالكويت، الحدث الأول كان ظهور النفط واكتشافه فى الكويت ومؤشرات ذلك الاكتشاف أنه متوافر بكميات اقتصادية كبيره والحدث الثانى كان حركة المجلس التشريعى عام ١٩٣٩/٣٨ (٦) . أما الحدث الثالث فقد كان مطالبة الملك غازى ومحاولته الأولى ضم الكويت بالقوة دون أن يقدم عليها وهى المحاولة التى انتهت بمقتله فى حادث عام ١٩٣٩م .

إن العراق قد منح الاستقلال السياسى عام ١٩٣٢م إلا أن بريطانيا استمرت تمسك بالأوضاع العراقية، ومع ذلك فالعراق أصبح دولة مستقلة ولها حدودها التى حددتها الاتفاقية العثمانية البريطانية لعام ١٩١٣.

أما العلاقات الكويتية العراقية فى نهاية الثلاثينيات فى عهد الملك غازى فقد تدهورت نتيجة تدخل العراق فى شئون الكويت الداخلية وعدم احترام التعاقدات السابقة بين الطرفين، وقد بدأت ولأول مرة مطالبة العراق بالكويت عام ١٩٣٧ (٧) . فقد بدأت فى ذلك العام إذاعة موجهة من القصر الملكى فى بغداد (قصر الزهور) بحملة دعائية عنيفة ضد الكويت، كما أوردت بعض الصحف العراقية نبأ عزم العراق ضم الكويت، وأن الملك قد أدر أوامره بهذا الخصوص، وتدخلت بريطانيا لبحث الموضوع مع رئيس وزراء العراق، ويقال إن الجيش العراقى قد رفض تنفيذ الأوامر، وفى برقية للسفير البريطانى فى بغداد موجهة إلى وزارة الخارجية البريطانية بأن الملك قال له بأنه لا يقصد مهاجمة الكويت بل الضغط على حاكمها للإذعان لإقامة المؤسسات الليبرالية(٨) . وانتهت تلك الأمة بمقتل الملك غازى فى عام ١٩٣٩م، وقيام الحرب العالمية الثانية .

أثيرت قضية الحدود الكويتية العراقية فى الأربعينيات نتيجة لحدثين: الأول قيام الشركات النفطية بعمليات التنقيب عن النفط على طول الحدود الشمالية للكويت حتى عام ١٩٤٦ ، والثانى تجاوزات الشرطة العراقية داخل الأراضى الكويتية على الحدود. وكان تركيز العراق آنذاك على ميناء أم قصر لما له من أهمية تجارية كميناء عميق المياه (٩) . ولكن لم يحدث جديد فى مسألة الحدود بين البلدين خلال الأربعينيات

ويورد التميمى برقية فى ملفات وزارة الخارجية البريطانية مؤرخة فى ١٧ يوليو/تموز ١٩٥٧، يرى بأنها ربما تلخص العلاقات الكويتية العراقية فى الخمسينيات ، لا بل تلخص سياسات الحكومات العراقية تجاه الكويت بإبداء النوايا الحسنة ظاهريا وممارسة عكس ذلك .

جاء فى البرقية مايلى : «إن حاكم الكويت الشيخ عبدالله السلام الصباح قد وجه الدعوة لوزير خارجية العراق على ممتاز لزيارة الكويت للتباحث حول موضوع تخطيط الحدود العراقية الكويتية ، ولكن وزير خارجية العراق اشترط ألا تكون الزيارة رسمية ، وألا تبحث قضية الحدود لأنه غير مخول بذلك، وقال وزير خارجية العراق إنه يفكر فى أن يطمئن حاكم الكويت للنيات الحسنة للحكومة العراقية الجديدة تجاه الكويت واستقلالها، وتجاه الكويتيين الذين يزورون العراق، أو الذين لديهم مصالح فى العراق . . . وأن الحكومة العراقية قد أعطت الكويتيين حقوقاً خاصة عام ١٩٥٣م لم يتمتع بها أى من الرعايا الأجانب كشراء العقارات والأملاك فى العراق. وأشار ضمنا إلى أن الحكومة العراقية لم تحصل بالمقابل على أى شىء وفى العبارة الأخيرة تهديد ضمنى. وهناك نص فى البرقية يقول إن وزير خارجية العراق أيضا قال بانه من المستحيل على أى حكومة عراقية ان توافق على تخطيط الحدود، وإذا ما أثير هذا الموضوع فإن نتائج الزيارة ستكون سلبية!» (١٠) .



إن قراءة ما جاء في هذه البرقية بدقة يدل على النوايا المبيتة لدى الحكومة العراقية تجاه الكويت، لأن تلك الحكومات كانت دائما تراوغ وترفض مسألة تخطيط وترسيم الحدود بين البلدين ، أي أن مسألة ضم الكويت لها جذور تاريخية تمتد للعشرات السنين وليست وليدة الساعة.

وفي عام ١٩٥٨ عندما قامت الثورة في العراق وسقطت الملكية استبشر الكويتيون خيرا بتوجهات النظام الجديد في العراق، ولكن سرعان ما انحرف وبات يردد الادعاءات السابقة وزاد عليها أنه يعتزم ضم الكويت بالقوة، وهذا هو التهديد الثاني للأمن واستقلال وكيان الكويت من قبل أنظمة الحكم في العراق.

لكن هاجس الدول الغربية كان بعيدا عن مسألة الحدود إذ إنها كانت ترى أن الثورة العراقية تلك قد خلقت جوا من عدم الاستقرار في منطقة الخليج وتهديدا لمصالحها ((١١١)) ..

ويرى التميمي أنه منذ الأيام الأولى لاستقلالها فقد انتهجت الكويت سياسة غير تابعة في القضايا والشؤون الإقليمية والدولية .. والتنسيق بين سياستها وسياسة البلدان العربية ودول عدم الانحياز اعتمدت على مبادئ عدم الانحياز والتعايش السلمي وتأييد الحق العربي في سياستها الخارجية وبذلك ازداد ثقل الكويت دوليا ((١٦٢)) ..

لكن العرب في تاريخهم الحديث والمعاصر ما أن يتقدموا خطوة إلا يصاحبها أو يعقبها تراجع لعدة خطوات وذلك يعني هدرا في الجهد والوقت والإمكانيات ويضعنا باستمرار في زمن يسابق العالم فيه نحو التقدم والرقي. فبعد إعلان استقلال الكويت بأيام قليلة عقد حاكم العراق عبد الكريم قاسم مؤتمرا صحفيا في ٢٥ يونيو ١٩٦١م ليعلن مطالبته بضم الكويت للعراق، واستمرت

الأزمة فى العلاقات الكويتية العراقية فترة ثلاث سنوات إلى أن أطيح بحكم قاسم عام ١٩٦٣ (١٣) ، وتم الانفراج النسبى فى تلك العلاقات حتى بداية السبعينيات، فقد تم الاعتراف باستقلال الكويت وتبادل العراق معها التمثيل الدبلوماسى، ولكن التوتر فى تلك العلاقات عاد في بداية السبعينيات حيث عاد العراق يلمح ويصرح ويراوغ فى عدم ترسيم الحدود بحجة مطالبته بمنفذ بحرى على الخليج وبالتحديد مطالبته بجزيرتى وربة وبوبيان مستندا كما يدعى إلى حاجة العراق إلى منفذ بحرى من جهة، وأن اتفاقيات الحدود السابقة بين البلدين قد تمت فى ظروف السيطرة البريطانية.

مرت الأزمة الكويتية العراقية خلال الفترة مابين يونيو ١٩٦١ وأكتوبر ١٩٦٣ بمراحل مختلفة بدءا بالتهديد العسكرى وانتهاء بالمواجهة السياسية ومرورا بحرب دعائية ساخنة في بعض المناسبات ومع قيام انقلاب عسكري فى بغداد فى فبراير ١٩٦٣ . وسقوط واغتيال قاسم بدأت الأزمة فى الانفراج ولكن النظام الجديد استغرق بضعة أشهر لترتيب أوضاعه. محاولا خلال تلك الفترة انتزاع بعض المكاسب المالية والسياسية (١٤) .

كانت الفرضية السائدة أن سعى الكويت لاستثمار دخل النفط فى مشروعات التنمية فى العالم العربى هو ثمن مساعدة العرب لها ضد التهديدات العراقية. وعلى الرغم مما قيل فى هذا الصدد فإن سياسة المعونات الكويتية غير متعارضة تماما مع معتقدات الكويت وممارساتها (١٥) .

ومع قرب مغادرة بريطانيا منطقة الخليج العربى فى نهاية الستينيات ازدادت العلاقات العراقية الايرانية سوءا حول قضية شط العرب، واستخدم العراق مزيجا من الإقناع والضغط على الكويت لوضع قواته فى المناطق الكويتية كجزء من قوة عسكرية لحماية ميناء أم قصر من هجوم إيرانى وشيك(١٦) .



ومع نهاية عام ١٩٧٢ بنى العراقيون طريقا عبر الأراضى الكويتية يؤدى إلى مواقعهم على الخليج، وفى ٢٠ مارس ١٩٧٣ احتلت القوات العراقية نقطة شرطة كويتية (الصامتة) وقتل اثنان من الكويتيين وجندى عراقى ، وتأزمت العلاقات الكويتية العراقية، وبدأ التحرك العربى والدولى لمساندة الكويت واحتواء الأزمة. وأن التطورات فى الخليج والمنطقة العربية سمحت للعراق بتغيير موقفه، بعد ما حسم العراق نزاع شط العرب مع إيران فى اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ ، ووافقت بغداد فى يوليو ١٩٧٧ على سحب قواتها من الحدود الكويتية (١٧) .

كانت سياسة العراق ترتكز دائما على المطالبة بمنفذ بحرى على الخليج ولا يتم ذلك في اعتقاده إلا بأخذ جزيرتى وربه وبوبيان الكويتيتين ليصبح العراق دولة خليجية ويواجه التهديدات الايرانية، ويصدر نفطه وينشط تجارته. وهذه ادعاءات يكررها العراق دائما في محاولة لكسب مزيد من التعاطف العربى معه فى هذا الموضوع ، مع العلم بأن العراق يملك منفذا بحريا على الخليج يمتد لمسافة ٧٠ كيلو مترا صالحة للموانيء التجارية والحربية ولديه فعلا مثل هذه الموانىء على تلك الرقعة البحرية.

يبقي جانب أخر فى تطور التجربة الكويتية هى الديمقراطية، وهى تجربة خليجيه رائدة فالكويت لديها دستور دائم، وبرلمان منتخب منذ عام ١٩٦٢ .. وكانت هناك انتخابات ديمقراطية ماعدا فترات حل مجلس الأمة ١٩٧٦-١٩٨٠ و ١٩٨٦-١٩٩١م ، وبعد كل انتخابات تزداد المعارضة بمختلف اتجاهاتها، وقد أنجزت المعارضة دورا هاما فى السيطرة على الثروة النفطية، وجيران الكويت لم يكونوا مرتاحين من التجربة الديمقراطية الكويتية (١٨) .

لم يطرأ جديد على العلاقات الكويتية العراقية خلال النصف الثانى من



السبعينيات إلى أن قامت الثورة فى إيران ثم اندلعت الحرب العراقية – الايرانية عام ١٩٨٠ وفى ظل خشية دول الخليج العربية من التطورات الخطيرة فى المطنقة ونتيجة للهاجس الأمنى بدأ الشروع فى إقامة منظمة إقليمية هي مجلس التعاون لدول الخليج العربية. وفى لحظات الخطر التى كانت تضغط على أنظمة الحكم فى المنطقة وضع القانون الأساسى لمجلس التعاون الخليجى ونص على أن هذا المشروع التعاونى ينبغى أن يتطور إلى وحدة المنطقة، ولكن ذلك لم ينفذ وليس هناك ما يشير إلى أن مسيرة مجلس التعاون تتجه نحو ذلك الهدف. وكان موقف الكويت المنحاز لتأييد ودعم العراق فى الحرب تغييرا فى نهج سياسة الكويت الخارجية منذ الاستقلال القائمة على التوازن والحياد، وكان الاندفاع في ذلك التأييد قد ساهم ودون شك مع دول مجلس التعاون فى دعم وتثبيت النظام العراقى .

يورد أحد الباحثين نصا من كتاب منشور عام ١٩٨٤ يذكر بآن العراق وايران ستقدمان على احتلال أجزاء من المنطقة، وعنوان الكويت والبحرين كلتاهما تعانيان من تحدى جيرانهما الأقوياء بسبب موقعهما الجغرافى وخاصة بعد حصولهما على الاستقلال . هؤلاء الجيران هما العراق وايران . فالعراق يعتبر الكويت جزءا منه، وكذلك ايران تعتبر البحرين جزءا منها، وأن كلتيهما تعتبر أن الامبريالية البريطانية اقتطعت هذه المناطق منها» .

وإنه إذا نجحت إيران فى الحرب العراقيةالايرانية فستشكل خطرا على دول الخليج العربية، وكذلك إذا نجح العراق فى تلك الحرب فسيشكل نفس الخطر. فهاتان القوتان تتطلعان للاتجاه جنوبا (١٩) .

لقد كانت العلاقات الكويتية الايرانية متوترة فى الثمانينيات أثناء الحرب العراقية الايرانية بسبب موقف الكويت المساند للعراق وتحملت عبئا ماليا



وسياسيا بسبب ذلك الموقف، كما انعكس القلق من خطر الثورة الايرانية على دول مجلس التعاون الخليجى (٢٠) .

غير أن الحرب العراقية الايرانية التى استمرت ثمانى سنوات بالنسبة للكويت لم تكن مجرد سيناريو للأحداث يمكن تخيله دون معاناة، فقد انعكست نتائج تلك الحرب اقتصاديا وسياسيا ومعنويا على دول منطقة الخليج العربى، وهددت الوجود المستقل للدولة الكويتية ذاتها، ولهذا يصبح مفهوما قلق الكويت من تصعيد العمليات العسكرية بين العراق وايران وفى منطقة الخليج (٢١) .

إن موقف الكويت من الحرب العراقية الايرانية يرتكز على رأي جماعى لدى دول مجلس التعاون الخليجى مفاده بأن هزيمة العراق فى الحرب وانتصار إيران يعني خطر السيطرة الايرانية على المنطقة، ولذلك وقفت الكويت إعلاميا واقتصاديا مع العراق (٢٢) ، دون أن تضع فى حسابها أن الأمر نفسه سيحدث لو انتصر العراق. وحتي ذلك التقدير للأمور بالصورة التى كانت عليها يؤدى إلى بناء قوة حقيقية تواجه أى عدوان تتعرض له دول الخليج أو أى منها .

لم تهدأ مسألة الحدود بين العراق والكويت إلا فى فترات الأزمات التى كان يمر بها العراق ومنها فترة الحرب العراقية الايرانية خلال الثمانينيات من هذا القرن، لأنه كان فى مثل تلك الظروف بحاجة إلى دعم الكويت ودول الخليج العربية والتى قدمت للعراق دعما ماديا ومعنويا.

لقد كان الأمل الذى تطلع إليه الجميع بعد توقف الحرب العراقية الايرانية عام ١٩٨٨م أن يكون ذلك بداية مرحلة جديدة يسودها السلام والأمن والبناء ، ودعم أواصر المحبة والتعاون العربى المشترك وحسن الجوار مع دول الجوار. وتوسمت الكويت خيرا فى أن يبادر النظام العراقى بفتح صفحة

جديدة فى العلاقات بين البلدين بترسيم الحدود بينهما، وإنهاء النزاع حول الحدود بصورة نهائية، وبناء علاقات أخوية جيدة . لكن المفاجأة كما تم تقويمها من جانب التميمى(٢٣) كانت على عكس ذلك فقد قام ذلك النظام بعملية غادرة بتوجيه جيشه لاحتلال الكويت احتلالا كاملا، وتخريبها ونهبها فى أغسطس ١٩٩٠ . واتضح من خلال ممارسات ذلك النظام وأجهزته غير المعلنة فى الكويت خلال فترة احتلاله التى دامت سبعة أشهر مدى قدرته على التخريب والتدمير المبرمج ، والخبرة التى يتمتع بها من خلال تجربة حكمه للعراق فى تخطيم أى مظهر للتقدم والقدرة غير العادية على النهب المنظم.

وبشأن العلاقات الاقتصادية بين العراق والكويت يورد التميمى(٢٤) قول المؤرخ عبد العزيز الرشيد ذكر سائح دنمركى اسمه كارستن ينبور زار الكويت سنه ١٧٦٥م ، (إن الكويت كانت مدينة تجارية عامرة، وفى نسه ١٧٧٦م هاجر إليها كثير من أهل البصرة واتخذوها موطنا لهم فرارا من الفرس الذين استولوا على البصرة فى ذلك العام، ورحب بهم أهل الكويت. وفى أثناء الاحتلال الفارسى للبصرة (١٧٧٦-١٧٧٩م) تحولت تجارة البصرة-مع بغداد وحلب وأمير والأتانة إلى الكويت ثم أخذت توطد صلتها التجارية بالموانىء العربية، وهذا أدى إلى زيادة ثروتها. لقد زارها الكثير من الرحالة الأوروبيين والأجانب . . . وكان السكان يعملون الى جانب التجارة والرعى فى الغوص وصيد اللؤلؤ (٢٥) .

يستدعى تداعى الأحداث على النحو السابق تقويم الدور الكويتى على النحو الآتى:

أولا : إن الكويت رغم صغر حجمها وإمكانياتها فى ذلك الوقت فقد كان لها شأن فى المجال التجارى على المستوى الإقليمى .

ثانيا: إن الكويت كانت واحة يلجأ إليها بعض السكان من دول الجوار ومنها العراق عندما يتعرضون للمشكلات السياسية.

ثالثا : إن الكويتيين كانوا يديرون مجالات عملهم وموارد اقتصادهم المتواضعة بنشاط وهمة فى البر والبحر.

رابعا : إن الكويت كانت منذ فترة بعيدة ترتبط بعلاقات اقتصادية مع العراق وقبل أن تكون بينهما علاقات سياسية .

ويتوصل التميمى إلى النتائج الآتية(٢٦) :

أن العلاقات بين العراق والكويت قد اتسمت فى تلك الفترة بالشك والريبة والقلق الدائم ، وقد مارس الغرب وبخاصة بريطانيا دورا مهما فى العلاقات بين الكويت والعراق ، فقد كان العراق تحت الانتداب وكانت الكويت تحت الحماية .

فضلا فى إن الكويت بلد صغير مساحة وسكانا، وموقعه استراتيجى على رأس الخليج ، وفى مثلث خطر، لذلك فإن علاقاتها مع جيرانها قد مرت بظروف صعبة خلال القرن العشرين إضافة إلى العوامل الدولية وموقف القوى الاستعمارية التى بنت موقفها على أساس مصالحها بالدرجة الأولى وقد كانت العلاقات الاقتصادية بين العراق والكويت فى الفترة موضوع الدراسة نشطة فى بعض الفترات كما مرت ببعض الأزمات فى فترات أخرى كنتيجة لعلاقات سياسية متأمة خلقتها أنظمة الحكم فى العراق . ويرى التميمى(٢٧) ان ميع أنظمة الحكم فى العراق منذ تأسيس الدولة العراقية الحدثة ١٩٢١ – ١٩٩٠ اتفقت على مسألة المطالبة بتبعية الكويت للعراق، واختلفت في أسلوب التعامل مع الكويت، كان الأساس هو الابتزاز للحصول على تنازلات من الكويت.

كما يرى التميمى(٢٨) أن الاحتلال العراقى للكويت فى أغسطس ١٩٩٠

قد نقل العلاقات بين البلدين إلى مرحلة ذات آثار سياسية واجتماعية خطيرة ستمتد ربما جيلين أو أكثر فى المستقبل ، وأخيرا يرى التميمى ان سجل التهديد العراقى للكويت سواء حول الحدود أو بالاجتياح يدل على أن العراق سيحاول فى المستقبل إثارة قضية منفذه البحرى على الخليج، ولربما يهدد استقلال الكويت مرة أخرى ، ويحذر التميمى (٢٩) من أن نلغى من حسابنا أن أية قوة إقليمية عندما تشعر بقوتها العسكرية والأيديولوجية قد تعمل على ابتلاع جيرانها من الدول الصغيرة، والحل أمام دول الخليج العربية الصغيرة الإقدام على خطوات استراتيجية تاريخية والتنازل عن بعض سيادتها القطرية لتحقيق اتحاد فيدرالى يحفظ لها استقلالها ويحقق لها أمنها وعمقها البشرى والاقتصادى والجغرافى وقوتها العسكرية والتنموية .

وفى تعقيبه على الاجتياح العراقى للكويت يرى الدكتور عبد الله محارب العديد من النقاط الجوهرية وخاصة بشأن جوانب التحديث التى شملت دولة الكويت ومؤسساتها على النحو الآتى (٣٠):

أولا: ان اجتياح العراق للكويت فى أغسطس ١٩٩٠ قد اعقبه مباشرة نهب العراق للسجلات الرسمية والاجهزة وان البنية التحتية أصبحت غير صالحة للعمل .

يضاف إلى ذلك أن السجلات الرسمية ، والأجهزة قد نهبت .. ولذلك استنتج التقرير أن البنية التحتية قد أصبحت غير صالحة للعمل .. أما قطاع النفط فقد أفاد التقرير بأن المؤسسات وحقول الإنتاج قد دمرت إلى حد لا يوصف .

وغنى عن البيان أن الدمار كان مقصودا ولم يكن نتاج المعارك الحربية، بشكل أساسى، خلال حرب التحرير .. فقد دمرت خمس محطات لإنتاج

الكهرباء، وأعطت اثنتان أخريان . كما أن ثلاثا من أربع مقطرات للمياه أصابها التدمير والتخريب. كما لم يسلم نظام الصرف الصحى من التخريب، وإن استمر يعمل .

ثانيا: انتشرت الألغام فى كل الكويت ، مما عطل الوصول إلى السواحل والعديد من المناطق لفترة زمنية طويلة حتى تم تنظيفها من تلك الألغام. ومما لاشك فيه أن تنظيف المناطق أدى إلى خسائر فى الأرواح وتضرر العديد من الأفراد من المواطنين والمقيمين والعاملين فى عمليات تنظيف الألغام الذين فقدوا أطرافهم أو جرحوا جروحا بالغة.

وحتى الطرق لم تسلم من الضرر الناتج عن عمليات القصف أو نتيجة لمرور معدات ومركبات كبيرة مثل ناقلات الجنود أو الدبابات على تلك الطرقات .. ولم يعد العديد من تلك الطرق صالحا للاستعمال مما تطلب إصلاحات أساسية .. أما أنظمة النقل العام فقد لحقها النهب الكبير فلم تسلم منه باصات شركة النقل العام، ولا سيارات ولا إسعاف ولا عربات المطافىء ، أو عربات نقل القمامة .. ويمكن القول إن أكثر من خمسين فى المائة من تلك العربات والمعدات قد نهبت أو دمرت أو فقدت. ولم يكن إذن غريبا أن تشاهد بعض تلك العربات في أقصى شمال العراق، أو فى طرقات بغداد مما يؤكد نهبها من قبل قوات النظام العراقى .

ثالثاً: يستطرد الدكتور عبدالله محارب قائلا :

قبل الغزو العراقى للكويت كان هناك ١٠٨٠ بئر نفط منتجة .. وبعد اندحار القوات العراقية الغازية ، قامت تلك القوات بحرق أكثر من ٧٠٠ بئر بشكل متعمد .. وقد تأكد تخريب ٧٤٩ بئرا .. وقدرت كمية النفط المحترقة من تلك الآبار فى المراحل المختلفة من بدء الحريق حتى إطفاء آخر بئر بما بين



مليونين و٦ ملايين برميل يوميا .. وإذا أردنا حساب الخسارة الاقتصادية المباشرة من حرق تلك الكميات من النفط فإن المبلغ قد يتراوح بين ٣٠-٩٠ مليون دولار يوميا على افتراض أن سعر النفط يعادل ١٥ دولارا للبرميل الواحد ؟؟

وإذا أخذنا بعين الاعتبار الأضرار البيئية الناتجة عن تلوث الهواء، وحجب أشعة الشمس، ومن ثم تخفيض درجة الحرارة ، وتكوين بحيرات نفطية تسبب أضرارا باهظة للتربة ، بالاضافة إلى تخريب البيئة البحرية نتيجة لتسرب كميات كبيرة من النفط فى مياه البحر، كل ذلك قد يؤدى إلى خسائر مالية ضخمة لا يمكن تعويضها إلا بعد مرور سنوات طويلة من الإصلاح وإعادة وتنظيف البيئة من كل تلك الآثار المدمرة.

يوجد فى الكويت ستة موانيء للتصدير النفطى، ومن هذه الموانىء تم تخريب الرصيف الشمالى فى ميناء الأحمدى، وكذلك الرصيف الجنوبى ، وتدمير شامل للجزيرة الصناعة أما ميناء عبدالله فقد دمر بشكل جزئى بما فى ذلك الرصيف الجنوبى منه.

أما خطوط الأنابيب التى تربط رؤوس الآبار بمحطات التجميع ، والخزانات، وموانيء التصدير ومحطات التكرير، فقد أصابها التخريب والتدمير بأشكال متعددة.، فمثلا تم تدمير عدد من الخزانات والأنابيب التى تربط بينها وبين الموانىء. وكذلك خربت بعض الأنابيب التى تربط بين الموانيء ومحطات التقطير أو التكرير.. ومن مراكز التجميع التى كان يبلغ عددها ٢٦ تم تخريب ٣ مراكز بشكل كبير ورئيسى.

أما المصافى أو محطات التكرير فقد أصابها التخريب لأسباب عديدة ومن تلك الأسباب عدم تصريف كميات المواد الكيماوية منها بعد توقفها. ومن

المصافى التى تأثرت مصفاة ميناء عبد الله وميناء الأحمدى . أما مصفاة الشعيبة فقد دمرت بشكل رئيسى وكبير.

رابعاً: أدت عمليات التخريب سالفة الذكر إلى فقدان الكويت لموارد مالية مهمة نتيجة لعدم تحصيل عائدات نفطية سواء من بيع النفط الخام أو النفط المكرر .. وفى ١٦ أكتوبر (تشرين أول) ١٩٩١ كان انتاج الكويت من النفط ٢٥٠ ألف برميل يوميا و١٢٠مليون قدم مكعب من الغاز الطبيعى يوميا، وفى المنطقة المقسومة كان نصيب الكويت من الانتاج ، فى ذلك الوقت، ١٢٥ ألف برميل نفط خام يوميا. وبذلك كان نصيب الكويت ٣٧٥ ألف برميل يوميا بعد أكثر من ثمانية أشهر من تحرير البلاد (٢٤) .

وغنى عن البيان حجم الخسارة المالية الناتجة عن انخفاض الإنتاج النفطى لبلد مثل الكويت تعتمد اقتصادياته على النفط بشكل رئيسى وحيوى. ففى ١٩٩٠/٨/٢ كان نصيب الكويت من الانتاج لدول الأوبك ٥ر١ مليون برميل يوميا حسب مقررات وزراء نفط الأوبك فى شهر يوليو ١٩٩٠.

وبالرغم من أن الكويت استطاعت أن تستعيد انتاجها النفطى بمعدلاته الطبيعية، وفى زمن قياسى، إلا أن الخسائر التى نجمت عن التعطيل أثناء فترة الاحتلال، وخلال فترة الحرائق حتى نوفمبر ١٩٩١ ، وفترة تباطؤ الانتاج ، كل هذه العوامل أدت إلى فقدان الكويت لعائدات مالية كبيرة. من جهة أخرى فإن النفط المحترق مثل خسارة مالية كبيرة. يضاف إلى ذلك أن الحرائق ربما أحدثت بعض الأضرار، وإن كانت طفيفة لمكامن النفط.. ولذلك قامت شركة نفط الكويت بتكليف عدة جهات متخصصة لدراسة مختلف المكامن والحقول النفطية لتبيان الأضرار الحقيقية الناتجة من التدمير والحريق . وقد يمضى بعض الوقت قبل التعرف على نتائج تلك الدراسات . ومهما تواضعت الأضرار فإن التكاليف المالية لها قد تكون طائلة .



قطاع الصناعات التحويلية:

مثلت الصناعات التحويلية مساهمة فى الناتج المحلى الاجمالى تقارب خمسة فى المائة فى السنوات السابقة للغزو العراقى للكويت. وقد ساهم القطاع الخاص منفردا وأحيانا بالشراكة مع القطاع العام فى تطوير هذه الصناعات غير النفطية. ومن أهم الصناعات التحويلية فى الكويت صناعة مواد البناء مثل الأسمنت، والمواد العازلة والأنابيب والطابوق وصناعات الأخشاب والأصباغ .. وقد مثلت هذه الصناعات أكثر من خمسين فى المائة من عمليات التخريب والنهب قد تتجاوز عدة بلايين من الدولارات الأمريكية يجرى الآن حصرها من خلال هيئة التعويضات ومن ثم أجهزة الأمم المتحدة المختصة.. ولاشك أن تلك العمليات بالإضافة إلى الخسائر المباشرة فى المصانع ومعداتها وأجهزتها قد أدت إلى فقدان أصحاب المؤسسات المذكورة للدخل المباشرمن أعمالهم نتيجة لتوقفها عن العمل. كما أن قيام عدد من العاملين فى تلك المنشآت بالرحيل عن الكويت أدى إلى خسارة فى القدرة البشرية لا يمكن تعويضها بقوة عاملة بذات الكفاءة والخبرة فى وقت مناسب .. وغنى عن البيان أن توقف أعمال المنشآت الصناعية أدى إلى فقدانها لأسواقها الاعتيادية سواء داخل الكويت أو خارجها. أن توقف الإنتاج أدى إلى دخول شركات غير كويتية لتوريد منتجات بديلة للمنتجات الكويتية وبطبيعة الحال فإن اقتحام هذه الشركات لسوق الكويت قد نتج عنه سيطرة على حصص الشركات الكويتية وحتى لو استأنفت الشركات الكويتية إنتاجها فلن تستطيع أن تستعيد حصصها إلا بعد مرور وقت طويل واجراء تحسينات على نوعية المنتجات . كل ماسبق ذكره يبين مدى الخسائر الفادحة التى لحقت بقطاع الصناعات التحويلية فى الكويت من جراء الغزو العراقى للكويت .

قطاعا التشييد والبناء والعقار:

تأثرت الأنشطة العقارية فى الكويت بصورة واضحة من بعد الاحتلال العراقى ولا يزال النشاط فى القطاع العقارى متأثرا بالرغم من مرور ثلاث سنوات على التحرير .. ولاشك أن قطاع التشييد والبناء يتأثر بما يحدث فى قطاع العقار .

من النتائج المباشرة للاحتلال العراقى انخفاض عدد السكان الوافدين إلى الكويت بنسبة كبيرة. ففى الوقت الذى كان فيه عدد السكان ٢و٢ مليون نسمة فى منتصف عام ١٩٩٠ ، كانت نسبة الكويتيين بينهم ٢٧ فى المائة وغير الكويتيين ٧٣ فى المائة .. ولقد كان غير الكويتيين يمثلون قوة شرائية كبيرة، ويشكلون فئة المستأجرين الأساسية فى البلاد.. يضاف إلى ذلك أن الوافدين كانوا يتمتعون بحياة عائلية مستقرة ، أو نسبة كبيرة منهم على الأقل، ومن ثم كان طلبهم على السكن العائلى مرتفعا. وقد جاء الغزو وتداعياته لوضع حد لذلك التكوين الديمغرافى للوافدين .

ومنذ التحرير برزت ظاهرة الوافدين العزاب الذين اضطروا للإقامة دون أسرهم، وهم بذلك قرروا أن يقيموا فى مساكن جماعية مشتركة للتوفير فى تكاليف المسكن وتوفير قدر أكبر من المال لتحويله لعالة أسرهم وذويهم فى بلدانهم الأصلية .. وكان من نتاج هذه الوضعية انخفاض الطلب على المساكن فى العمارات الاستثمارية .. وقد قدرت وزارة التخطيط فى بداية عام ١٩٩٢ عدد الشقق الشاغرة فى مختلف مناطق الكويت السكنية بما يقارب ٥٠ ألف شقة تمثل ثلاثين فى المائة من إجمالى عدد الشقق المجهزة للسكن . ومن الطبيعى أن تتأثر مناطق أكثر من أخرى نتيجة لهجرة مجموعات سكانية من مناطق معينة كذلك تأثرت المناطق البعيدة عن المراكز الحضرية ، ومواقع

الأعمال فى البلاد ، تأثرت سلبيا أكثر من المناطق القريبة من العاصمة .

أما مبانى المكاتب والمتاجر فهى لابد أن تكون قد تأثرت بنتائج انخفاض السكان، وبالتغيرات التى حصلت للتركيبة السكانية ، ولذلك أغلق الكثير من المكاتب والمتاجر أبوابها إما بسبب رحيل أصحابها الحقيقيين أو بسبب انخفاض حجم الطلب على أعمالها واضطراب أوضاعها المالية .. ومن نتائج ذلك انخفاض الطلب على المبانى ، وقد قام عدد من أصحاب الأعمال بتغيير مواقع أعمالهم من مبان إلى أخرى للاستفادة من وجود نوعية أفضل من المكاتب والمتاجر وبأسعار أفضل وفى مواقع موائمة لأعمالهم .

لقد نشأن عن تراجع نشاط القطاع العقارى أن تراجع العمل فى قطاع الإنشاءات إلى حد كبير من الطبيعى أن هناك أعمالا كثيرة يمكن أن يضطلع بها قطاع الإنشاءات ومن أهمها أعمال المشاريع الخاصة بالحكومة، بيد أن تلك الأعمال والتى تمثل أعمال إعادة البناء أو المشاريع الإسكانية الحكومية لا تمثل بديلا عن أعمال القطاع الخاص المستمرة.. الأعمال الحكومية بالرغم من أهميتها فإنها لا تغنى عن أعمال القطاع الأهلى بالنسبة لكثير من أصحاب شركات المقاولات الصغيرة الذين عادة لا يصنفون فى قوائم الحكومة .. ومن أهم أعمال الحكومة المشاريع الإسكانية التى تضطلع بها الهيئة العامة للإسكان ، ومشاريع الطرق والأعمال الصحية والمبانى الحكومية التى تضطلع بها وزارة الأشغال العامة ، ويبدو أن الظروف الاقتصادية والمالية فى البلاد تحتم ترشيدا فى إنجاز تلك الأعمال وبرمجة صارمة .

ويمكن أن نستنتج أن قطاع الأعمال الإنشائية قد تضرر كثيرا من واقع الغزو العراقى وتراجعت أعماله إلى حد كبير، وبالرغم مما أتيح له من أعمال فى برامج إعادة البناء ،،

كان قطاع تجارة الجملة والتجزئة فى الكويت من القطاعات الاقتصادية الأساسية. فى عام ١٩٨٩ كانت قيمة مساهمة القطاع فى الناتج المحلى الإجمالى (بالأسعار الجاريج) ٤٩٢ مليون دينار كويتى من أصل قيمة الناتج التى بلغت ٦٧٧٩ مليون دينار كويتى أى بنسبة ٣ر٧ فى المائة. وهذه النسبة وإن كانت منخفضة نسبيا الا أن القيمة إذا نسبت إلى قيمة الناتج من القطاعات غير النفطية فى العام المذكور فإنها ترتفع إلى ٣ ر١٢ فى المائة .. ومن الطبيعى أن تكون التجارة من أهم أنشطة القطاع الخاص الكويتى الذى مارس هذا النشاط منذ زمن سحيق، وقد اعتمد الكويتيون فى السنوات السابقة(٣١) لاكتشاف النفط على التجارة مع دول أفريقيا الشرقية، ومدن شبه القارة الهندية وعملوا على جلب البضائع لبيعها فى أسواق الجزيرة العربية والعراق. كما قاموا بتجارة التمور واللؤلؤ الذى نشط الكويتيون، آنذاك، فى جمعه من أعماق الخليج وبيعه فى الأسواق الهندية - وبعد أن أصبح قطاع النفط القطاع الأساسى والحيوى فى الاقتصاد الكويتى قام القطاع الخاص فى ترتيب أوضاعه وعمل على جلب السلع من مختلف دول العالم لبيعها فى السوق المحلية النامية بعد أن تدفقت العمالة الوافدة على البلاد للعمل فى مختلف القطاعات الاقتصادية . وبعد أن كانت التجارة مقصورة على جلب السلع الأساسية مثل المواد الغذائية ومواد البناء، اتسعت السوق، بعد تحسن مستويات المعيشة وتطور الأوضاع الاجتماعية ، لتشمل السلع الكمالية والمعدات الصناعية والسلع المعمرة.(٣٢)

لذلك فقد أصبحت التجارة مصدرا رئيسيا للدخل لعدد كبير من العائلات الكويتية .. وهذه المجموعات التجارية عملت على توسيع أنشطتها الاقتصادية فى قطاعات اقتصادية أخرى مثل قطاع العقار والقطاع المالى



والمصرفى وقطاع الخدمات .. وبذلك فإن التجارة أصبحت عنصرا مهما فى تطوير أعمال اقتصادية أخرى أساسية فى الكويت .

وهكذا نجد أن قطاع التجارة يعتبر قطاعا حيويا، ونتيجة للاحتلال فإن هذا القطاع قد تأثر تأثرا بالغا .

الهوامش:

١- للمزيد حول هذا الموضوع انظر : د. عبدالله الأشعل ، قضية الحدود فى الخليج العربى ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية فى الأهرام ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ١٠٠-١٠٢.

٢- د. راجع فى تفصيل ذلك.

أحمد أبو حاكمة، تاريخ الكويت الحديث ، ص ٣٥٧ = ٣٥٩ .

٣- جى . بى . كيلى ، ترجمة خيرى حماد، الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية، بيروت ١٩٧١ ، ص ١٧٦. انظر أيضا : ج. ج. لوريمر، دليل الخليج ، القسم التاريخى ، الجزء الرابع ، إصدار وترجمة ديوان أمير قطر، ص ٢٢٧٤-٢٢٧٥.

٤- دكتور عبد المالك التميمى ، العلاقات الكويتية العراقية ، ١٩٢١-١٩٩٠، دراسة تاريخية فى: عالم المعرفة، العدد ١٩٥ ،الغزو العراقى للكويت، مارس ١٩٩٥ ص ص ٥٠-٧٣ وسوف نعتمد على تحليلاته القيمة فى المتن وراجع أيضا : وليد الأعظمى ، الكويت فى الوثائق البريطانية ١٧٥٢-١٩٦٠ ، الطبعة الأولى ١٩٩١ ، لندن - قبرص ، ص ١٢١-١٢٤.

٥- أحمد أبو حاكمة ، المصدر السابق ، ص ٣٦٣ - ٣٦٥ .

٦- بدر خالد البدر ، نورى السعيد ، الملك غازى ، عبد الكريم قاسم ومواقفهم تجاه الكويت ، جريدة القبس، الكويت ، ١٩٩٣/٦/٢٧ .

٧- راجع دكتور/ جمال زكريا قاسم، أزمة العلاقات الكويتية العراقية على عهد الملك غازى ١٩٣٣-١٩٣٩ ، بحث مقدم لندوة العدوان العراقى على الكويت، قسم التاريخ ومجلة العلوم الإنسانية بجامعة الكويت ، ٢-٤ مارس ١٩٩٢ ، الكويت ، ص ١٦-١٨ .

٨- التميمى مرجع سابق.

٩- المصدر نفسه .

١٠- Tim Niblock, Social and Economic development in the Arab Gulf. Great Brition, 1980, pp. 215-216.

١١- التميمى ، مرجع سابق.

١٢- المرجع نفسه.

١٣- د. عبد الرضا على أسيرى ، الكويت فى السياسة الدولية المعاصرة الطبعة الثانية، مايو ١٩٩٢، الكويت ، ص٨٧ .

١٤- المصدر نفسه ، ص ٧٩ .

١٥- المصدر نفسه ، ص ١٣٩ .

١٦- المصدر نفسه ، ص ٤٠ .

١٧- Sharam Chubin. Security in the persian Gulf. International for Strategic Studies, 1981, England, pp. 8-9 .

See also, Emile A. Nakhleh, Arab - American Relations in the Persian Gulf, 1975, U.S.A., pp. 32-33.

١٨- Robert G. Darius, Gulf Security into the 1980s, Slonford Uni-



versity, California, U.S.A., 1984, p. 121.

١٩- H. Richard Sindelar and J. E. Peterson, crosscurents in the Gulf, London and New York, 1988, pp. 95-98 .

٢٠- التميمي، مرجع سابق.

٢١- S. chubin and C. T, pp. Iran and Iraq at War, London, 1988, pp. 152-155.

٢٢- التميمي، مرجع سابق.

٢٣- نفس المرجع السابق وراجع أيضا:

-A. H. T Chisholm, the First Kuwait Oil Cancession, London, 1973, p. 186.

٢٤- التميمي، المرجع نفسه وحول إقتصاديات المنطقة راجع:

Rodney Wilson, the Economies of the Middle East, London, 1979, p. 72-79..

٢٥- د. جمال زكريا قاسم، أزمة العلاقات الكويتية العراقية في عهد الملك غازى ، بحث مقدم لندوة العدوان العراقي على الكويت، قسم التاريخ ومجلة العلوم الإنسانية ، الكويت ، ٢-٤ مارس ١٩٩٢ ، ص ٨.

٢٦- د. عبد المالك التميمي، الخليج العربي والمغرب العربي ، الكويت وقبرص ، ١٩٨٦ ، ص ١٥٢-١٥٣ .

٢٧- المرجع نفسه.



٢٨- المرجع نفسه.

٢٩- المرجع نفسه

٣٠- دكتور عبد الله محارب، مرجع سابق.

٣١- وليد الأعظمي، الكويت في الوثائق البريطانية ، ١٧٥٢-١٩٦٠ ، المصدر السابق ، ص ١٣٨ -١٣٩، وراجع أيضا.

R/15/5/140 Appandix, Dataed 25 Gun. 1932 See also, R/15/5/135 to 139 dated 1930 to 1940.

I.O.R.R/15/5/160 Kuwait's Water supply, 1932-42 See R/15/1/511, 13 No. 1912

F. O. No. 371-127938. Oct. 1957. London.

حول موضوع المياه أنظر أيضا : هـ.ر. ديكسون ، الكويت وجاراتها ، الجزء الثاني، القسم الثالث ، الكويت ١٩٦٤ .

٣٢- اليقين لا السراب، المركز الوطني الكويتي للوثائق والدراسات ، جريدة صوت الكويت ، ١٢ يوليو ١٩٩٢ ، الكويت .

٣٣- وراجع أيضا جاسم السعدون ، التقرير السنوي الاقتصادي ، مكتب الشال ، ٩٠/٩١ ، الكويت جريدة القبس ٢/٢/١٩٩٢ .

٣٤- وراجع أيضا د. عبدالله محارب ، تعقيب في المرجع نفسه ص ص ٧٧ ومابعدها.

الفصل الثالث

سياسة دولة الامارات العربية المتحدة تجاه الخليج

توطدت الصداقة وحسن الجوار بين دول الامارات العربية المتحدة مع شقيقاتها من دول الخليج العربى . ذلك أن ابناء هذه المنطقة هم أخوة من أصل واحد. لغتهم واحدة ودينهم واحد. والأرض التى عاشوا عليها منذ آلاف السنين واحدة. وجمعهم التاريخ فى صف واحد أمام الغزاة والطامعين وفى مواجهة المحن (١) . لذا، فان التعاون والتضامن بين دول الخليج هو حتمية قومية. وحول أهمية هذا التعاون يقول الشيخ زايد فى موتمر صحفى عالمى يوم ٢٧ مايو ١٩٨١ «ان تعاون دول الخليج هو دعم للأمة العربية بأسرها، وللجامعة العربية بشكل خاص. وهو دعم وقوة سارى المفعول لهذه الأمة. كما أنه يعزز ويدعم الروابط مع الأصدقاء » (٢) .

ويرى خالد بن محمد القاسمى(٣) أن أول عمل تضامنى خليجى هو تأسيس مجلس التعاون لدول الخليج العربية عام ١٩٨١ ، والذى حدد الشيخ زايد أهدافه ومبررات قيامه بالقول «اننا فى الخليج العربى أسرة واحدة متعاضدة متكاتفة، تسير بخطي ثابتة واضحة على طريق الوحدة كجزء من وحدة عربية اشمل. وما مجلس التعاون إلا دليل قاطع على تصميم قادة وابناء الخليج العربى على تحقيق الأهداف النبيلة، تصبو إليها الأمة العربية فى جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية ».

ويرى القاسمي (٤) انه كان لدولة الامارات ، فى ظل قيادة الشيخ زايد ، مواقف تميزت بدبلوماسية هادئة . ومن هذه القضايا :

أولا: المشكلات الحدودية:

عندما خرجت بريطانيا من منطقة الخليج، تركت وراءها جملة من المشكلات الحدودية بين مختلف دول الخليج ، بعد أن مارست معها سياسة «فرق تسد». ازاء ذلك لم تأل دولة الامارات أى جهد فى حل هذه النزاعات، بهدف ارساء التعاون والتضامن والتقارب الخليجي . ومن أهم هذه المشكلات:

أ- النزاعات الحدودية بين الامارات الاعضاء فى الاتحاد: وهى تعد من أهم القضايا الموروثة التى واجهتها الدولة الاتحادية. وقد بذلت الدولة، وعلى رأسها الشيخ زايد، جهودا حيثية لإزالة هذه العقبات. وقد وصف الشيخ زايد مشكلة الحدود، عام ١٩٧٦ ، قائلا: «أمضيت أسبوعا كاملا متنقلا من امارة إى امارة ومن حاكم إلى حاكم فى سبيل حل مشاكل تافهة على الحدود بين الامارات . . . وياليت هذه الخلافات قائمة على مئات الأميال أو الكيلومترات، وإنما هى مشاكل تافهة لا تتعدى الخلاف على عشرات الأمار . . . نعم عشرات الأمتار، وأقولها بكل أسف ومرارة » (٥) .

ب – نزاعات الحدود بين الامارات وعمان: أن خط الحدود بين دولة الاتحاد وسلطنة عمان يكاد يكون معدوما، بدليل أن الزائر لتلك المناطق الحدودية يكتشف تداخلا عجيبا وغريبا فى الأراضى التابعة للبلدين . فعندما يخرج من عمان ويدخل دولة الاتحاد، يفاجأ بأراض عمانية ومخفر عماني وعلم عمانى داخل أراضى دولة الاتحاد. وبامكان الزائر لمدينة العين التابعة لدولة الاتحاد أن يسير مسافة ربع ساعة بواسطة السيارة ليجد نفسه داخل أراض عمانية ليس فيها غير العمانيين المزارعين والوالى ، ولا وجود فيها لنقطة حدودية أو مخفر للشرطة أو الجيش (٦) . هذا إضافة إلى التداخل الحدودى بين رأس الخيمة وعمان.

وأثر جهود واتصالات مكثفة أجريت فى شهر ابريل ١٩٨١، تم انهاء الخلاف الحدودى بين البلدين ، ووضعت الاتفاقية النفطية انهاء الخلاف الحدودى الطويل بين عمان ورأس الخيمة . وقد نصت الاتفاقية على أنه تم الاتفاق بين سلطنة عمان ودولة الامارات العربية المتحدة على اعتماد أسس محددة لإعادة تخطيط الحدود بين سلطنة عمان وامارة رأس الخيمة تحسم بصورة نهائية النزاع الحدودى بينهما حيث أبدى الجانبان يحدهما صادق الاخوة وروح التسامح رغبتهما فى كل ما من شأنه التعجيل بالاتفاق والوصول الي حل يحفظ الروابط التاريخية بين البلدين الشقيقين وتوثيق عري الصداقة والتعاون بينهما .

من ناحية أخرى ، كان للجهود التى قام بها صاحب السمو الشيخ راشد بن سعيد المكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء السابق وزيارته للسلطان قابوس بن سعيد الاثر الفعال فى ارساء أسس الاتفاق بما يضمن مصالح البلدين الشقيقين ويعزز العلاقات فيما بينهما فى وقت كانت تحتم ظروف المنطقة توحيد الكلمة ومواجهة مايحيط بها من أخطار .

ج - نزاعات الحدود بين الامارات والمملكة العربية السعودية : وخصوصا حول منطقة البوريمى. مع قيام دولة الاتحاد، تكثفت الجهود لحل هذا النزاع وعام ١٩٧٥ ، قام الشيخ زايد بزيارة للمملكة العربية السعودية ووقع خلالها اتفاقية الحدود التى نصت على تأليف لجنة مشتركة مكونة من وزير النفط السعودى ونظيره الاماراتى، لوضع حدود رسمية مشتركة بين البلدين بطريقة أخوية (٧) فهذه الروح الأخوية هى الموجه للسياسة الخارجية لدولة الامارات على مستوى منطقة الخليج .

د - النزاع مع إيران حول قضية الجزر العربية الثلاث : أبو موسى ، طنب الكبرى وطنب الصغرى :

فى الأول من نوفمبر ١٩٧١ ، وقبل الأنسحاب البريطانى من الخليج بيوم واحد، قامت القوات الإيرانية باحتلالا عسكرى لجزيرتى طنب الكبرى وطنب الصغرى كما دخلت قواتها العسكرية إلى جزء من جزيرة أبو موسى بموجب مذكرة ترتيبات تمت، تحت أشراف بريطانى ، بين امارة الشارقة وإيران.

وعقب ذلك راحت إيران تعزز وجودها السياسى والعسكرى فى الجزر الثلاث، بينما عمدت دولة الامارات إلى تكثيف جهودها الدبلوماسية لحل مشكلة الجزر بالطرق السلمية . وعام ١٩٩٢ ، قامت إيران بطرد كل المواطنين العرب من جزيرة أبو موسى ، فتم لها بذلك الاحتلال لكامل الجزر العربية الثلاث.

وأعقب هذه التطورات تبلور موقف دولة الإمارات على النحو الآتى:

أولا: فى مواجهة التعنت الايرانى الرافض كليا لإعادة الجزر العربية إلى أصحابها الشرعيين ، تميز الموقف الاماراتى بالاتزان والهدوء والاناة وطول النفس . فلا انفعال ولا تحدى ، بل رؤية موضوعية للأمور تنطلق من حتمية وجود إيران كأمر واقع. وعليه، فأن العداء والصراعات بين الدولتين ستجر الويلات إلى منطقة الخليج . فلا بد إذا من حل القضية بالأساليب السلمية والدبلوماسية، انطلاقا من علاقات حسن الجوار والانتماء إلى الدين الإسلامى الواحد والمصير الخليجى المشترك. كما دولة الامارات تدعو إيران باستمرار إلى تحكيم العقل والضمير والدين، والتجاوب مع دعوات دولة الامارات المتكررة لإجراء الحوارات المستمرة والسلمية بالنسبة لقضية الجزر .

ثانياً: وفى جلسة افتتاح المجلس الوطنى الاتحادى (١٩٩٣) ، أوضح رئيس الدولة هذه السياسة بالقول: «أن الامارات تعتبر احتلال إيران لجزرها الثلاث طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى وعدم التزامها بما جاء فى

مذكرة التفاهم حول جزيرة أبو موسى يمثل انتهاكا لسيادة ووحدة أراضى دولة الامارات العربية المتحدة وزعزعة للأمن والاستقرار فى المنطقة، كما يمثل اخلالا بالرغبة المعلنة فى تطوير العلاقات بين البلدين وتعارضا مع المبادىء التى تقوم عليها العلاقات بين الدول. واننا نؤكد أن تطوير علاقات الصداقة والتعاون بين البلدين يرتبط بتعزيز الثقة وبما تتخذه الجمهورية الإسلامية الايرانية من اجراءات تنسجم مع التزامها بمبادىء القانون الدولى والمواثيق الدولية واحترامها لسيادة وحدة أراضى دولة الامارات العربية المتحدة ولمبدأ عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى. ان دولة الامارات أعربت مرارا عن رغبتها فى حل هذه المشكلة بالطرق السلمية وتؤكد عزمها على اتخاذ ومتابعة كافة الاجراءات السلمية الكفيلة باستعادة سيادتها على جزرها الثلاث بموجب مبادىء وميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولى وكتاب الله وسنة رسوله الكريم »

ثالثاً: اتبعت دولة الامارات ازاء قضية الجزر الخطوات التالية :

١- الدعوة المستمرة للحوار المباشر والتفاوض الثنائى بين الدولتين الجارتين.

٢- عرض القضية فى اللقاءات المنفردة مع قادة بعض الدول الشقيقة والصديقة وممثليها الدبلوماسيين، ممن تربطهم علاقات ودية مع إيران بهدف اجراء الوساطة والمساعى الحميدة لحل المشكلة بالطريقة السلمية .

٣- عرض القضية على المنظمات العربية والدولية مثل مجلس التعاون وجامعة الدول العربية وهيئة الأمم المتحدة ومؤتمر عدم الانحياز . . . وحثها على استخدام نفوذها للضغط على ايران لأجراء مفاوضات سلمية حول قضية الجزر .

٤- استمرار العلاقات السياسية والاقتصادية والتجارية مع الجارة المسلمة إيران ، رغم اطلاقها التهديدات ضد جيرانها.

٥- حشد التأييد الدولى الواسع لموقف الامارات فى توجهها السلمى لحل القضية بواسطة التحكيم الدولى (٨) .

ولقد لاقت هذه السياسة الحكيمة التأييد والاحترام من قبل معظم الدول العربية والغربية .

ثانياً: الحرب العراقية - الايرانية :

أن ثوابت السياسة الخارجية تجاه الحرب العراقية - الايرانية أنها بمثابة استنزاف للطاقات البشرية والمادية والعسكرية العربية والإسلامية التى كان ينبغى توظيفها لمواجهة العدو الإسرائيلى ودعم القضية الفلسطينية وتأسيسا على ذلك لم تأل دولة الامارات جهدا فى السعي للتوصل إلى تسوية ترضى الطرفين المتنازعين في هذه الحرب ووضع حد لها، فهى لم تقف إلى جانب العراق لأنه بلد عربى ، ولا إلى جانب إيران لأنها ترتبط معها بروابط العقيدة الإسلامية (٩) ، بل اتبعت فى ذلك سياسة متوازنة فجاء تحركها الدبلوماسى يتم على كافة المستويات اقليميا وعربيا ودوليا من هذا المنظور.

وتجدر الأشارة أن فى افتتاح دورة الانعقاد الثانى من الفصل التشريعى الخامس للمجلس الوطنى الاتحادى المنعقد بتاريخ ٢١ ديسمبر ١٩٨٢ ، حدد الشيخ زايد مسار السياسة الخارجية الاماراتية حول الحرب العراقية - الايرانية بالقول: «ان دولة الامارات لا تدخر وسعا فى سبيل العمل على إيقاف الحرب المؤسفة بين العراق وإيران وتأييد كافة الجهود المبذولة لإحلال السلام من جديد بين الجارتين العزيزتين. وذلك أن استمرار هذه الحرب

خطيئة كبرى وأمر مؤلم لنفس كل عربى وكل مسلم. لأن الجهات المعادية للعروبة والإسلام هى وحدها التى تستفيد من اهدار وتدمير الطاقات العربية والإسلامية. وما كان زحوجنا أن نحافظ على هذه الطاقات والأرواح والأموال، ونتخذ منها عدة وعتاداً لمواجهة العدو المشترك » (١٠) .

وفى تصريح أخر للشيخ زايد قال «ان إيران جارة وقريبة لنا وتربطنا بها علاقات تعاون مفيدة وطيبة. ولم يكن هناك مايعكر من صفو العلاقات بيننا حتى وقعت الحرب بين العراق وإيران والتى الحقت بالبلدين خسارة كبرى إلى جانب تأثيرها على دول المنطقة. ولم نكن نتمنى أبدا أن تقع حرب بين دولتين جارتين مسلمتين يكون فيها غالب ومغلوب بل نتمنى أن تكون بينهما روابط أخوية وودية تعود بالنفع عليهما. وما قدرنا الله أن نبذله من مساعى الخير القائمة على المنطق والحوار والتفاهم بالحسنى قمنا به ولازلنا مستعدين لتقديم كل عون ومساندة من أجل تحقيق السلام والاستقرار بين العراق وايران، فايران دولة مسلمة وجارة ، وضعفها هو ضعف جيرانها وقوتها القائمة على الصواب هى مفيدة لجيرانها وأخواتها فى الإسلام، ولن ندخر شيئا يصلح بين البلدين إلا وسنقوم به (١١) .

وقد حملت دولة الامارات ملف هذه الحرب إلى كافة المحافل العربية والدولية ، خصوصا الأمم المتحدة، وحذرت من عواقبها الوخيمة، ودعت الدول والمنظمات الدولية إلى التحرك لوقف النزف وتحقيق الأمن والسلام فى منطقة الخليج لأنه جزء من السلام العالمى .

ثالثاً: الغزو العراقى وتحرير الكويت:

وتجدر الاشارة أنه اثناء الغزو العراقى للكويت فى الثانى من اغسطس ١٩٩٠ ، كانت دولة الامارات تشارك فى أعمال مؤتمر وزراء الخارجية للدول

الإسلامية المنعقد فى القاهرة. فكان أن اشتركت بفعالية مع شقيقاتها أعضاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية، وكذلك الدول العربية والإسلامية فى إصدار أدانة صريحة للغزو ومطالبة العراق بسحب جيشه من الكويت. ولم تكتف بذلك، بل أنها أيدت وشاركت بفعالية فى الاجتماعات الطارئة التى عقدها المندوبون العرب الذين كانوا يحضرون اجتماعات المؤتمر الإسلامى. وعقدت الجامعة العربية فى الثانى والثالث من اغسطس اجتماعاتها وأدانت الغزو العراقى، وأيدت الاقتراح بعقد اجتماع مصغر يضم العراق والكويت والسعودية وبعض الدول العربية الأخرى لحل الأزمة وتفاقمت الأمور بعد رفض العراق ومن معه من الأراف العربية مقررات الجامعة العربية مما أدى إلى انعقاد القمة العربية الطارئة فى القاهرة يومى ٩ و ١٠ اغسطس. ووقفت الامارات مع الدول التى أدانت العدوان العراقى على الكويت ووافقت على ماقررته القمة من منح دول الخليج الحق فى الاستعانة بقوات من الدول الشقيقة والصديقة للدفاع عن نفسها. ولما تأزم الموقف أكثر بفعل التصلب العراقى وتعاظم احتمالات المواجهة فى الخليج، أعلنت الامارات العربية المتحدة فى التاسع عشر من أغسطس على لسان مصدر مسؤول فى وزارة الخارجية أنها وافقت على استقبال بعض القوات العربية والصديقة، وذلك تمشيا مع قرارات القمة العربية الطارئة وقرارات مجلس الأمن (١٣) .

وقد بذلت دولة الامارات ، بالتعاون مع شقيقاتها الدول العربية وعبر الجامعة العربية جهودا مكثفة بهدف تجنيب منطقة الخليج العربى مخاطر استفحال هذه الحرب المدمرة. غير أن استمرار النظام العراقى فى عدوانه احبط كل المساعى المخلصة . فكانت دعوة المجتمع الدولى إلى العمل بشكل حازم وسريع لانهاء الاحتلال العراقى للكويت بغية تجنيب المنطقة كارثة غير

محمودة النتائج. لكن العراق لم يستجب للنداءات والقرارات الدولية القاضية بالأنسحاب من الكويت. فكانت حرب الخليج التى أسفرت عن آثار مدمرة، ليس على مستوى منطقة الخليج فحسب ، بل على مستوى العالم بأسره (١٤) وهذا ما أكده الشيخ زايد فى تصريح أدلى به لمجلة (لوموند) الفرنسية حيث قال: «ان آثار حرب الخليج لم تقتصر على منطقة الخليج ولكنها امتدت الي جميع أنحاء العالم وانعكست آثارها أكثر فأكثر على من تسبب فيها. فالذى بدأ بالحرب هو الذى يتعثر الآن ويعيش فى الرمل ويدفع ثمن ما ارتكبه بالأمس(١٥)

ورغم كل ذلك ، بقيت دولة الامارات حريصة على وحدة العراق وسلامة أراضيه وحملت النظام العراقى مسئولية إعتدائه على التراب الوطنى الكويتى وفى هذا السياق، دعا الشيخ زايد إلى التمييز بين الشعب العراقى ونظامه المستبد.

وكانت لدولة الامارات مواقف مشرفة تجاه دولة الكويت وشعبها ويقول محمد سعود زين سفير دولة الكويت فى دولة الامارات العربية المتحدة :«حققت دولة الامارات وقفتها الواضحة الجليلة مع دولة الكويت اثناء العدوان العراقى الغاشم. فقد وقفت إلى جانب الحق الكويتى وشجبت العدوان، وذلك منذ الأسبوع الأول للغزو. ليس هذا فقط، وانما استقبلت ابناء الكويت وقدمت لهم الكثير من الخدمات والتسهيلات المطلوبة. ولا ننسى أبدا أوامر صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة بأن يعامل ابناء الكويت نفس معاملة ابناء الامارات فى جميع المجالات».

وفى هذا السياق وفرت دولة الإمارات لابناء الكويت خلال تواجدهم على أرض الامارات كل الرعاية وفي جميع المجالات. الأمر الذي كان له أطيب الأثر

في التخفيف عنهم مما أصابهم. وتشكلت لجنة لاستضافة مواطنى دولة الكويت برئاسة سمو الشيخ حمدان بن زايد آل نهيان وزير الدولة للشؤون الخارجية ووفرت لهم المساكن الدائمة وقدمت لهم الخدمات الاجتماعية والتعليمية والمادية وذلك بالتعاون مع جمعية الهلال الأحمر بدولة الامارات. ولا ننسى أبدا دور المرأة فى دولة الامارات بحيث لعبت دوراً بارزاً وهاما اثناء الأزمة ، اتضح ذلك جليا فى جهود الاتحاد السنائى وجمعية نهضة المرأة الظبيانية بفروعها المختلفة. وكان لسمو الشيخة فاطمة بنت مبارك قرينة رئيس الدولة رئيس الاتحاد النسائى العام دور هام فى تقديم الكثير من الخدمات والرعاية الاجتماعية للمواطنات الكويتيات خلال تواجدهن في الامارات.

كما كان لسائر أجهزة الدولة ومؤسساتها الاجتماعية وجمعياتها الخيرية دور كبير فى تقديم العون والمساعدة لأخوانهم ابناء الكويت خلال تلك المحنة.

ولم تقتصر المؤازرة التي قدمتها الدولة على تقديم العون والمساعدة فقط، بل قدمت الكثير فى المجال الدبلوماسي والسياسى، بل أيضا في المجال العسكرى حيث امتزجت دماء الشهداء من دولة الامارات بدماء اخوانهم شهداء الكويت على أرض الكويت حتي تم التحرير من النظام العراقى الغاشم» (١٦) .

وأثر تحرير الكويت، دعت دولة الامارات إلى التضامن العربى والتسامح وإلى اقامة نظام دولى جديد عادل ومتوازن يأخذ بعين الاعتبار مصالح الدول الصغيرة النامية بهدف أرساء نوع من التكامل الدولى . وأعلن راشد عبدالله وزير الدولة للشئون الخارجية أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة أن بلاده تؤيد تشكيل هيئة دولية تتولى بالتعاون مع لجنة مجلس الأمن تنفيذ القرار ٦٦١ لعام ١٩٩٠ لدراسة الاضرار الاقتصادية التى خلفتها أزمة الخليج وتكوين صندوق

التبرعات تساهم فيه جميع الدول من أجل إعانة الدول المتضررة، وأنها على استعداد تام لتحمل مسؤولياتها والمشاركة فى هذا الجهد لتجنيب العالم كارثة اقتصادية حيث لم يكن ممكنا تجنب الكارثة السياسية. وقد خصصت دولة الامارات مبلغ بليون دولار كمساهمة منها فى الجهود الهادفة إلى تخفيض اعباء المعاناة المترتبة على دول العالم الثالث من جراء أزمة الخليج وتطبيق القرار رقم ٦٦١ (١٧) .

وبصدد أمن الخليج من وجهة نظر الامارات فقد عبر الشيخ زايد قائلا: «اننا ندرك بان الأمن لا يتجزأ ولا ينبغى أن يتجزأ، لأنه السياج الذى يحمي الدولة ويصون منجزاتها، وبه تتعلق الآمال لتوفير الحياة الآمنة المستقرة للوطن والمواطنين».

أزاء التهديدات الدولية العديدة التى يتعرض لها الوطن العربى عموماً ومنطقة الخليج خصوصا، انطلقت دولة الامارات من مبدأ أن أمن الخليج جزء من الأمن القومى العربى وأنه من مسؤولية دول المنطقة. وبصدد ذلك يقول وزير خارجية دولة الامارات: «ان الحفاظ على أمن منطقة الخليج مسؤولية تتحملها دول المنطقة نفسها، وهناك عدة عوامل أساسية للحفاظ على أمن المنطقة وفى مقدمتها الاستقرار السياسى لدول المنطقة وتكاتفها وتنسيق سياساتها ومواقفها وإنهاء مشاكلها مع بعضها البعض . اننا نحرص على مصالح العالم واحتياجاته فى نطاق السياسة البترولية المتفق عليها بين الدول المنتجة للنفط وفى اطار مفاهيم دول العالم الثالث المنتجة للمواد الأولية. وعلينا أن نأخذ نصيبنا من التقدم، وان نعوض سنوات الحرمان والتخلف الذى فرضه علينا العالم الصناعى، وإن نستخدم ثرواتنا لحل كل مشاكلنا بما فيها مشاكلنا السياسية التى خلفها لنا هذا العالم الصناعى .

. ومن الثابت أن هذا القول يختصر مفهوم دولة الامارات لأمن الخليج. إذ يؤكد صاحب السمو رئيس الدولة «إن مفهومنا لأمن الخليج هو أن تتحرك دول الخليج لتعيش بأمن واستقرار، دون الاستعانة بقوى خارجية ودون تدخل الدول الكبرى أو غيرها لتحديد مصير هذه المنطقة، ودون أن ينظر إلى هذه المنطقة على أنها منطقة نفوذ لأى دولة وان أمن الخليج مسؤولية دول هذه المنطقة وشعوبها، وأن هذه الدول قادرة على تأمين ذلك. ولعل أهم عنصر من عناصر توفير الأمن لمنطقة الخليج، هذه المنطقة المهمة جدا والحيوية للعالم ولاقتصاده هو أن تبقى بعيدة من صراع القوتين العظميين والتى كانت تحاول السطرة على هذه المنطقة الحيوية بالنسبة لها، وأن تظل بعيدا عن أجواء المواجهة التى تؤدى إلى تعكير أمن هذه المنطقة واستقرارها» .

وعموما فقد، تحدد موقف دولة الامارات من أمن الخليج بضمان حرية الملاحة فى مياه الخليج وتجنيب المحيط الهندى وبحر العرب الدخول فى محاور الصراع الدولي . فى ذلك يقول الشيخ زايد: «ان منطقة المحيط الهندى وبحر العرب أصبحت فى الأونة الأخيرة تشهد تواجداً عسكرياً متزايداً للدول الكبرى المتنافسة من أجل مناطق النفوذ بسبب أهميتها الاقتصادية والاستراتيجية . الأمر الذى يعرض أمن المنطقة وسلامتها للخطر الشدد. واننا كدولة تطل على هذا المحيط نشعر بقلق عميق ازاء التصاعد والتوتر المستمر بالمنطقة، ونؤيد جميع القرارات الدولية والاقليمية لإبعاد هذه المنطقة عن الصراع بين الدول الكبرى واعلان المحيط الهندى منطقة سلام » (١٨)



الهوامش :

١- اعتمدنا فى هذا الجزء على خالد محمد القاسمى ، التاريخ الحديث والمعاصر لدولة الامارات العربية المتحدة ، المكتب الجامعى الحديث ١٩٩٩ ص ص ٤٧٥ - ٤٨٥.

٢- خالد بن محمد القاسمى زايد الزعيم، دار الثقافة العربية، الشارقة ، الطبعة الأولي، ١٩٩٣ ، ص ٣٢.

٣- خالد بن محمد القاسمى نقلا عن ناجي صادق شراب: دولة الامارات العربية المتحدة، دراسة فى السياسة والحكم ، دار الكتاب الجامعى، العيمن ، ١٩٨٧ ، ص ١٥٨ .

٤- جريدة اليقظة ، الكويت ، تاريخ ١٩٧٦/١٢/٢٧ .

٥- جريدة الشرق الأوسط ، لندن ، تاريخ ١٩٨١/٤/٣ .

٦- جريدة الخليج ، تاريخ ١٩٨٦/٨/٢ .

٧- سالم مشكور: نزاعات الحدود فى الخليج ، معضلة السيادة والشرعية، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت ، ١٩٩٣ ، ص ١٣١.

٨- مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، الجزء الرابع، دار رواد النهضة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، ١٩٩٥ ، ص ١٥٣ .

٩- وكالة الانباء الكويتية (كونا): المساعى الحميدة لوقف الحرب العراقية - الايرانية، ملف الابحاث (٢٧) ، ارس ١٩٨٤، ص ٣.

١٠- ديوان الرئاسة زايد الأمل والعمل ، أبو ظبى ، ١٩٨٩ ، ص ١١٧ .

١١- وزارة الاعلام والثقافة : زايد مع رجال الاعلام فى قضايا الساعة ، مؤسسة الاتحاد للطباعة والنشر، أبو ظبى ، ١٩٨٩ ، ص ٦٧ .

١٢- جريدة الاتحاد ، العدد ٥٩٥٨ ، تاريخ ٣/١٢/١٩٩١ .

١٣- جريدة الخليج ، تاريخ ٥/١٠/١٩٩٠

١٤- جريدة الخليج ، تاريخ ٢/١٢/١٩٩٦.

١٥- مجلة درة الامارات ، العدد ١٤ ، ديسمبر ١٩٩١.

١٦- جريدة الخليج ، تاريخ ٥/١٠/١٩٩٠ .

١٧- إسماعيل صبرى مقلد: أمن الخليج وتحديات الصراع الدولى ، الربيعان النشر والتوزيع ، الكويت ، ١٩٨٤ ، ص ٤٥ .

١٨- جريدة الشرق الأوسط: لندن ، تاريخ ٢١/٥/١٩٨١ .

١٩- من خطاب سموه فى قمة عدم الانحياز التى عقدت بالهند فى مارس ١٩٨٣.

الفصل الرابع

الموقف السعودى تجاه الأزمات الخليجية المعاصرة

سبقت الاشارة أن منطقة الخليج العربى تمثل عمقا استراتيجياً مصيرياً بالنسبة للمملكة العربية السعودية نظرا لإرتباط تلك المنطقة والتصاقها بشتى مقومات حياتها ووجودها ومصيرها ، وقد سعت من ناحية لتطوير وتحديث قدراتها الدفاعية ومن ناحية أخرى سعت المملكة إلى توثيق مجالات التعاون والدفاع مع دول الخليج العربية لمواجهة شتى الأخطار الإقليمية والدولية المشتركة (١) . ومن هنا تاتى السياسات السعودية إزاء منطقة الخليج العربى إنطلاقا من ذلك الإرتباط الاستراتيجي والمصيرى للمملكة بدول الخليج العربى والتى ترتكز على قرائن أهمها :

أولا: حق الجوار والقربى واللغة والدم والمصير الواحد ، وضمان الأمن والسلام فى المنطقة وترتكز المملكة فى ذلك إلى كونها دولة الجوار القوية والظهير لإمارات الخليج ضد تطلعات القوى الإقليمية والدولية وتأسيسا على ذلك فإن المملكة تمتلك قوات مسلحة لديها اسلحة متطورة وذات تدريب وكفاءه عسكريه قتالية عاليه .

كما تتبنى سياسة دفاعية وقائيه هناك تقوم استراتيجيتها علي الحفاظ على شخصيه الدوله السعوديه وكيانها والمحافظه على استقلالها وتأمين حدودها بالتعاون مع بقية دول الخليج العربى وهو مايبرز من ثنايا تنمية ودعم التعاون العسكرى فى سياق مجلس التعاون انطلاقا من ثوابت بان تنمية القوة العسكرية الذاتية هى السبيل الفعال للتصدى لاي تهديدات ويفسر ذلك اتفاق دول مجلس التعاون على العمل معا من أجل تحقيق تعاون عسكرى أفضل من

خلال قوة عسكرية للدول أعضاء المجلس تمثلت فى قوة درع الجزيرةالجوية المشتركة التى اعتمدت «صقر الجزيرة» وفى هذا السياق أيضا تلجأ المملكة إلى تعدد مصادر السلاح طبقا لتكنولوجيا وامكانيات الدولة المصنعة وتأثير ذلك على اسلوب الاستخدام المثال وبالتالى شكل وتنظيم القوات المسلحة السعودية وارتفاع كفاءة المستوى التعليمى والصحى للوعاء التطوعى فى الجيش والحرس الوطنى .

وتأسيسا على ذلك فقد قامت المملكة بدور ملموس فى انشاء المجلس وفى مرحلة حاسمة من مراحل الحرب الباردة بين القطبين وخاصة بعد نجاح الرئيس الأمريكي الاسبق ريجان وإتخاذه نهجاً متشدداً مع الاتحاد السوفيتى السابق ، ذلك إلى جانب دوافع إقليمية تمثلت فى قيام الحرب العراقية الإيرانية ، ومن ثم جاءت المطالبة بإيجاد شكل من أشكال الوحدة الخليجية خاصة فى مجال الأمن والدفاع ، ولذلك كله نشطت المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى قيام حلف أمنى للدول النفطية الخليجية وذلك حسبما تردد في الصحافة الخليجية فى أغسطس سنة ١٩٧٩م ، وفى النصف الثانى من عام ١٩٨٠م إزدادت كثافة التحرك السعودى النشط في هذا الاتجاه في نوفمبر وديسمبر سنه ١٩٨٠م وبادر الأمير نايف ابن عبد العزيز وزير الداخلية السعودى إلى القيام بجولة في كل من الكويت ودولة الإمارات العربية المتحدة وقطر وعمان والبحرين فى نوفمبر سنه ١٩٨٠م لمناقشة المقترحات السعودية حول أمن الخليج ومن ناحية أخرى قام الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودى بجولات في دول الخليج حول ترتيبات التعاون والأمن فى دول الخليج العربى(٢) .

وتجدر الاشارة إلى أن المملكة العربية السعودية كانت أكثر دول الخليج ثباتاً فى موقفها(وإلى جانبها الكويت) فى الإسراع لتوحيد موقف دول الخليج

من التحديات الماثلة أمامهم بإنشاء منظمة خليجية والدعوة إلى توحيد مصادر السلاح إلى دول الخليج حتى يصبح التدريب والإستيعاب سهلا، كما طالب المشروع السعودى بإقامة تعاون واسع النطاق بين قوات الأمن الداخلى فى الدول المعنية بدلا من إنشاء حلف عسكري كما استبعدت المخالفات العسكرية تماما مع الدول الأجنبية حيث عملت المملكة على تعزيز قدرتها العسكرية بكل الوسائل الدفاعية الحديثة والمتطورة .

جاءت أزمة الخليج (الغزو العراقى لدولة الكويت) لكى تبرز مدى أهمية وجود شكل من الوحدة والتنسيق العسكرى الكامل بين دول مجلس التعاون الخليجى ، فقد أظهرت تلك الأزمة وجود قصور فى النظام الأمنى لدول الخليج العربى حيث كان قاصرا على نطاقات ضيقة وعلى الرغم من مساهمات المملكة العربية السعودية الضخمة حتى فى مساعدات بعض بلدان مجلس التعاون لتدعيم دفاعاتها العسكرية . وقد اتجهت دول المجلس فى اجتماعاتها عقب أزمة الخليج إلى إيجاد صيغة لتحقيق أمن دول المجلس فى مواجهة التحديدات الإقليمية والدولية .

وفى هذا السياق يقول خادم الحرمين الشريفين الملك فهد «لقد وفقنا الله أن ننشيء مع أشقائنا فى الخليج داخل دائرة الجامعة العربية دائرة قوية فعالة هى مجلس التعاون لدول الخليج العربية ليكون نموذجاً لما يجب أن يكون عليه مستوى التعاون بين الأشقاء العرب ليصبح دعامة تقوى من جامعة الدول العربية ودرعاً للعرب يصد الأذى ويعمق الأواصر» (٣) .

وقد قامت المملكة ممثلة فى مجلس التعاون الخليجى بالتوسط فى النزاع بين قطر والبحرين حول (جزيرة حوار) حيث أجرت اتصالات مكثفة مع الدولتين الشقيقتين علي أعلى المستويات في إطار مساعيها الحميدة والتى

توازت مع جهود الأمين العام لمجلس التعاون الخليجى ، كما أعربت فى نفس الوقت قطر هى الأخرى فى ١٩٨٦/٤/٣٠م عن أسفها للنزاع مع البحرين حول حدودهما البحرية وعبرت عن تقديرها لجهود الملك فهد واهتمامه بتسوية النزاع وبفضل الجهود المكثفة للمملكة العربية السعودية أمكن التوصل إلى اتفاق فى ١٩٨٦/٥/٢٠م بين قطر والبحرين لإنهاء النزاع وإعادة الأوضاع الى سابق عهدا .

وفيما يتعلق بالنزاع العراقى الإيرانى فإن النزاع العراقى الإيرانى له أبعاد تاريخية منذ قيام الدولة العراقية سنه ١٩٣٥م . وقد ورث العراق عن الدولة العثمانية حدودا تفصل بينه وبين إيران بنتيجة للحرب العالمية الأولى ، وتعتبر مشكلة شط العرب من أهم مشاكل الحدود بين العراق وإيران وهو مجرى مائى واسع يلتقى فيه ماء دجلة والفرات عند كرمه على ويجريان معاً ويكونان نهراً واحداً يصب فى الخليج العربى ويفصل بين العراق وإيران ولقد تنازلت الدولة العثمانية عن «المحمرة» وجزء من أراضيها الواقعة على الضفة اليسرى من شط العرب لمصلحة إيران (فارس) بمقتضى شط العرب خاضعا للدولة العثمانية حيث تأكدت السيادة العثمانية على شط العرب بموجب بروتوكول الأستانة سنة ١٩١٣م لتحديد الحدود بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية (إيران).

وقد توصل الطرفان إلى إتفاق عام ١٩٣٧م حول الحدود بينهما حيث اعترفت إيران بصحة الحدود فى عهد الدولة العثمانية وأدخلت تعديلا طفيفاً على خط الحدود فى شط العرب لحساب ايران حيث تنازلت العراق عن أربعة أميال فى شط العرب أمام عبدان وأعلنت إيران سنه ١٩٦٩م إلغاء هذه المعاهدة، وفى عام ١٩٧٥م وقعت إتفاقية بين الدولتين فى الجزائر حيث تنازل



العراق بموجب اتفاقية الجزائر عن مطالبه فى شط العرب الذى تضمن اتفاق الجزائر الموقع من صدام حسين نائب الرئيس العراقى آنذاك وشاه إيران محمد رضا بهلوى فى ١٣ يونيو ١٩٧٥م مع ثلاثة بروتوكولات إضافة إلى عدة ملاحق وقد أعلنته السلطات الجزائرية فى ٢٠ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٨٠م والمتضمن النقاط الأساسية لهذا الاتفاق الذى أكد على الطابع غير القابل للمساس والدائم والنهائى لرسم الحدود المائية والبرية بين إيران والعراق والذى يحدد بوضوح إجراءات التحكم فى حال نشوب أى نزاع بين البلدين وفيما يلى النقاط الأساسية المتمنة هذا الأتفاق :-

أولاً : القيام برسم الحدود البرية للبلدين فى شكل نهائي على أساس بروتوكول القسطنطينية فى العام ١٩١٣ ومحاضر لجنة رسم الحدود في العام ١٩١٤م مكانيا وجوب أن يكون الخط النهائى للحدود المائية على امتداد الخط المستقيم الذى يربط النقطتين الاكثر إنخفاضا بين ضفتى شط العرب عند مصبه.

ثانيا : وجوب رسم الحدود المائية وفق الخط الموازى للخط الأكثر عمقاً داخل القسم الصالح للملاحة فى شط العرب.

وبعد إندلاع الحرب العراقية الإيرانية أعلن العراق إلغاء تلك المعاهدة لأنه قبلها تحت ضغط القوة العسكرية الإيرانية فى عهد الشاه .

وبالنسبة لموقف المملكة العربية السعودية إزاء تلك الحرب فقد ساندت المملكة العراق لكى يقف فى وجه المطامع الإيرانية فى ذلك الوقت والتهديدات الإيرانية لمنطقة الخليج، ولقد تأيد التقارب السعودى العراقى بعزوف البعث العراقى عن سياسة التطرف حيث اعلن خادم الحرمين الشريفين عن ان دعم المملكة للعراق جاء حتى لا جتاح العراق من قبل ايران فقد عبر خادم الحريمن



الشريين عن ذلك بقول: «أعود وأكرر فأقول عندما قامت المملكة العربية السعودية بمساعدة العراق على إيران فلاننا ندرك أنها لن تنتصر على إيران ولكن للحفاظ على بقاء العراق ....» جاء ذلك في المؤتمر الصحفي الذى عقد في الرياض أثناء زيارة الرئيس المصرى حسنى مبارك للمملكة في ١٦ رجب ١٤١١هـ (٣٠ يناير ١٩٩١م) .

ويتلخص الموقف السعودى من حرب الخليج بالنسبة للمملكة في إلتزام الحياد العسكرى مع الإكتفاء بتقديم الدعم المعنوى والمادى للعراق حيث تتبع سياسة الحذر تجاه ايران ولا تقبل التنسيق والتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية إلا بشروط واضحة أقلها تأمين حرية الملاحة في الخليج والعمل الجدى على إنهاء الحرب..

وظل دعم المملكة العربية السعودية مستمرا للعراق حتى بعد لجوء العراق وإيران إلى إيقاف الحرب في أغسطس عام ١٩٨٨م (٤) . وظلت المملكة على عهدها بدعم العراق ماديا للوقوف على قدميه بعد حرب دامت ثمانى سنوات تكبد خلالها خسائر فادحة . فقد وقفت المملكة إلى جانب العراق في تعمير مادمرته الحرب وخاصة في مدينة البصرة العراقية .

وقد امتد هذا الدعم المادى إلى الإنفاق على تسليح العراق (٥) وفي مؤتمر القمة العربى في بغداد في مايو ١٩٩٠م ساهمت المملكة دبلوماسيا على مواصلة إقرار السلام الشامل والدائم بين العراق وإيران على أساس قرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ في ٢٠ يوليو ١٩٨٧م باعتباره خطة سلام شاملة واتفاق ١٩٨٨/٨/٨م بما يضمن حقوق العراق وسيادته على أراضيه وحقه التاريخى في السيادة على شط العرب وعدم التدخل في شئونه الداخلية بعد أن تعرض العراق أنذاك لحملة دعائية شعواء من قبل إسرائيل ومعظم الدول الأوروبية الغربية (٦) .

هذا ورغم كل ذلك التأييد من جانب المملكة العربية السعودية للعراق ماديا ودبلوماسيا بل وعسكريا وإعلاميا فإن العراق قد استخدم جيشه الذى أسهمت المملكة العربية السعودية فى بنائه بعد حرب الثمان سنوات في الإعتداء على دولجة الكويت وتهديد أمن المملكة .

وقد تبلور الدور السعودى تجاه الغزو العراقى للكويت فى هذا الغزو قد جاء ضربا للتضامن العربى والإسلامى بعد أن خطا ذلك التضامن خطوات واسعة فى الفترة الزخيرة فكان للمملكة أن تقف موقفا حازما ضد هذا الاعتداء ليس فقط لأنه ضرب للتضامن العربى والإسلامي وإنما لأن ذلك مناف للقيم الإسلامية .

فضلا عن أن غزو العراق لدولة الكويت جاء كضربة قاصمة للأمن القومى العربى والذى يعد أمن المملكة جزءاً لا يتجزء منه وتعريض المنطقة العربية بأسرها إلى التهديد والتربص وخاصة من الجانب الإسرائيلى .

بالاضافة إلى أن المملكة العربية السعودية ليس فقط تنتمى إلى مجلس التعاون الخليجى وإنما تنجز دور الدولة القائد فى هذا المجلس وبما يترتب على ذلك الحفاظ على مصداقيتها كدولة قائدة إزاء تعرض أمن أى دولة عضو فى المجلس للمخاطر (٧) .

وان فتح ملف الحدود فى النزاع العراقى الكويتى سيفتح خلافات الحدود بين دول الخليج كلها وخاصة بين السعودية واليمن وبين السعودية والعراق نفسها .

وبالنظر إلى المملكة العربية السعودية فى مقدمة الدول المصدرة للبترول ومن ثم لا تكون بعيدة عن النزاع العراقى الكويتى الذى كان أحد جوانبه أن الكويت تجاوزت حصص التصدير مما يفتح الباب أمام خلاف مع العراق (٨).



ومن الثابت أن غزو العراق لدولة الكويت قد أضر كثيراً بأمن دول الخليج العربى بل وبأمن المنطقة العربية بأسرها وأبرز القصور فى الأمن القومى العربى ، وعقب انتهاء الغزو وعودة دولة الكويت حرة وبعد اعلان العراق الالتزام بكل قرارات مجلس الأمن على أثر هزيمته من قوى الائتلاف الدولى خرجت عدة سيناريوهات لأمن منطقة الخليج العربى فى البداية إلا أن ذلك قد تبلور فى سيناريو سعودى خليجى إلى جانب انضمام أطراف عربية أخرى هي بالذات مصر وسوريا . ويأتى هذا السيناريو انطلاقا من مفهوم الأمن القومى العربى الشامل وتحديد أبعاد مفهوم دول مجلس التعاون الخليجى لأمن الخليج وعلاقاتهم مع القوى الاقليمية فى المنطقة (وبالذات ايران والعراق) ومع القوى الدولية الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية .

ولقد كانت بدايات ذلك التعاون الخليجى المصرى السورى فى اجتماع فى القاهرة فى منتصف فبراير ١٩٩١م الذى ضم وزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليج الست ووزير خارجية مصر وسوريا حيث أكدوا على القبول الحقيقى والفعلى لقرارات مجلس الأمن التى صدرت بشأن الغزو العراقى من بدايته إلى نهايته ، وحددت الدول المشاركة أربعة أهداف للنظام الأمنى الجديد فى مقدمتها حماية المنطقة من الغزو العسكرى والمحافظة على استقلال دول الخليج وحل كل النزاعات بالوسائل السلمية وتحت مظلة هذا التعاون والجامعة العربية مع تدعيم القدرات العسكرية القتالية والتقنية لتلك الدول والتوصل إلى ايجاد جهاز خاص مشترك يتولى اعداد الهيكل الأمنى المقترح مع مراعاة التوازن الاقليمى بين تلك الدول وتستند تلك الترتيبات إلى مبادىء وأهداف ميثاق الجامعة العربية ومعاهدة الدفاع العربى المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة، كما تلتزم هذه الترتيبات بأحكام ميثاق الأمم المتحدة وأمن

المنطقة واستقرارها كجزء لا يتجزأ من أمن العالم العربى واستقراره كما أن كل الترتيبات الشاملة التى سيتفق عليها مفتوحة لكل الدول العربية لتشارك فيها .

وقد مهدت هذه السيناروهات لاجتماع القاهرة الإشارة إليه تمهيداً لاعلان دمشق الذى وقع بالأحرف الأولى فى العاصمة السورية يوم السادس من مارس ١٩٩١م والذى وقعته الدول العربية الثمان (دول مجلس الخليج الست ومصر وسوريا) وضم هذا الاعلان تعاونا وتنسيقا بين هذه الدول العربية الثمان وصيغة هذا الاعلان منبثقة من ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة وهذا الاعلان قد تم فى ظروف وملابسات تاريخية وسياسية جعلت منه أعلاناً لا يقل خطورة عن ميثاق الجامعة العربية حيث كاد الكيان العربى يتجه إلى التفتيت وضياع هويته. وفيما تضمنه هذا الاعلان بشأن أمن الخليج العربى مايلى :

أولا: تضمن الاعلان أداة تجنب الأمة العربية أخطر ما خشيته فى تاريخها وهو الاضطرار إلى ابقاء القوات الأجنبية على أراضيها . ذلك الأمر الذى كان ذريعة للتلاعب بها، ولا شك أن الأمة العربية قد اضطرت إلى طلب الدعم من الدول الصديقة .

ثانيا: أشار الاعلان فى بنده الثانى على وجه الخصوص إلى المادة التاسعة من ميثاق الجامعة العربية معتبراً أن وجود القوات المصرية والسورية على أرض المملكة العربية السعودية ودول عربية أخرى فى منطقة الخليج هو تلبية لرغبة حكوماتها بهدف الدفاع عن أراضيها وهو بذلك (الاعلان) يمثل نواة لقوة سلام عربية تعد كضمان لأمن وسلامة الدول العربية فى منطقة الخليج العربى ونموذجا يحقق ضمان فاعلية النظام الأمنى العربى الدفاعى الشامل.

وفى هذا النص مايعنى الكثير لأنه التطبيق العملى والفعال للاستغناء عن القوات المتعددة الجنسيات بعد أن أدت المهمة التى دعيت إليها ومن ثم فإن اعلان دمشق قد بادر بملىء الفراغ العسكرى عربياً وفوت الفرصة على من رفعوا راية الخطر من وجود القوات الأجنبية .

ثالثا : شدد الاعلان على الالتزام بالشرعية العربية والإسلامية والدولية حيث جاء فى ديباجة الاعلان الإشارة إلى التمسك بأهداف ومبادىء وقرارات جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى والأمم المتحدة .

الهوامش:

١- عبد الرحمن سلطان ، أضواء على الاستراتيجية السعودية ، مرجع سابق، ص ١١٥ .
ولمزيد من التفصيل حول علاقة المملكة العربية السعودية تجاه دول الخليج انظر : -
أمل الزياتى ، علاقة المملكة العربية السعودية تجاه دول الخليج ، مجلة دراسات الخليج ، العدد ٣٣ ، يناير ١٩٨٣م ص ١٨٥ - ١٩٣ .

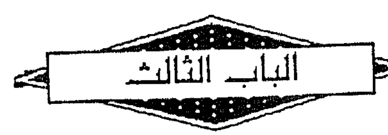
٢- راجع بصدد تصريحات الأمير نايف بن عبد العزيز ، جريدة البلاد والمدينة والعرب يوم ١٩٨٠/١١/٢٧م

٣- عكاظ فى تاريخ ١٤٠٢/١٠/٤هـ (١٩٨٢/٧/٢٤م)

٤- أعلنت إيران قبول وقف إطلاق النار مع العراق فى ١٩٨٨/٧/١٨م . وفقا لقرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ .

٥- بشأن دور وموقف المملكة العربية السعودية من حرب الخليج راجع

Mylroie, Laurie Ann, Regional security after empire: Saudi Arabia and the Gulf, PH.D., Ibid, p. 213-278.



٦- راجع فى هذا الشأن : - محمود عادل أحمد ، الأمن القومى العربى - نحو استراتيجية عربية موحدة شاملة فى التسعينات يونيو ١٩٩٠م ، ص ٣٣٢ وراجع ايضا احمد الزهرانى ، السياسة السعودية فى الدائرة العربية ١٩٧٩ - ١٩٩٠ ، سرالة ماجستير غير منشورة ، كلية التجارة جامعة الاسكندرية ١٩٩١ ص ص ٢٩٥ ومابعدها .

٧- احمد الزهرانى ، م. س. ز ص ص ٣١٢ - ٣١٥ .

٨- المرجع السابق ، نفس الصفحة

الفصل الخامس

الخليج العربى ومشكلات نقل التكنولوجيا

لم تصادف مشكلات نقا، إلى دول الخليج العربى مشاكل تذكر بالنسبة لظاهرة نقل التكنولوجيا إلى دول العالم الثالث حيث منطقة الخليج العربى تعتبر سوقاً لمنتجات التكنولوجيا نظراً الزيادة المطردة فى حجم السوق العربية هذه، وكذلك فى تنوع المنتجات المطلوبة ويمكن ملاحظة أن هناك طلبا مستمرا على التكنولوجيا فى مجالات متخصصة مثل الاعمال المدنية والسكك الحديدية والمنشآت النفطية والاتصالات والشاحنات والجرارات ... الأمر الذى يبرر حيازة وتطوير قدرات خليجية عربية فى كل من هذه الميادين . فإن التحدى الذى يواجه الاقطار العربية يتمثل فى كيفية زيادة مدى ونطاق النشاطات العربية المشتركة فى ميدان التكنولوجيا.

ومن الناحية الرسمية ، تعلن عدة أقطار عربية أن سياستها هى الحفاظ على القيم التقليدية . ولكن التقاليد لا يمكن الحفاظ عليها وكأنها متحجرة، وما لم تدخل «التقاليد» بشلك إداعى فى عملية التغيير فانها تعمل على إعاقة التغيير المقترح أو رفضه. وعلى سبيل المثال، تعتمد المدينة العربية الحديثة بمساكنها وضواحيها على السيارة بقدر ما تعتمد عليها المدن الغربية . ولم يسفر إدخال وسائل جديدة للنقل بشكل ارتجالى عن تدمير أصالة الفنون والمهارة العمرانية العربية التقليدية والمفاهيم العربية للمدينة فحسب بل وأيضا الكثير من العلاقات الاجتماعية التقليدية المقترنة بها، كما أن استيراد معدات المطابخ المصنوعة فى الخارج لا يرغم العرب على تناول طعام البلدان التى انتجت هذه الآلات ولكن من المؤكد أنها تجعل من الصعب شواء حمل ومن الواقع أن السوبر ماركت فى معظم المدن العربية يعارض الاتجاهات الشائعة



فى عـادات الاكل العربيـة . وبالرغم من هذه التبريرات مقوحا ولت الخليج العربى على أصالتها العربية الاسلامية وفى نفس الوقت نقلت التكنولوجيا الغربية إليها فى صناعة الأطعمة.

ويرى الدكتور انطوان زحلان أن تطبيق العلم والتكنولوجيا قد أسفر عن توليد قدر كبير من الثروة لفترات زمنية قصيرة، وإنتاج النفط فى الوقت الراهن هو مثال بالطبع على سياسة (ناجحة) فى هذا الصدد(١).

وهناك آراء تبرر أيضاً اعتماد الأسلوب الخالى من التكنولوجيا فى نقل السلع الرأسمالية (الانتاجية) من جانب المسؤولين العرب عن اتخاذ القرار وعن التخطيط ومن جانب المؤسسات العامة العربية، ومن أمثلة هذه الآراء ما يلى :

١- إن الوطن العربى عموما ودول الخليج العربى على وجه الخصوص يزخر بموارد طبيعية هائلة ، وهناك شركات دولية مؤهلة وقادرة على التخطيط وتوفير المعدات اللازمة لاستغلال هذه الموارد. ولذلك فمن غير المعقول إضاعة الوقت فى تعلم التكنولوجيا اللازمة عندما يكون الحل جاهزا ويكون التأخير باهظ التكلفة .

٢- إن المشاريع التى تنفذ على صعيد الوطن العربى تتم على نطاق ضخم كما أن التكنولوجيا المكتسبة بالغة التطور والتعقيد ، وليس بوسع التكنولوجيا المحلية سوى المشاركة بشكل هامشى ، ونقل التكنولوجيا يتم ببطء ولا يركن إليه ، وليس باستطاعتنا أن نتحمل المخاطرة.

٣- إن الأقطار العربية ليست فى مستوى تقوم عن البلدان المتقدمة، والسبيل الوحيد لتعويض ذلك هو اكتساب أكثر الصناعات تطوراً وتعقيداً .

٤- إن التكنولوجيا سريعة التغير بحيث عندما يتعلم المرء تقنية ما تكون قد اصبحت بالية وعتيقة .



وهذه الأنواع الأربعة من الآراء تتناقض مع الخصائص الأساسية للتكنولوجيا ، إلا أنها شائعة في الوطن العربي . وباختصار ، تفترض هذه الآراء أن كل مشروع فريد في نوعه وليس واحدا من مشاريع كثيرة، وأن نقل التكنولوجيا لا يمكن أن يتم في وقت واحد مع حيازة السلع الرأسمالية، وأن المخاطرة تكون أكبر عندما تقوم الشركات المحلية بتنفيذ مشروع وأنه ما من سبيل للتأكد من النوعية والاقلال من المخاطر كما ان المشاركة في أعمال البحث والتطوير هي جزء لا يتجزأ من عملية تغير التكنولوجيا . ومن ثم يكون لدى البلد المتلقى على امتداد فترة من ١٠ إلى ٣٠ سنة – وهى الفترة التى يتم خلالها تدريجيا اكتساب التكنولوجيا – الوقت الكافى لبناء قدراته المحلية بشكل منتظم ومنهجي. وفي هذا السياق فقد تمكنت معظم دول الخليج العربى في إقتحام عصر المعلومات والتكنولوجيا في بداية الألفية الثالثة وتخطت الكثير من الدول النامية(٢٠).

من الواضح أن الأقطار العربية توفر سوقا كبيرة جدا للتكنولوجيا وأن هذه السوق إذا ما نظر إيها ضمن منظور الوطن العربى كافية ومناسبة لدعم وتطوير المؤسسات والشركات والمرافق التكنولوجية العربية .

ومن ناقلة القول أن الكفاءات العلمية والتكنولوجية ، وهى إحدى الأدوات الأساسية لانتهاج سياسة للتكنولوجيا تعتمد على النفس ، متوفرة الآن . بالاضافة الكفاءات العلمية والتكنولوجية أداة ضرورية ويتوقف التحول فى الأسلوب العربى للمعاملات التكنولوجية بالدرجة الأولى على تحول فى السياسات وعلى تطوير لمجموعة متخصصة من الشركات والمؤسسات وهو ماتأخذ به العديد من دول الخليج العربى فى اطار تحديث مواردها البشرية الوطنية.



أخذ نظام التعليم فى الاقطار العربية يتوسع بمعدل عال ومضطرد على امتداد الثلاثين سنه وأخذ عدد الخريجين يتضاعف كل ثلاث أو خمس سنوات . النصف الثانى من القرن العشرين وما من شك فى أن الكفاءات العلمية والتقنية العربية غير مستغلة إلى حد كبير . وبعبارة أخرى ، يمكن للوطن العربى أن يستفيد من الكفاءات البشرية المتوفرة اليوم أكثر مما يستفيد فى الوقت الحاضر . وربما تكون دول الخليج فى معظمها فى إعتقادنا هى التى استفادت من كفاءاتها العلمية بالنظر إلى الفصول المرتفعة لهذه الكفاءات.

وهناك سببان رئيسيان لهذا الوضع فى الدول العربية الفقيرة عموما ويتعلق السبب الأول بالأوضاع السائدة فى الجامعات ومؤسسات البحث العربية ، وهنا يجد المرء مجموعة متنوعة من العوامل ومن بينها هذه الأموال ، الادارة ، وتطبيق قواعد ونظم الخدمة المدنية الحكومية على الجامعه والحريات الأكاديمية والفكرية ومرافق التدريس والبحث وتضخم أعباء التدريس وأرتفاع نسب الطلبة إلى الاساتذة وقد قامت الجامعات فى دول الخليج العربى بدور ملموس فى تحديث الموارد البشريه من ثنايا ربط البرامج الأكاديمية بالتغيرات التكنولوجية فى المهن الحرة أو ربط البرامج الاكاديمية بالمضامين التكنولوجية لمشاريع التنمية . وتخريج كفاءات ماهرة ومؤهلة لاستيعاب التكنولوجيات المعنية فضلا عن إستخدام قدرات البحث لدى هيئات التدريس بالجامعات والخريجين من الطلبة لحل المشاكل التقنية التى تنشأ خلال عملية التنمية .

وتأسيسا على ذلك ينبغى أن تتوفر لدى الأقطار العربية المرافق والخبرات العالمية التخصص والتى يجب تطويرها فى كل جامعة وفى كل من الميادين العلمية والهندسية وهنا أيضا من المستحيل أن تغطى أية جامعة عربية جميع الميادين ولابد من درجة عالية من التخصص إذ ان للكفاءات الفنية



العربية أن تقوم بوظيفتها على نحو فعال ومفيد وهو ماتحاول القيام به بالجامعات فى دول الخليج العربى . ويضاف إلى النشاطات السابقه أن الجامعات تقدم برامج متقدمة لاعادة تدريب المهندسين والتكنولوجين ، وتشكل مصدرا فى دول الخليج العربي لأفراد الحكومة وقطاع الأعمال والصناعة بالكفاءات العالية والخبراء المتخصصين و وتشكل في الوقت نفسه مركز جذب لموظفى الحكومة والمهنيين إلى سلك التدريس بالجامعات وللتداول الداخلى للكفاءات المتخصصة تأثير كبير على الجامعات والتعليم والحياة العامة. وقد أخذ الكثيرون منهم فى الحصول على درجات علمية من الدول العربية والجامعات المصرية.

وعموما أن الكفاءات التقنية والجامعات العربية الخليجية متوفرة بأعداد كبيرة، فضلا عن أن إعداد خريجي هذه الجامعات يزداد بمعدل عال لدرجة أنه من المحتمل أن تكون الكفاءات عاملا يحد من أية سياسية عربية مخصصة لاكتساب التكنولوجيا ويرى الدكتور انطوان زحلان أن الامكانيات الهائلة للكفاءات التقنية الخليجية العربية لم تتحول إلى خدمات مفيدة بسبب الأوضاع السائدة فى الجامعات ومؤسسات البحث العربية. ويمكن تطوير كل منهما بسهولة نسبية لأن لديهما الكثير من العوامل الرئيسية للتغيير السريع .

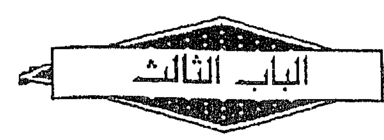
وليست الجامعات سوي مجموعة واحدة فقط من عدة مؤسسات ضرورية لحيازة التكنولوجيا . وتشكل شركات الاستثمارات الهندسية والمقاولات والتصنيع وكذلك مؤسسات البحث والتطوير ، المؤسسات الرئيسية التى يتم من خلالها تعبئة واستخدام القدرات التكنولوجية وتنجز المنظمات الهندسية دوراً حاسما فى تخطيط وتوجيه وتكامل اعداد كبيرة من الشركات المتخصصة والخبراء الاستشاريين والمؤسسات والخدمات والبيانات وقد أدى الاعتماد



المفرط للاقطار الخليجية العربية على الشركات الاجنبية للاستشارات والمقاولات والتصنيع إلى حرمان المؤسسات الاقليمية من الكثير من فرص المشاركة فى الاعداد الهائلة من المشاريع فى الاقطار العربية . وتوجد بالفعل شركات استشارات ومقاولات عربية ناجحة تثبت بشكل قاطع إمكانية النهوض بمثل هذه النشاطات فى الوطن العربى والمشكلة هنا تتعلق بالعدد والنطاق والشمول التكنولوجى. إذ أن معظم الخبرات العربية فى الاستشارات والمقاولات متخصصة فى الهندسة المدنية ويتضاءل العدد كثيرا فى الميادين الصناعية والكيماوية والمواصلات والطب . وأهمية الشركات الهندسية لوضع استراتيجية للتكنولوجيا تتمثل أن تعمل الشركات الاستشارية على إشراك الكفاءات المتخصصة فى فرق لغرض الاضطلاع بدراسة للجدوى . وأن تعمل الشركات الاستشارية ، من خلال التطبيق والتطوير المتكرر للتكنولوجيا، على تنمية العمليات الصناعية وابتكار مخترعات جديدة وضمان مزايا نسبية .

فضلا عما تقوم به الشركات الاستشارية ذات الصلة الوثيقة بالمجتمع بابتكار حلول هندسية تناسب الاحتياجات الثقافية للمجتمع مع أدنى حد من المخاطرة ولا بد من تحمل قدر كبير من المخاطرة لدى تصميم وتشييد الكثير من الصناعات اليوم ويتوقف قدر ونوع المخاطرة علي ما إذا كان المهندسون وعائلاتهم سيقيمون بالقرب من منتجات عملهم وهم ماتحاول العديد من الدول العربية الخليجية انجازه .

وتعتبر شركات الهندسة والمقاولات من العوامل القوية لنشر التكنولوجيا الداخلية . ويرى الوطنيون المشتركون في كل مشروع فرصا جديدة لمهاراتهم، وأسواقا للوازم والمعدات والخامات التى يمكنهم توريدها . وهكذا يمكن للمهندسين والعلماء الذين اشتركوا فى مشروع واحد أن يكتسبوا خبرة فنية



كافية لتطبيق مهاراتهم على المشاكل الاخري. وهكاذ تبدأ سلسلة من الآثار تنتشر بمزيد من التحديث من تكنولوجيا إلى تكنولوجيا ، ومن المدينة إلى القرية . وفي هذا السياق يمكن للمقاولين الوطنيين بما أصبح لديهم من وعى متزايد باللوازم والمواد والمعدات المستخدمة فى تنفيذ المشاريع. أن يحفزوا الاقتصاد الوطنى على تلبية الطلب من الانتاج المحلى وهو مايلمه الباحثون العرب العاملون في دول الخليج العربى. كما يعمل المقاولون الوطنيون من خلال تجاربهم العملية على تحسين قدرتهم على حل المشاكل التقنية داخل بيئتهم المحلية وكذلك تحسين فهمهم واستخدامهم للمواد المحلية .

فضلا عما تنمية المشروعات من فرص هائلة لتدريب وتعليم القوى العاملة من اجل تنمية مهاراتهم الادارية ، وخلق فرص العمالة ونشر التكنولوجيا وهو أيضا ما تحاول الدول الخليجية العربية انجازه حاليا .

وعموما فان مؤسسات البحث والتطوير مصدرا هاما من مصادر التكنولوجيا واذا أمكن التوصل إلى مدي ونطاق كافيين لنشاط البحث والتطوير فإن اعتماد البلاد على نقل للتكنولوجيا من العالم الخارجي سيكون هامشيا فقط ومع توفر الموارد الآن لدى الاقطار العربية الخليجية الممكن تطوير القدرات التنظيمية والمؤسسية العربية بمعدل عال حتى مرحلة الاعتماد الكامل على النفس فى بدايه القرن الجديد ولابد أن تقوم مصادر التكنولوجيا بدور هام خلال فترة الانتقال وهناك مصادر عديدة للتكنولوجيا ، ولكل مصدر طابعه الخاص وأدواته الخاصة للوصول إلى التكنولوجيا . كما أنه لا يوجد أسلوب وحيد لاكتساب التكنولوجيا، إذ أن الشركات أو الأفراد أو البلدان الخليجية التى تستخدم مجموعة من هذه المصادر فى سعيهالمزيد من تحديث مرافقها.

وتوفر مختلف انواع الكتابات والمؤلفات والمؤسسات البحثية (منشورات الشركات ، البراءات ، الدوريات ، الكتب ، الأبحاث) أقل مصادر التكنولوجيا تكلفة ، إذ أن التكلفة الوحيدة تتمثل فى ثمن المنشور أو مصاريف استنساخه والمشكلة الرئيسية هنا هى أن حجم الكتابات من الكبر بحيث أن الاهتداء إلى المعلومات المناسبة يتطلب أشخاصا أكفاء وتسهيلات مؤسسية، وهو بالطبع أكثر الطرق استخداما فى البلدان المتقدمة وما نأخذ به حاليا العديد من دول الخليج العربى.

ويشكل التعليم بالطبع مصدرا ثانيا من مصادر التكنولوجيا وهنا يصبح الشخص المشترك فى العملية مؤهلا لنوع معين من النشاط فى عملية تلقى التعليم وتتوفر المؤسسات والكتابات التعليمية على نطاق واسع وتوجد مصادر عديدة توفر فرصا مماثلة . ولا يوجد احتكار لهذه المصادر . وفى هذا السياق فقد أخذت دول الخليج العربى بأكثر الوسائل تحديثا لمرفق التعليم وخاصة التعليم الجامعى ان المصدر التالى للتكنولوجيا هو المؤسسات الوطنية .حيث طاقات المؤسسات الوطنية فى البلدان النامية قليلة الاستخدام والانتفاع بها عادة. وتوفر المؤسسات الوطنية قناة فعالة لاكتساب التكنولوجيا وتطويرها . وتعتمد هذه المصادر جميعا على المشاركة الفعالة من جانب الكفاءات المؤهلة ولا شك ان السياسات الخليجية العربية الحالية تنهج هذا الاسلوب .

وقد انطلقت مسيرة التعاون والعمل المشترك بين مجلس التعاون لدول الخليج العربية الدول من المجال الاقتصادى . ففى الشهر التالى لولادة المجلس، وضعت الاتفاقية الاقتصادية بين دول المجلس فى الرياض فى ٨ يونيو ١٩٨١ وتمت موافقة المجلس الأعلى عليها فى ١١ نوفمبر ١٩٨١. وقد تم البدء فى تطبيق هذه الاتفاقية فى مجالات تحرير التجارة والنقل البرى والبحرى

وممارسة النشاط الاقتصادى اعتباراً من ١ مارس ١٩٨٣ ، كما تمت إقامة مؤسسة الخليج للاستثمار برأسمال (٢١٠٠) مليون دولار ومقرها الكويت ، فى ٣٠ نوفمبر ١٩٨٣م.

وتتعزز فرص نجاح التعاون الإقليمى بتوفر عاملين آخرين بالاضافة إلى توفر العامل الجغرافى ، يتعلق العامل الأول بتوفر سمات مشتركة بين دول التجمع الإقليمى ، ويتعلق العامل الآخر بأهداف مشتركة بينها تسعى إلى تحقيقها .

ولعل العامل السيادى من بين أهم الأسس المشتركة التى تحدد ، وإلى درجة كبيرة، فرص نجاح تعاون إقليمى حقيقى ، فالعبر التى يمكن أن تستخلص من تجارب مختلف نماذج التعاون الإقليمى فى مختلف مناطق العالم تشير بوضوح إلى أن العوامل السياسية تتصدر المعوقات الرئيسة التى تحد من مدى نجاح التعاون الإقليمى الحقيقى . إن توفر تماسك سياسى حقيقى لا ظاهرى ، شرط أساسى لدفع عملية التعاون الإقليمى وتأمين استمرار انطلاقها فى الاتجاه الصحيح . لكن ذلك مرتبط بعامل قوى وهو دور المنظمات الأقليمية وأهمها هنا ميل التعاون الخليجى بشأنه يصور حد أدنى من تفصيل العمل الخليجى المشترك.

ومن الثابت على أهمية العامل السياسى فى دفع عملية التعاون الإقليمى وتطويرها لا ينفى بالضرورة إمكانات أى تعاون مثمر فى ظل غياب الحد الأدنى من تجانس القواعد السياسية بين دول التجمع الإقليمى ، كما لا يعنى أن تقوية التماسك السياسى من خلال شكل من أشكال التكامل أو الاندماج السياسى يجب أن تسبق عملية التعاون فى المجالات الاخرى .



فمن الممكن أن تنطلق عملية التعاو ن الإقليمى الخليجى من المجال الاقتصادى ، وتعبد الطريق إلى مراحل التماسك السياسى . ولكن لابد من الاشارة إلى أنه قد يصعب الاستمرار فى توسيع وتعميق التعاون فى مختلف المجالات الاقتصادية ومختلف المجالات الأخرى دون عمل مواز نحو إسراء وتطوير قواعد التماسك بين الدول الخليجية العربية وفى هذا السياق فإن وحدة اللغة والدين وتشابه التراث والعادات والتقاليد والروابط الاجتماعية بالاضافة للموقع الجغرافى تشكل رصيدا قويا لقيام وتطوير تعاون مثمر بين دول مجلس التعاون الخليجى. كما أن التشابه فى الهيكل الاقتصادى وفى عوامل الوفرة والندرة للموارد الطبيعية والبشرية والتقارب فى النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وصغر الحجم النسبى وحداثة الاستقلال السياسى لمعظم دول المجلس من جهة ، والتطلع إلى ارساء قواعد الأمن والاستقرار فى المنطقة ، وإلى تحقيق أهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية بأسرع مايمكن ، من جهة أخرى ، تشكل حوافز قوية لإقامة وتطوير تعاون مثمر بينها .

أن التنمية التى تحققت فى كل من دول مجلس التعاون نظرا للطموحات والأهداف المتوطئة كانت أقل من التنمية الممكن تحقيقها لو تمكنت هذه الدول من الاستفادة من مواردها المتاحة بأعلى درجة ممكنة من الكفاءة خلال الفترة الماضية . فضلا عن أهمية اعادة توجيه مسيرة التنمية فى هذه الدول بشكل يتيح لها تحقيق، أفضل عائد ممكن من مواردها المتاحة فى المرحلة القادمة .

من المتوقع أن يؤدى التعاون بين دول المجلس إلى رفع كفاءة مواردها المتاحة مما يتيح جنى ثمار أفضل لكل منها على حدة ولمجموعها كوحدة واحدة. كذلك فإن حجم السكان من جهة، ومستوى دخل الفرد من جهة أخري ، يحددان حجم القوة الشرائية وبالتالى حجم السوق المتوفر فى الدولة .

فحجم السكان من العوامل التى تحدد حجم الطلب على السلع والخدمات من جهة، كما تحدد حجم القوة العاملة اللازمة لمختلف النشاطات الاقتصادية والاجتماعية من جهة أخرى ، وكلما زاد الطلب زاد حجم الوحدات التى تنتج السلع وتوفر الخدمات ، وكلما زادت بالتالى فرص خفض تكاليف انتاج السلع وتوفير الخدمات، أى كلما زادت فرص تحسين كفاءة استغلال الموارد المتاحة . ومن هنا تنبع أهمية عدد السكان كمعيار للحجم .

وباستثناء السعودية (٥) ، تعتبر دول مجلس التعاون متوسطة الحجم نسبيا ، على أساس معيار حجم السكان أو المساحة على السواء .

ولا يقتصر الفرق بين السعودية وبقية دول المجلس على حجم السكان بل يتعداه إلى المساحة أيضا . فبينما مجموع سكان خمس من دول المجلس (البحرين وقطر والإمارات وعمان والكويت) يساوى ٤٥٪ من سكان السعودية، فإن مساحة هذه الدول الخمس تساوى فقط ١٩٫٣٪ من مساحة السعودية .

ويتمتع الفرد فى كل من دول المجلس بقوة شرائية مرتفعة نسبيا ، إلا أنه بالرغم من ارتفاع القوة الشرائية للفرد فى هذه الدول، فإن حجم القوة الشرائية المتوفرة فى كل منها، وبالتالى حجم السوق ، يعتبر صغيرا نسبيا، باستثناء السعودية ، فيما له علاقة بإقامة بعض الصناعات والاستفادة من مزايا الحجم الكبير.

ويتضح ان صغر حجم دول المجلس ، باستثناء السعودية، من جهة، وضعف اتساق الخارطة الاقتصادية مع الخارطة السياسية من جهة أخرى وهذا الواقع يشكل فرصة وتحديا فى آن واحد لمجلس التعاون لدول الخليج العربية. أما الفرصة فمن السهل بيانها، وأما مواجهة التحدى فتكمن فى مقدرة مجلس التعاون على الاستفادة من الفرص المتاحة للتعاون المثمر بين دول المجلس ، وجنى أفضل عائد ممكن من مواردها المتاحة.

إن ضم الأسواق المحلية الست في سوق إقليمية واحدة يوسع نطاق السوق المتاحة ويولد سوقا ذات قوة شرائية كبيرة لا تتيح فقط إقامة صناعات ذات حجم كبير بل وتعزز فرص منع التكرار والتنافس بين الأسواق المحلية . فكما هو معلوم ، فقد انتهجت هذه الدول سياسات مماثلة لتنويع مصادر الدخل فيها، واقامت مجمعات صناعية ضخمة خاصة في مجال الصناعات البتروكيماوية . فالتعاون يتيح فرصا أفضل للتنسيق والتكامل وتغليب التعاون على التنافس بين الصناعات القائمة حاليا ، أو الصناعات التي يمكن أن تقوم مستقبلا(٦) .

ومن ناحية أخرى ، فإن التشابه في الاستيراد والتصدير من جهة، وضيق الأسواق المحلية من جهة أخرى ، يضعفان القوة التفاوضية لهذه الدول مع العالم الخارجي . لهذا فالسوق الإقليمي يتيح فرصا أفضل لهذه الدول لتقوية مراكزها في التجارة الخارجية . التصدير والاستيراد على السواء، والحصول على شروط أفضل للتبادل التجاري مع العالم الخارجي . ولا تقتصر فوائد التعاون على فرص التكامل بين مشروعات الانتاج المباشر، في مجالات الصناعة وغيرها، ومشروعات الهياكل الأساسية ، الاقتصادية والاجتماعية ، وكذلك مشروعات الخدمات ، بل تتعداها إلى مجالات الابتكارات والتكنولوجيا. فكما هو معروف تتجه الابتكارات والتطورات التكنولوجية نحو الوحدات الكبيرة. لذا فإن امكانات التقدم علي طريق الابتكارات وتطوير التكنولوجيا تتعزز بالتعاون الإقليمي .

ومن المتوقع أن يؤدى التعاون بين دول مجلس التعاون ، ومن خلال مايترتب من علاقات سياسية واقتصادية مع بقية الدول العربية ودول العالم، إلى حشد أفضل للموارد المتاحة لدول المجلس ، وتحسين كفاءة تخصيصها



واستخدامها في اطار الأهداف التي تسعى هذه الدول إلى تحقيقها. ومن شأن ذلك أن يحول الانجاز الممكن في اطار الموارد المتاحة إلى انجاز فعلي ، ويتيح مزيدا من اتساق الخارطة الاقتصادية مع الخارطة السياسية ، ويدفع إلى توسيع وتعميق التعاون والعمل المشترك بين هذه الدول، ويؤدى إلى مزيد من التماسك السياسي والاقتصادى والاجتماعي .

ومن المسلم به أن التنمية المتوازنة لا تعني فقط بالتوازن بين القطاعات بل بتحسين توزيع ثمار التنمية ليس فقط بين الافراد والفئات بل وبين الجهات أيضا. وكما هو معروف ، يوجد تباين بين أقاليم العدد من الدول بالنسبة لمستويات التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي تحققت فيها، حيث يوجد في داخل الدولة الواحدة أقاليم متقدمة وأخرى متأخرة نسبيا. ولا يعود السبب في هذه الفروقات إلى تباين مهم في عوامل الوفرة ، أو الندرة النسبية في الموارد الطبيعية بين هذه الأقاليم ، بل إلى عوامل عديدة متفاعلة. ولعل سياسات وخطط التنمية التي اتبعتها مثل هذه الدول ، من بين أهم العوامل ، إن لم تكن أهمها جميعا(٦).

ففي أغلب الاحيان لا يحظى البعد المكاني بالاهتمام الكافي في سياسات وخطط التنمية في الدول النامية بصفة عامة. وبسبب إهمال البعد المكاني أو ضعف الاهتمام به يتم توطين العديد من مشروعات التنمية في بعض الأقاليم ، بينما لا يتم توطين مشروعات ذات شأن كبير ، إن تم ألا ، في بقية الأقاليم . ومن الطبيعي أن تتقدم الأقاليم التي تحظى بنصيب وافر من الاستثمارات العامة أكثر من بقية الأقاليم الأقل حظوة ، وتصبح أكثر جاذبية لمزيد من استمثارات القطاع الخاص، مما يتيح مزيدا من التقدم وارتفاع مستويات المعيشة في الأقاليم المحظية ، وتتسع الفجوة التنموية بين هذه الأقاليم وبقية أقاليم الدولة الواحدة .

إن الفروق فى مستويات التنمية الاقتصادية والاجتماعية بين أقاليم الدولة الواحدة والتى لا تعود، فى المقام الأول ، إلى فروق مهمة بين الأقاليم فى الهبات الطبيعية ، بل بسبب اهمال البعد المكانى فى سياسات التنمية وخططها، وإن كانت تؤدى إلى زيادة النمو فى المدى القصير، إلا أنها تعيق فرص استغلال كامل الموارد المتاحة وتحول دون تحويل التنمية الممكنة إلى إنجازات فعلية، فى المدى الطويل.

وقد تنامى مؤخرا ادراك المهتمين بقضايا التنمية بأهمية تحقيق قدر من التوازن بين مختلف الأقاليم لتعزيز فرص تحقيق أفضل عائد ممكن من الموارد المتاحة وفى إطار هذا الادراك ازداد الاهتمام بالتخطيط الإقليمى كوسيلة لتقليل التباين بين مختلف الأقاليم وتحقيق أكبر قدرممكن من التوازن بينها .

ان وجود فروق بين دول المجلس بالنسبة لمعايير حجم السكان والمساحة والقوة الشرائية والشوط الذى قطعته كل منها على طريق التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وتتوقف احتمالات تقليص أو توسيع الفوارق بين هذه الدول، فى المقام الأول ، على الخيارات التى يختارها مجلس التعاون لتوجيه التنمية فى دوله(٧).

إن خيار عدم التخطيط على مستوى دول مجلس التعاون ككل ، والاعتماد على آليات السوق لتخصيص الموارد المتاحة هو أحد الخيارات التى يمكن للمجلس أن يختارها .

إن الاعتماد على آليات السوق واطلاق كامل الحرية لرأس المال و/أو العمالة، يؤدى بصفة عامة، إلى توجه عوامل انتاج السلع وتوفير الخدمات من الأماكن حيث الانتاجية الحدية لهذه العوامل منخفضة إلى تلك الأماكن التى تتمتع بميزات نسبية معينة وانتاجية حدية مرتفعة. ونظرا للفوارق الحالية بين

دول المجلس من المحتمل أن تؤدى الحرية المطلقة لانتقال رأس المال و/أو العمالة إلى زيادة النشاط الاقتصادى والاجتماعى فى الأماكن التى تتمتع بميزات نسبية على حساب الاماكن الأخرى . وإن كان هذا الخيار قد يتيح عائدا أفضل للعمالة أو لرأس المال فى المدى القصير، إلا أنه لا يؤدى إلى تحقيق التوازن المطلوب بين المدي القصير والطويل من جهة، كما يعمق الفوارق بين هذه الدول. بدلا من تقليصها ، من جهة أخرى. إذ أن توطين المشروعات فى مثل هذه الحالة لا يتم على أساس التكلفة والعائد من الموارد فى اطار دول المجلس ككل من جهة، وفى اطار التكاليف والعوائد فى المدى القصير والطويل من جهة أخرى .

وبما أن مجلس التعاون يصبو إلى تحقيق تنمية متوازنة ، قطاعيا ومكانيا ، تتيح تحسين توزيع ثمارها بين الأفراد والفئات والجهات على السواء، فخيار الاعتماد كليا على أليات السوق لا يتسق والأهداف التى يسعى إلى تحقيقها. فما الخيار الأكثر موائمة لتمكين المجلس من التوجه نحو الطريق إلي تحقيق تنمية متوازنة قطاعيا ومكانيا.

إن القول : إن خيار الاعتماد على أليات السوق واطلاق كامل الحرية لانتقال العمالة ورأس المال من مكان لآخر داخل دول المجلس قد يؤدى إلى زيادة الميزة النسبية لبعض من دول المجلس ، وتوسيع الفروق بينها لا يعنى بالضرورة شطب هذا الخيار نهائيا ، بل التبصر فى كيفية استخدامه بشكل يتيح الاستفادة من ايجابياته، وتجنب سلبياته وأثره غير المقصودة .

فإذا كان البعض من دول المجلس يتمتع حاليا بميزات نسبية قد تجذب مزيدا من العمالة ورأس المال، فالمطلوب خيار لا يتيح فقط تعزيز الميزات النسبية الموجودة حاليا فى بعض دول المجلس بل وأيضا خلق ميزات نسبية فى الدول الأخرى .



لذا ينطوى هذا الخيار على تنظيم وتوجيه انتقال رأس المال والعمالة فى اطار سياسة واضحة تأخذ بعين الاعتبار البعدين المحلى والإقليمى من جهة ، والتكلفة والعائد فى المدى القصير والمدى الطويل من جهة اخرى .

وفى هذا السياق فإن جوانب التحديث تشمل التغيرات والنمو الاقتصادى السعودى وهو مايقتضى وقفة للتفسير فى مجلس التعاون

زاد حجم رأس المال الثابت المحلى الاجمالى المنفذ فى السعودية وبالأسعار الثابت لعام ١٩٨٤ من ٢ر١٥ بليون ريال عام ١٩٦٩ إلى ٥ر٩٦ بليون ريال عام ١٩٨٤ ، ولكنه تراجع بشكل تدريجى نظرا لأكتمال معظم مشاريع البنيه الأساسيه حتى وصل إلى حوالي ٤٩ بليون ريال عام ١٩٨٨ ثم بعد ذلك أخذ فى التزايد حتى وصل الى حوالي ٨١ بليون ريال عام ١٩٩٣ .

وقد بلغ معدل النمو السنوى العام لرأس المال الثابت وبالأسعار الثابتة لعام ١٩٨٤ حوالي ٥ر٥٪ فى المتوسط سنويا خلال الفترة ١٩٦٩-١٩٩٣ وبالأسعار الجاريه حوالى ٢ر١٪ فى المتوسط سنويا خلال الفترة ١٩٨٤-١٩٩٣ (٢) .

وبالنسبة للأهمية النسبية للقطاعات المختلفة فى حجم رأس المال الثابت، نجد أن نصب القطاعات البتروليه فى إجمالى رأس المال الثابت قد بلغ حوالى ٢ر٣ بليون ريال عام ١٩٧٤ وبنسبة ٢٥٪ من أجمالى رأس المال الثابت، وهذا النصيب أخذ فى الزيادة بعد ذلك حتى عام ١٩٨٤ ، ثم هبط حتى وصل إلى أدناه عام ١٩٨٨ ، ولكنه بدأ فى الزيادة بعد ذلك حتى وصل إلى ٨ بليون ريال عام ١٩٩٣ وبنسبة ٨٪ من إجمالى رأس المال الثابت . وهذا يعنى أن نصيب القطاعات غير البترولية فى إجمالى رأس المال الثابت قد تراوح مابين ٧٥ر ، ٩٢ر وخلال الفترة ١٩٧٥-١٩٩٣.



ويلاحظ أنه سمن القطاعات غير البترولية نجد أن مساهمه القطاع الخاص فى تكوين رأس المال الثابت المحلى الاجمالى الحقيقى قد بلغت حوالى ٥ر٦٩٪ فى عام ١٩٩٣م.

وحيث أن التوسع الصناعى هدفا مستمرا لخطط التنمية فى المملكة. فقد أرتفعت المساهمة النسبية للإستثمار فى المعدات والآلات من حوالى ٢ر٤٪ عام ١٩٦٩ الى حوالى ١٨٪ عام ١٩٩٠

ويعتمد تمويل رأس المال المستثمر في المملكة على ميزانية الدوله والشركات العامه والقطاع الخاص ومؤسسات الأقراض المتخصصه . فقد قدرت مساهمة ميزانية الدوله والشركات العامه في تمويل استثمارات الخطه الخمسية الخامسة ١٩٩٠-١٩٩٥ بحوالى ٥٤٪ يليها القطاع الخاص وبنسبة ٣٧٪ ثم مؤسسات الأقراض المتخصصه بنسبة ٩٪ .

وقد أنجزت مؤسسات الائتمان السعوديه المتخصصه دورا كبيرا في تمويل الإستثمارات وفى دفع عجلة التنمية الأقتصاديه فى المجالات التى خصصت لها كالزراعه والصناعة والأسكان وغيرها .

وقد سجلت جملة القروض التى قدمتها مؤسسات التمويل الحكوميه نموا كبيرا خلال سنوات خطط التنميه الثلاث الأول، إذ أزدادت من ١٦ بليون ريال عام ١٩٧٠ الى ٨ر١٩ بليون ريال عام ١٩٨٠ ، ثم انخفضت الى ٦ر١٧ بليون ريال عام ١٩٨٥ . وعلى ضوء تضاؤل الحاجة الى القروض،. انخفض تقديمها تدريجيا بعد ذلك الى أن وصلت إلى حوالى ١ر٧ بليون ريال عام ١٩٩٥.

هذا وقد بلغ مجموعة قيمة القروض التى قدمتها مؤسسات الأقراض العامه منذ تأسيسها الى نهاية عام ١٩٩٥ حوالى ٢٥٨ بليون ريال، وكان نصيب صندوق التنمية العقارية منها حوالى ١١٠ بليون ريال وبنسبة ٥ر٤٢٪

والبنك الزراعى العربى السعودى حوالى ٢٨ بليون ريال وبنسبة ٩ر١٠٪ ، ثمن صندوق التنمية الصناعية السعودى حوالى ٦٦ بليون ريال وبنسبة ٦ر٢١٪ والمؤسسات الأخرى حوالى ٩ بليون ريال وبنسبة ٤ر٣٪ .

وبالنسبة للإستثمارات الأجنبية ، نجد أن الحكومة السعودية قد أصدرت عدة قوانين أحتوت على العديد من المزايا التشجيعية للمستثمرين الأجانب مثل الأعفاء الضريبى والأعفاء من الرسوم الجمركية والتسهيلات العقاريه وضمان الإستثمارات من المخاطر غير التجاريه .

تتمتع المملكة العربية السعوديه بميزان تنافسيه ونسبيه متعدده وخاصة فى مجال الصناعات التى تعتمد على استخدام الموارد الهيدروكربونيه والصناعات التى تعتمد على الاستخدام المكثف للطاقة ويتجلى هذا بوضوح عن طريق النجاح الذى حققته الصناعات البتروكيماويه على الساحه الدولية.

وإذا كانت الحكومه السعودية، قد قامت بتنفيذ الكثير من المشروعات الصناعية التى تنتج سلع تحل محل السلع المستورده إلا أنها قامت ببعض البرامج الخاصه بتنمية الصادرات ، مثل تأسيس المركز السعودى لتنمية الصادرات والشركه السعوديه لتسويق الصاردات وقيام البنك الأسلامى للتنمية بتوسعة برنامجه الخاص بتمويل التجاره للمنتجات السعودية .(٨)

أما الصادرات السعوديه إنها قد زادت بمعدل نمو بلغ حوالى ٧٪ فى المتوسط سنويا خلال الفتره ١٩٧٠-١٩٩٣ ، بينما بلغ معدل نمو صادرات البترول الخام حوالى ٦ر٥٪ والمنتجات البترولية ٤ر١١٪ والسلع الأخرى ٤ر٣٢٪ خلال نفس الفترة .

وتعتبر صادرات البترول الخام، أهم العناصر الرئيسية فى مجموع



صادرات السعودية، وقد شكلت صادرات البترول الخام حوالى ٥ر٧٥٪ من إجمالي صادرات المملكة عام ١٩٩٣ ، وبعد صادرات البترول الخام تأتى الصادرات من المنتجات البتروليه والتى شكلت حوالى ٦ر١٥٪ ثم الصادرات الأخرى مثل الماشيه والمنتجات الحيوانيه والمواد الكيماويه والمنتجات الزراعيه والتى شكلت حوالى ٩ر٨٪ من إجمالي صادرات المملكه عام ١٩٩٣.

أما بالنسبة للواردات ، فقد كان للتطور الاقتصادى السريع فى المملكة دور حاسم في تحديد حجم ونسب السلع المستورده .

هذا وقد زادت الواردات السعوديه بمعدل نمو سنوى بلغ حوالى ١ر١٤٪ خلال الفتره ١٩٧٠-١٩٩٣.

وتعتبر الواردات التي تحتاجها المشروعات الأنمائية من معدات نقل وأليات ومعدات ميكانيكيه وكهربائيه من أهم العناصر الرئيسيه في مجموع الواردات السعوديه، وقد بلغت نسبتها حوالى ٥٣٪ من إجمالى الواردات السعوديه عام ١٩٩٤ ، كما بلغت نسبة الواردات من المواد الغذائية حوالى ١٣٪ فى نفس العام.

وعلى الرغم من انخفاض قيمة الصادرات السلعيه وأرتفاع قيمة الواردات وتأرجحهما صعودا وهبوطا ، إلا أن الميزان التجاري (٣) استمر فى تحقيق فائض بلغ عام ١٩٧٠ حوالى ٧ر٥ بليون ريال وأرتفع إلى ٧ر١٢٤ بليون ريال عام ١٩٧٩ بسبب أرتفاع أسعار البترول ولكنه أنخفض حتى وصل إلى ٩ر١٦ بليون ريال عام ١٩٨٨ نتيجة انخفاض أسعار البترول ثم أرتفع إلى ١ر٧١ بليون ريال عام ١٩٩٣.

وتجدر الاشارة ان السعوديه بدأت عملية التنمية منذ الأربعينات من



القرن العشرين ، حيث هيئات باكورة العوائد النفطيه الصغيره أمكانية هامة لتحسين الأوضاع الأقتصاديه والاجتماعية في المملكة .

وقد أدت عملية التنمية الأقتصادية الى حدوث زياده كبيره فى الناتج المحلى الأجمالى وحدوث تغيرات فى الأوزان النسبية للقطاعات المختلفة فى هذا الناتج . فقد زاد الناتج المحلى الإجمالى بالأسعار الجاريه.

بالنسبة للمساهمة النسبية للقطاعات المختلفة فى الناتج المحلى الاجمالى، وكما يتضح من نفس الجدول السابق، نجد أن المساهمة النسبيه للقطاع البترولى المتمثل في استخراج البترول الخام والغاز الطبيعى وتكرير البترول، فى الناتج المحلى الاجمالى قد بلغت حوالى ٣ر٥٤٪ عام ١٩٦٩ ، أرتفعت إلى حوالى ٨٢٪ عام ١٩٧٤ بسبب زياده انتاج وأسعار البترول، ثم انخفضت هذه النسبه حتى وصلت إلى حوالى ٤ر٣٦٪ عام ١٩٩٣ ، ويرجع ذلك الي انخفاض اسعار البترول وفى نفس الوقت الى تطور القطاعات الاخرى غير البترولية وأرتفاع نسبة مساهمتها فى الناتج المحلى الأجمالى .

ومن القطاعات غير البتروليه ، نجد أن القطاع الصناعى بالمملكة العربيه السعوديه ، قد شهد تطورا كبيرا نتيجة لما أولته الدوله من دعم كبير لهذا القطاع ، وما تميز به المستثمرون من نشاط وحيويه تجاوبا مع هذا الدعم.

وقد نمت الصناعات التحويليه بدرجة ملحظوة خلال الفتره ١٩٧٠-١٩٩٣ ، إذ أرتفع أجمالى المصانع العامله من ١٩٩ مصنعا عام ١٩٧٠ إلى ٢٢٣٤ مصنعا عام ١٩٩٣ ، وبلغ رأس المال المستثمر فيها حوالى ٢ر١٥١ بليون ريال ، كما بلغ أجمالى عدد العاملين أكثر من ١٩٦ الف عام وموظف وذلك بالمقارنة إلى ٨ر٢ بليون ريال وحوالى ١٤ ألف عامل وموظف فى عام ١٩٧٠ .



وقد ركز قطاع الصناعة نشاطه على التصنيع المستخدم للموارد البتروليه والتى تتمتع فيها السعوديه بميزه نسبيه .

وبقدر معقول من الثقه يمكن القول ان الاقتصاد السعودى مازال يعتمد كثيرا على الصادرات البتروليه والتى تشكل العنصر الأساسى فى صادرات السعوديه وقد بلغت نسبتها حوالى ٧٥٪ عام ١٩٩٣ . وتتأثر هذه الصادرات كثيرا بتغيرات أسعار البترول العالميه صعودا وهبوطا وبالرغم من أن البترول لعب دورا رئيسيا فى الحياه الأقتصاديه والاجتماعيه فى المملكة العربيه السعوديه . وكان له أعظم الأثر فى تغيير ملامح الحياه على الأرض السعوديه، إؤلا أن استراتيجية التنميه فى السعوديه القائمه على أساس أحداث تغير هيكلى فى بنية الاقتصاد القومى، قد أثبتت قدرتها على مواجهة الضغوط الخارجية بصورة واضحة . ويرجع صمود الاقتصاد القومى لهزات السوق البترولية الى توفير احتياطى من العملات الأجنبيه والسياسات الأقتصادية التى اتخذتها الدوله كالمحافظه على مستوى النفقات المتكرره للموازنه العامة للدولة.(٩)

الهوامش :

١- انظر انطوان زحلان ، البعد التكنولوجي للوحدة العربية : (٢) الجانب الجيوسياسى - النقل والتكنولوجيا ، المستقبل العربى ، السنه ٣ ، العدد ٢٣ (كانون الثانى / يناير ١٩٨١) ، ص ٨٠-٩٢ . وهو مايراه المؤلف «الباحث».

٢- وراجع نفس المؤلف ، المستقبل العربى العدد ٢٥ مارس ١٩٨١ ص ص ٣٠ ومابعدها، وراجع أيضا : دكتور محمد نصر مهنا، النظرية السياسية والعالم الثالث، الطبعة الثالثة، المكتب الجامعى الحديث الإسكندرية ١٩٩٨.

٣- راجع تفصيلا - دكتور مختار محمد يلون ، التخطيط الاقتصادى ، تهامه ، الرياض بدون تاريخ اصدار.

٤- دكتور / محمد بن عبد الرحمن الطويل وآخرون ١٩٨٨ ، الادارة العامة فى المملكة العربية السعوديه ، معهد الاداره العام الرياض ١٩٩٥.

٥- اعتمدنا فى هذا التحليل القيم على : دكتور (احمد فؤاد مندور ، د/ابراهيم نصار سالمان، التغيرات الهيكلية والنمو الاقتصادى فى تركيا والسعوديه ، دراسه مقارنه ، بحث مقدم إلى ندورة العالم الاسلامى والتحدى الحضارى ، القاهره ١٩٩٦) .

٦- المرجع نفسه.

٧- المرجع نفسه.

٨- المرجع نفسه.

٩- المرجع نفسه.

فصل ختامى

الاعلام - النفط

أولا: الإعلام وتحديثه:

من الثابت إن العمل الاعلامى العربى عموما والخليجى على وجه الخصوص لا يقوم بالأرقام بقدر مايتميز فسوف نجد التجربة الخليجية تحاول اللحاق بأساليب التقدم بالنوعية والجودة .

وليس هنالك - اذا اعتمدنا الكم على حساب الكيف - التقدم ورغم العديد من الصعوبات .

وكمؤشر اعلامى عالمى يعتبر أن توفر ٢٠٠-٢٥٠ جهاز راديو وتلفزة ونسخ صحف لكل ألف ساكن هو معدل يسمح بتغطية إعلامية كافية داخل كل مجموعة بشرية. والملاحظ أنه لا يشترط التساوى بين هذه الوسائل الثلاث بل ان العبرة متكاملة ، وبذلك تصنف الدول النامية إلى مجموعتين : مجموعة محظوظة نسبيا وهى هنا دول الخليج العربى التى تجاوزت هذا المعدل بكثير ومجموعة أخرى دونها ينبغى أن تكون فى مقدمة الدول المرشحة للمساعدة والمؤازرة .

وانطلاقا من هذه المقاييس من أرقام اليونسكو فى السنوات الأخيرة فقد تم وضع قائمة تشمل ٤٦ بلدا، لكن هذه المؤشرات الإعلامية غير كافية وذلك لأن الأرقام المعتمد عليها قديمة تعود إلى سنه ١٩٧٠ ، وقد تحسنت الأوضاع الاقتصادية ، ثم الاجتماعية فى الكثير من البلدان ، وخاصة البلدان النفطية التى انعكس عليها أثرالتحسن الإعلامى وتحديثه المستمر حيث الأغلبية الساحقة من الدول النامية التى هى فى حاجة ملحة الي الاعتمادات المالية

لتدعيم اجهزتها الاعلامية ومواجهة أوضاع الاختلال التى شهدها العالم فى الهزيع الأخير من القرن العشرين.

وقبل عقدين من الزمن قدرت حاجيات الدول النامية غير الخليجية لتجهيز قطاع الاعلام بحوالى عشرين مليارا من الدولارات الأمريكية على الأقل. وقد تختلف هذه الحاجيات فى مطابع وصحف وكتب ووكالات أنباء وأجهزة بث للإذاعة والتلفزيون ومراكز توثيق ... أما الاستثمارات فى مجال الهاتف وتوابعه لرفع مستوى الدول النامية غير الخليجية إلى مستوى الولايات المتحدة فقد قدرت بخمسة مليار دولار. ومن الثابت أن العمل الاساسى لتسديد الحاجيات ومواجهة الوضع كان يتوقف على الدول النامية أساسا حيث لا تخصص لقطاع الاعلام أكثر من ٢ أو ٣ بالمائة من ميزانياتها الأمر الذى استلزم بذل المزيد من العناية لقطاع الإعلام والاتصال .

غير أن الدول العربية وخاصة دول الخليج العربى قد اعتمدت فى ميزانياتها جزء اكبر للانفاق الاعلامى وخاصة فى مجال البث التليفزيونى والحاسوب وشبكات الإنترنت. وقد خذت الدول العربية الأخرى حذو دول الخليج العربى بهذا الصدد فى سياق التعاون الاعلامى العربى بشأن إبراز الحقائق فى مجالات الاعلام والاتصال وبالمقارنة بالكثير من الدول النامية فى افريقيا وآسيا ، فلا تزال الحاجة الملحة ، تتطلب استحثاث التعاون فى مجالات الإعلام والاتصال بالقدر الكافى .

وإن الدول الصناعية التى أصبح بها هذا القطاع فى مقدمة القطاعات المنتجة ولم تحرك ساكنا لتشجيع تصويره فى البلدان النامية وهى تعلل ذلك بأسباب واهية .

لذلك فان المقترحات العملية التى تقدمت بها الهيئات الاستشارية الدولية ورجال الحكمة لم تجد آذانا صاغية لا فى الشرق ولا فى الغرب .

فضلا عن إن البرنامج الدولى لتنمية الاتصال باءت بالخيبات المرة وبالطبع فان الحل النهائى يبقى إذن بأيدى الدول النامية التى عليها أن تحمل مصيرها بين أيديها وتسعى الى خلق أسس متينة لتعاون جنوبى واقليمى حتى تفرض رأيها من خلال تنسيق محكم ومواقف موحدة .

ان أهم مايجب ان تشمله مظاهر التحديث الاعلام فى الدول العربيه وخاصة دول الخليج العربى منها هو ابراز البعد التحديثى التربوى والتى نعتبر هذه الدول فى مسيس الحاجة اليها .

ولا أحد يمكنه أن ينكر فى الظروف الراهنة أن وسائل الاتصال تشكل عامل تنمية وسببا من أسباب إسهام المواطن فى المجتمع بشكل نشط وعنصرا متزايد الأهمية من عناصر الثقافة المعاصرة حيث أخذت الإمكانيات التربوية تتجلى شيئا فشيئا . ويكفى أن نستكشف المجال الذى شملته الدراسات لكى ندرك بعض المظاهر العامة لهذه المسألة . ويتضح من خلال بعض التجارب والدراسات التى أجريت بصفة منفصلة فى بعض البلدان بيانات كثيرة يمكن استخلاص العبر المفيدة منها وبهذه الصورة نلاحظ التزايد المطرد لعدد الأفراد الذين يخصصون جزءا كبيرا من أوقات فراغهم لقراءة الصحف والمجلات، أو للاستماع إلى الإذاعة أو المسجلات الصوتية ولمشاهدة التلفزيون على وجه الخصوص. ذلك أن الاطفال يقضون فى بعض البلدان أمام شاشة التلفزة وقتا أطول من الوقت الذى يقضونه بالمدرسة .

إن مختلف المجتمعات النامية ومنها الدول العربية الخليجة والمؤسسات الدولية المعنية – قد أدركت ما لوسائل الاتصال من دور فى نشر الأفكار والمعارف وتبنت الترابط الوثيق القائم بين التربية والاتصال – هى اليوم تبدى اهتماما بتحليل هذه المسأله وتعلق أمالها على وسائل الاتصال حتى تواجه

أخطر المشاكل التى تعانيها الإنسانية أى آفة الأمية ، ومن جهة أخرى فإن الإذاعة والتلفزيون - باعتبارهما وسيلتى إعلام لا يتوقف أثرهما عند بعض الأصناف الاجتماعية والمناطق الجغرافية - يمثلان أداتين ثمينتين فى تحقيق هذه التربية المستمرة أى التربية المتواصلة على امتداد حياة الفرد منذ نعومة أظفاره إلى وفاته . وهو مايقتضى أن تكون منظمة بصورة متكاملة ، وينبغى أن يتحقق هذا التكامل فى اتجاهين مزدوجين عمودى من جهة (مدة الحياة) وأفقى من جهة أخرى يشمل مختلف القطاعات والبيئات أى مجرى حياة الافراد والمجتمعات .

وان المرء ليشعر بالاعتزاز ان العديد من الدول العربيه الخليجية ملتزمة بذلك وخاصة المملكة العربيه السعوديه من ثنايا الرسالة الإعلامية دالة تتضح من اتجاه المدرسة والجامعة فى السعودية خاصة يضع فى حسبانه الالتزام بالاسلام الحنيف ومن ثم كان النقاش مهماً حول مسأله مراجعة وظائف المدرسة وتقسيم المهام بين معاهد التربية ووسائل الاعلام . وبث القيم الدينية باعتبار ان التلفيزون ليس هو وسيلة الإعلام الوحيدة القادرة على تثقيف الشباب ذلك أن الصحافة المكتوبة قد سجلت بروزها هى الأخرى فى عدد كبير من المدارس والمعاهد. وقد أصبحت بعض المواضيع الدراسية تعالج بواسطة التحقيقات الصحفية وقصاصات الجرائد، وفى هذا السياق يحاط التلاميذ علما بواقع الصحف، ويؤخذون لزيارة المؤسسات الصحفية كما يدربون على قراءة المقالات الصحفية وتحلياها وليست الإذاعة أقل شأنا فى هذا المضمار، إذ تبين أنها تشكل أيضا وسيلة ممتازة لتعليم بعض المواد مثل اللغات الحية. وهكذا فإن وسائل الاعلام يمكن أن تمثل وسائل تعليمية ناجحة فى تثقيف النشء الصاعد وكذلك فى تعليم الكهول ومكافحة الأمية .

وقد تبين أن الإذاعة أداة لا مثيل لها فى هذا المجال فهى وحدها قادرة على أن تصل الي العمال النائيين عن المراكز الحضريه وبالتالى فهى تستطيع أن تحقق نتائج لا يستهان بها وبذلك يجد كل بيت قروى نفسه قد تحول الي مدرسة صغيرة . وعندما تحل أدوات اعلام أخرى محل الاذاعة تكون النتائج دائما أفضل ومن ذلك الدوريات الصحفية والنصوص المكتوبة المرافقة للدروس المبثوثة والاسطوانات ، والمكتبات ومراسلات المستمعين والقراء..

ومن الثابت ان التطور التكنولوجى السريع أدى فى وقت قصير الي الانتقال من بث إذاعى وتلفزى شامل الى وسائل إعلام جديدة محددة الهدف والى برامج موجهة حسب الفئات الاجتماعية والمهنية أو حسب المناطق الجغرافية. وهذا يعنى تمييز الجمهور وتقسيمه المتزايد وفقا للحاجة وللامكانيات. بما في ذلك من سلبيات ومزايا . أما البلدان السائرة فى طريق النمو فهى من جهتها لم تتوصل بعد إلى إخضاع هذه التقنية على الوجه الملائم وتجاوز مراحل تطورها الأولى وفى هذا السياق تأتى اهمية ماتقوم به وسائل الاعلام الخاضعة للدولة في المجتمعات العربيه الخليجية .

ويرى احد الباحثين «أن التعليم فى البلدان المتخلفة ينبغى أن يتعمق أكثر فى دراسة الماضى للوقوف على جذور الثقافة المحلية والاتجاه بثبات أكثر نحو المستقبل بفضل العلوم الصحيحة والطبيعية . فالهدف هوالإنتقاص من تأثير العالم الاوروبى فى برامج تعليم العلوم الانسانية والاقبال بطريقة انتقائيه على العلوم بأكثر استعداد وايجابية».

وعموما فأن التربية فى البلدان النامية يحسن تحدثها وأن تكون متجهة نحو عالم الغد ، عالم تحقيق التنمية فى نطاق سياسة رشيدة مع ملاحظة أن اللجوء الى التقنية المتطورة والنابعة من المجتمعات الصناعية هو أمر حتمى ،



غير أنه على هذه البلدان أن تكون واعية بمحاسن هذه التقنيات ومساوئها المحتملة وذلك قبل استخدامها . وعلى أية حال فإن التنمية الشاملة يجب ألا تتسم – مهما كان التعويض – على حساب القيم الثقافية الأصلية . وفي هذا الاتجاه الجديد انطلقت التربية في عدة بلدان ، إلا أن هذا العمل لن يتحقق بسهولة طالما أن البلدان العظمي التي تمارس تأثيرا كبيراً على الساحة الدولية لم تغير مفاهيمها للقيم الجوهرية فتيسر إمكانية خلق ظروف مواتية للتنمية بهذا المفهوم السليم .

تحاول معظم البلدان النامية حاليا أن تعالج هذه المشاكل الكبرى بصفة تجريبية وتوكل للمعلم أمر تحقيق التوازن الدقيق للمجتمع. وفعلا فإن الأهمية الممنوحة للتربية أدت الي اعتبار المدرسة أفضل عامل تغيير ، وأصبح لا يوثق بأي تربية يتم الحصول عليها خارجها . ولكن هل تستطيع المدرسة في بلدان العالم الثالث، وهي مدعوة إلى مواجهة أمية متفاقمة وإعادة تقييم النظام التربوي تقييما نوعيا مطردا ، ان ترفع بمفردها التحدي ؟ أم عليها أن تستعين بوسائل تكميلية أخرى ولاسيما وسائل الاتصال الجماهيرية ؟ ومن نافلة القول أن العديد من دول الخليج العربي قامت بتحديث آليتها الاعلاميه مع الحفاظ على تراثها وتقاليدها في نفس الوقت .

وعموما فالعمل المكثف الذي بذلته مختلف البلدان النامية على صعيد البنية التحتية تدارك التأخير في ميادين الصحافة المكتوبة والإذاعة والتلفزيون، وبعد المجهود المتواصل لإنتاج رسائلها وبرامجها بمفردها، وبالنظر إلى واقعها اليومي وذاتيتها المميزة ، فإنه من الضروري أن تضع تلك البلدان قواعد سياستها التربوية بالاعتماد على وسيلتي تعليم المدرسة ووسائل الاتصال. ويؤكد واضعو تقرير نادي رومة حول التربية أن تقدم المعرفة الانسانية يجب أن يمر حتما عن طريق المشاركة والمبادرة .

إن المدرسة فى شكلها التقليدى يمكن لها بالاعتماد على وسائل الإعلام أن تأتى بانجازات كبيرة حتى فى البلدان النامية . ففى بعض البلدان الافريقية (افريقيا الشمالية خاصة) تقوم وسائل الاتصال مقام المرشد الحقيقى للأطفال بتشجيعهم عن الاتصال بعالم الكهول وبخلق الميول والطموحات لديهم. وتحتل بعض البرامج التربوية بالاذاعة والتلفزيون ، وكذلك البرامج العلمية (مثلما هو الشأن فى تونس مثلا) مكان الصدارة فى البرامج اليومية . وهى تبرهن أكثر فأكثر على أن مساهمة وسائل الاتصال يمكن أن تكون مثمرة جدا فى تكوين الفكر وتنميته. فالمدرسون وكل الذين يشاركون في العمل التربوى لا يمكنهم في هذه الحالة إنكار ما لوسائل الاتصال من صفات تعليمية ذات مردود ملموس وعلى العكس من ذلك فإن عليهم أن يستفيدو منها وينموا الحس النقدى لدي المتقبلين لما تبثه وسائل الإعلام. وعليهم أيضا أن يتقمصوا دور المؤلفين وكتاب السيناريو والمنشطين فى المجال التربوى الفسيح . وهذا يفترض أن يتدرب المعلم على استخدام وسائل الاتصال لإثراء تعليمه وتيسير تنقل التليمذ من الوسط المدرسى إلى الحياة العصرية .

ومن ناحية أخرى فإن البلدان النامية – الافريقية منها بالخصوص – مدعوة أولا إلى تكثيف استعمال الإذاعة التى يتبين باطراد أنها أداة ملائمة للثقافات القائمة على النقل الشفوى والقيم غير المكتوبة . أما المناطق ذات اللغة الواحدة (كالوطن العربى) ودول الخليج العربية فإنه بإمكان أجهزة الاتصالات الإقليمية أو الوطنية أن تكتسب أهمية كبيرة ، كما يتسنى للبلاد النامية عامة أن تستعين ببرامج دولية فى إطار احترام خصوصية أنظمتها التربوية الوطنية، وخاصة البرامج المتعلقة بالرياضيات والعلوم والكيمياء والجغرافيا.

ومن جهة أخرى فإن الاجهزة الاعلامية والحواسب الالكترونية قادرة على

أداء خدمات عديدة للتعليم ، وذلك لان التحاور بين التلميذ والجهاز يمكن أن يخلق ظروف تعلم ناجح سريع ومستمر ومن نافلة القول ، ان الظروف الاقتصاديه فى دول الخليج العربى قد أختارت هذا الطريق التحديثى على أن المهم هو أن تحسن تربية الجماهير بأقل مايمكن من الوسائل واقصى من يستطاع من الفعالية والشمول . وفضلا عن ذلك فإن الأمر يتعلق بالاستعانة بالتقنية العصرية مع ملازمة الحذر والشفافية.

إن النتيجة المنطقية التى يمكن أن نستخلصها من هذا التحليل تتمثل فى ضرورة مواصلة التعمق فى التفكير وايجاد الملاءمة بين المدرسة ووسائل الاتصال، مع الاهتمام المتواصل بالتقدم وتحسين الظروف الإنسانية والانشغال المطرد بالاهتمامات الخصوصية للبلدان النامية التى هى أشد حاجة من غيرها إلى العلم والمعرفة ، حتى تتدارك التأخير وتنتصر على التخلف وفى هذا السياق تأتي اهمية البعد الثقافى الاعلامى باعتبار ان الثقافة تتمثل فى مجموع الظواهر المميزة والرموز التى يختص بها المجتمع. وهى تشمل انماط العيش وطرق الانتاج ومختلف القيم والعقائد والاراء. فالثقافة تجاوز أبعاد الفنون الجميلة والآداب المستطرفة لتكون محور حيوية هذا المجتمع وأداة دوامه وتجدده. وهى التصور للواقع الذى يعيشه الإنسان بعد أن يضفى عليه نظرته الخاصة ويتخيله حسب أهوائه ومشيئته .

ان الإعلام هو المحرك والمعبر عن مقومات النشاط الاجتماعى وهو الذي يعنو بالإنسان عن غريزته الي المطامح الحضارية . وهو المنبع المشترك الذى ينهل منه هذا الإنسان الآراء والأفكار. وهو الرابط بين الأفراد والموحى اليهم بشعور الانتساب الي مجتمع واحد. وهو الوسيلة لتحويل الأفكار الى أعمال، والأداة التى تعكس الاحاسيس والحاجيات من أبسطها الى أعلى آيات الكمال.

وفى هذا السياق فان أجهزة الاعلام هى التى يوكل إليها مساعدة الثقافات على التلاقح وتزويدها بالهواء النقى الذى يقيها شر الاختنناق وهى فى الوقت نفسه مطالبة بوقاية هذه الثقافات من العواصف الهوجاء والتيارات الهدامه ، إذ لا تخفى علينا اليوم تلك التحديات والمخاطر التى تحدق بالثقافة ، لا فى الدول الخليجية العربيه فحسب بل حتى فى الدول المصنعة . لقد أصبحت تيارات تدفق الاعلام من الشمال نحو الجنوب كالسيل العارم يطيح بكل مايعترض سبيله ويعصف به فى مهب الرياح فيحطم كل توازن طبيعى لا يتمشى مع أهوائه ولا يستجيب الي أغراضه . وكما أن كل ارتباك فى مستوى الجهاز العصبى يؤثر فى الشخصية مهما تكن قوتها، فإن كل اختلال يتصل بتدفق الاعلام له انعكاسه على نظرة الفرد الى مقومات المجتمع الثقافية التى يستمد منها أوله ويثبت بها انتسابه الي هذا المجتمع. وهذا ما يقيم الدليل على العلاقة المتينة بين السياسة من جهة والإعلام والثقافة من جهة ثانية .

ومن الثابت ان الاهتمام بنشر الثقافه الاسلامية هو اهم معيار يحافظ بين الاصاله والمعاصره فى الدول الخليجية من خلال وضع ذلك فى خططها الاعلامية .

ثانيا: النفط

يرى الدكتور محمد الرميمى ان كلا من السعوديه والكويت يتعرض الانتاج النفطى فيهما الي تذبذبات خطيرة كما حدث للانتاج الايرانى أو العراقى. فقد كان باستطاعة حقول النفط الكويتية والسعودية انتاج نفط أكثر مما أنتج بالفعل منذ سنه ١٩٥٠ ، إلا أن عدم الزام الشركات العاملة فى أراضى الدولتين بنشر أرقام الاحتياطى المقدر، جعل معرفة هذا الاحتياطى غير دقيقة، كما أن تحكم هذه الشركات فى الانتاج والتطوير جعلها الطرف الوحيد المتحكم فى الصناعة النفطية لفترة طويلة .

ويستدل على مظاهر التحديث منذ منتصف القرن العشرين ان انتاج النفط الكويتى استمر فى الارتفاع، الأمر الذى مكن الكويت من تقديم خدمات اجتماعية واقتصادية لسكانها ، فارتفع الدخل الكويتى من النفط من ١٨ مليون دولار سنه ١٩٥١ الي ٢٥١٦ مليون دولار فى سنه ١٩٦٤ ، وبدأت تتزايد مداخيل الكويت من النفط ابتداء من الستينات عندما نالت الكويت استقلالها عن بريطانيا وظهرت على سطح السياسة العربية والدولية كقوة اقتصادية جديدة. وفى العشرين سنة اللاحقة تطورت الكويت عمرانيا وبشريا ، فارتفعت نسبة التعليم والخدمات الصحية والخدمات العامة .. وكذلك نما الوعي الوطنى بأهمية صناعة النفط فى الاقتصاد الكويتى ، وقد راهنت مصادر الشركات النفطيه العالميه الكبرى على محدوية الوعى فى المنطقة كى تستمر فى استثماراتها واشارت المصادر الغربية الي أن استمرار تطوير الانتاج النفطى فى الكويت والسعودية كان له العديد من الأسباب المحلية والإقليمية والدولية.

ويرى الدكتور محمد الرحيمى إن الكويت وكذلك السعودية قد رفضتا القبول لفترة طويلة بالأمر الواقع الذى فرضته الشركات النفطيه العالمية الكبرى اذ طالبت بمبدأ مناصفة الأرباح فى الخمسينات فزيادة العائدات التى بدأت في الستينات إلا أن التغيرات الأساسية فى العلاقات بين شركات النفط والكويت جاءت فى بداية السبعينات عندما أصبحت الكويت واحدة من أهم الأقطار المصدرة للنفط فى الخليج ، ففى الستينات تنازلت شركة نفط الكويت عن بعض الأراض يالامتياز وكان ذلك فى سنه ١٩٦٢ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧١ واستخدمت الحكومة الكويتية هذه الاراضى لاحقا فى عقد امتيازات جديدة مع شركات نفطية أخرى.

وتجدر الإشارة أنه قبل ارتفاع أسعار النفط فى بداية السبعينات (بعد

مؤتمر كاركاس ومفاوضات طهران ١٩٧٠-١٩٧١) كانت الطريقة الوحيدة لرفع دخول الحكومات المنتجة فى حالة احتياجها لمصادر مالية جديدة هى أن تطلب من شركات النفط رفع الانتاج. وكان رفع الانتاج فى بلد ما يعنى بالضرورة خفضه في بلد أو بلدان أخرى، حتى لا تتأثر أسعار شركات النفط ، وكانت هذه القضية محور النشاط النفطى الكويتى فى سنتى ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ . ففى تصريح لوكيل وزارة النفط والمالية المساعد فى ٣٠ أغسطس نسه ١٩٧٠ قال فيه:

« إن الكويت تعتمد على وعد جاراتها بألا تسمح للشركات برفع انتاجها هناك على حساب الكويت ».

وعقب سنه ١٩٧١ أصبحت الأمور عكسية تماما ، وأصبحت توجهات السياسة الكويتية النفطية هى تحديد الانتاج وليس رفعة وطلبت حكومة الكويت فى مارس ١٩٧٢ من شركة نفط الكويت أن تبقى انتاج ١٩٧٢ فى حدود كمية الانتاج للسنة السابقة وهى ٢ر٩٥ مليون برميل يوميا وقد جاء طلب تحديد الانتاج نتيجة لمناقشات هامة دارت فى مجلس الأمة الكويتى طالبت بتحديد الانتاج النفطى ووضع سياسة نفطية واضحة للمحافظة على الثروة ، وقد كانت تلك المناقشات هى الرائدة فى طرح فكرة تحديد الانتاج.

فى هذه الفترة (بداية السبعينات) وفى جو التأميمات التى حدثت فى أكثر من قطر عربى وارتفاع أسعار النفط بعد مفاوضات طهران فى فبراير ١٩٧١ ، تبلورت وجهتا نظر بخصوص الساسات النفطية فى الكويت : الاولى هى المشاركة ، وتعنى مشاركة شركة حكومية وطنية للشركات العالمية فى أعمالها النفطية، وعلى الأخص اقتسام النفط الخام المنتج عينيا بين الشركات والحكومة. وقد تكون هذه المشاركة بنسبة اقل مما يتطلبه اتخاذ القرار الحاسم

فى الانتاج والأسعار وظروف التشغيل . كما يرى الدكتور محمد الرميمى.

أما وجهة النظر الأخرى فهى القائلة بالتأميم، أى امتلاك الدولة ١٠٠٪ لمنشآت الشركات النفطية العاملة فى أراضيها. وكانت وجهة النظر هذه تقول: إنه حتى بالاستيلاء الكامل فان (ش ن ع ك) سوف تكون قائمة بالعمليات النفطية كمشتر للنفط أو قائم بالعمل تحت عقد برسم معين، الا أن التأميم يعنى ملكية رأس المال والتحكم بقرارات الانتاج والاستثمار والأسعار، وهى قرارات هامة وأساسية لأى اقتصاد وطنى .

وكانت المشاركة هى مطلب حكومات الخليج وقد صرح أحمد زكى يمانى وزير النفط السعودى فى وسط ١٩٧١ في مؤتمر اقتصادى عقدته جريدة الفيننشال تايم بقوله :

(التأميم والمشاركة هما بديلان وطريقان مشتركان لاسترضاء المشاعر الوطنية فى العالم العربى ، ومن دون البديل فى المشاركة فان التأميم هو المطلب السياسى الذى لا تمكن مقاومته) .

وفى مؤتمر الاوبك الرابع والعشرين الذى عقد فى فينا (يوليو ١٩٧١) اتخذ المؤتمر قرارا بمتابعة مطالب المنتجين القديمة في المشاركة مع شركات النفط، وفى سبتمبر سنه ١٩٧١ عقد المؤتمر الخامس والعشرون للأوبك بشكل غير عادى فى بيروت، وكان من بين قرارات المؤتمر أن المفاوضات لا بد أن تبدأ بين المنتجين و (ش ن ع ك) لمتابعة قضية المشاركة . لقد كانت المطالبة بالمشاركة بديلا للتأميم والاسراع فيها تعنى انقاذ الشركات النفطية - التى استغلت المواد الأولية طويلا - من التأميم

ولقد كان أحمد زكى يمانى هو الذى فوض عن أقطار الخليج العربى للوصول الي اتفاقية مع (ش ن ع ك) بخصوص المشاركة، ووصل اليمانى فى



النهاية الى اتفاق من عذه الشركات وقع مبدئيا فى اكتوبر ١٩٧٢ بنيويورك.

وكان الاتفاق ينص على أن تبدأ المشاركة بـ ٢٥٪ ترتفع الى ٣٠٪ فى أول يناير ١٩٧٩ و٣٥٪ فى أول يناير ١٩٨٠ و ٤٠٪ فى أول يناير ١٩٨١ ، وتصل الي ٥١٪ فى أول يناير ١٩٨٢ وتستمر كذلك حتى نهاية الامتيازات الأصلية.

وفى الوقت الذى رحبت فيه بعض حكومات الخليج بالاتفاق الذى توصل اليه اليمانى فى نيويورك و واعتبر نصرا كبيرا لوجهة نظر المطالبين بالمشاركة فإن الكويت شهدت مناقشات جماهيرية واسعة انقسمت فيها الآراء بين مؤيد ومعارض لاتفاق اليمانى، وتحفظت العراق على اتفاق اليمانى فى حين أعلنت الكويت على لسان عبد العزيز حسين وزير الدولة أن الكويت (تدرس الموضوع)، وبعد تأخير وقعت الكويت فى ٨ يناير ١٩٧٣ على اتفاق اليمانى للمشاركة بـ ٢٥٪ وهو الاتفاق الذى يصل الى ٥١٪ فى ١٩٨٢ . وصرح عبد الرحمن العتيقى وزير النفط الكويتى وقتها أنه يتقبل أى نقد يمكن أن يوجه لهذه الاتفاقية سواء فى الصحافة أو فى مجلس الأمة .

لقد كانت اتفاقية المشاركة تتطلب قبل أن تصبح ملزمة للحكومة الكويتية أن يوافق عليها مجلس الأمة. ولكن بعض اعضاء المجلس نشوطا بمساعدة مواطنين آخرين من خارج مجلس الأمة في الدعوة الي رفع نسبة المشاركة والوصول الي التأميم الكامل ان أمكن . وعقدت الندوات وكتبت المقالات فى الصحف اليومية والاسبوعية ناقدة شروط الاتفاقية أو مؤيدة لها.

تدخل رئيس مجلس الوزراء (وقتها) الشيخ جابر الأحمد وعقد لقاء مع رئيس شركة جلف أعلن بعده أن الشيخ جابر الأحمد يرى أن (محتوى اتفاقية



المشاركة لابد أن يراجع ويوجه لتأكيد حقوق الكويت الشرعية وسحبت على أثر ذلك الاتفاقية من مجلس الأمة بسبب توقع رفض المجلس لها ولاعادة التفاوض حولها من جديد ، ووصلت الكويت الي اتفاق للمشاركة فى بداية ١٩٧٤ يصل الي ٦٠٪ فى شركة نفط الكويت فى الوقت الذى قدم فيه بعض أعضاء مجلس الأمة الكويتى اقتراحا بمشروع قانون لتأميم النفط فى الكويت . وبعد شهور من النقاش العام والحوار الديمقراطى وافق مجلس الأمة على اتفاقية المشاركة الجديدة فى ١٤ مايو ١٩٧٤ . وكانت نتيجة التصويت فى المجلس هى ٣٣ صوت موافق، وصوتين ضد الاتفاقية وتغيب ١٩ عضو عن التصويت . لقد لعبت الديمقراطية دوراً ايجابياً فى توعية المواطنين والضغط على الشركات من أجل الاعتراف بالمصالح الشرعية للشعب الكويتى.

وأكد الدكتور أحمد الخطيب وقتها فى المجلس بعد اقرار الاتفاقية الأخيرة. (ان الديمقراطية البناءة التى ظهرت فى نقاش الاتفاقيات المشاركة وكذلك اهتمام المواطنين بالقضية النفطية كانت نصرا للديمقراطية كما هى نصر للكويت).

هيأ الجو الذى خلقته مناقشة المشاركة ووجهات النظر المختلفة التى طرحت شعبيا حولها - هيأ للحكومة أن توسع شروط المشاركة الي بقية الشركات العاملة فى الاراضى الكويتية ، وكذلك اشعت جوا من الثقة بالنفس فى بقية أقطار الخليج التى توجهت الي التفكير بالتأميم الكامل، وفى بداية ١٩٧٥ وبعد أشهر قليلة من الموافقة على المشاركة السابقة ظهرت تصريحات حكومية كويتية تقول بالتأميم الكامل. وفور تشكيل الحكومة الجديدة فى فبراير ١٩٧٥ ، على إثر الانتخابات العامة التى أجريت فى ذلك العام أعلنت الكويت فى ٥ مارس ١٩٧٥ أنها قررت تأميم النفط فى الكويت ١٠٠٪ .



وفى مؤتمر القمة لرؤساء دول منظمة الأوبك الذى عقد فى الجزائر فى مارس ١٩٧٥ كانت الكويت من الدول القليلة من بين الأقطار المنتجة للنفط فى الخليج (عدا العراق) التى تملك مقدراتها النفطية شبه كاملة، ولم تكن هذه الخطوة مقبولة بشكل تلقائي من (ش ن ع ك)، وبدأت تحاول وضع العقبات فقد انخفض الانتاج النفطى فى الكويت، وبعد مفاوضات استمرت أشهرا وقعت حكومة الكويت مع (ش ن ع ك) العاملة فى أراضيها فى أول ديسمبر ١٩٧٥ تفاصيل اتفاق التأميم. وكان معنى ذلك الاتفاق أن تدخل الشركات العاملة فى الكويت في تعاون تقنى ادارى تجارى مع السلطات الكويتية المختصة لاستغلال النفط، تكون فيه شركة النفط الوطنية الكويتية التى انشئت فى مطلع الاستقلال هى التي تحدد حجم المنتج وعمليات تطوير الصناعة.

وفى السعودية التى منحت حقوق التنقيب عن النفط لأول مرة للشركات النفطية الأمريكية فى مايو ١٩٣٣ ، ووسع هذا الاتفاق بعد ست سنوات فى مايو ١٩٣٩ ، حيث وصل الى مساحة مليون كيلو متر مربع فى أراضيها، كانت الشروط الأساسية التى حصلت عليها السعودية أفضل من شروط جيرانها فى ذلك الوقت ، عندما أصر الملك عبد العزيز على أن تدفع الشركات إتاوة أعلى ومعادلة بالذهب للحكومة السعودية .

لقد حصلت المصالح النفطية الامريكية على امتيازات النفط ولكن ليس ذلك بدون صراع خفى مع المصالح البريطانية، كما أن حصافة الملك عبد العزيز بن سعود السياسية كانت عاملا آخر فى الحصول على مردود أفضل نسبيا من ذلك الامتياز. لقد اكتشفت شركة (أرامكو) شركة الزيت العربية الأمريكية – والتى أصبحت لفترة طويلة مركز ثقل اقتصادى وسياسى فى السعودية – النفط بكميات تجارية فى الساحل الشرقى للسعودية (الظهران٩



فى ١٩٣٨ . وفى أول مايو من السنة التى تلتها بدأ تصدير النفط الخام – من الميناء الصغير الذى توسع بهدا (الخبر) – الى مصفاة الكرير فى البحرين ، الا أن الحرب أدت الى ابطاء عمليات التطوير، خاصة بعد أن قصفت الطائرات الايطالية الظهران والبحرين فى سنة ١٩٤٠ . فى ذلك العام أصبح واضحا أن السعودية تمتلك احتياطيا ضخما من النفط . وعندما قامت السعودية بمطالبة الشركات العاملة فى اراضيها بتقديم قرض يبلغ ٦ ملايين دولار محسوبا على الربوع النفطية فى المستقبل، حولت الشركات النفطية هذا الطلب الى حكومة الولايات المتحدة ، التى نفذته من خلال بريطانيا حسب قانون الاعارة والتأجير الصادر فى ١١ مارس ١٩٤١ وهو القانون الذى كانت الولايات المتحدة تقدم المساعدات بموجبه الى الدول الحليفة التى دخلت الحرب ضد ألمانيا وايطاليا، فقامت بريطانيا بدفع المبلغ للسعودية من أصل المساعدات الامريكية التى كانت تحصل عليها .

ونظرا لازدياد أهمية النفط السعودى للمصالح الامريكية ، فلم يكن من اللائق استمرار المساعدات من خلال وسيط هو بريطانيا ، ففى فبراير ١٩٤٣ بعد مفاوضات بين شركات النفط الامريكية العاملة فى السعودية ووزارة الخارجية الامريكية ظهر تصريح فبراير على لسان روفلت ، ومضمونه أن الدفاع عن العربية السعودية أمر حيوى بالنسبة للدفاع عن الولايات المتحدة.

وفى الوقت الذي كانت فيه علاقات دول الخليج ، بما فيها ايران والعراق وثيقة مع بريطانيا، كانت العلاقات السعودية كدولة مستقلة تتوثق مع القوة الجديدة – الولايات المتحدة – فقامت الأخيرة بافتتاح قنصلية لها فى جدة فى نسه ١٩٤٢ ، وبنت قاعدة جوية أمريكية فى الظهران على ساحل الخليج وقريبا



من حقول النفط، كما وصلت فى سنه ١٩٤٣ بعثة عسكرية لتدريب الجيش السعودى .

وتوسعت هذه العلاقة السياسية الاقتصادية بعد الحرب فقامت (أرامكو) بتوسيع نشاطها النفطى ، وقد توصلت أرامكو مع الحكومة السعودية فى ديسمبر سنه ١٩٥٠ الى اتفاق مناصفة الأرباح، وهو أول تطبيق للمبدأ الفنزويلى فى أقطار الخليج، ووافقت الحكومة الامريكية على تخفيض أرامكو للضرائب التى كانت تدفعها لحكومة الولايات المتحدة فى سبيل تنفيذ اتفاقية مناصفة الأرباح التى تقدم للسعودية دعما ماليا أكبر، ومع وفاة الملك عبد العزيز فى سنه ١٩٥٣ وتسلم ابنه سعود الحكم ظهرت تطورات متعددة فى العلاقات السعودية مع (ش ن ع ك) العاملة فى أراضيها ، منها مشروع الملك سعود القاضى بانشاء شركة ناقلات عربية سعودية بالاشتراك مع أوناسيس المليونير اليونانى، على أن تحتكر هذه الشركة نقل النفط السعودى الذى تنتجه ارامكو ، وقد أثار هذا المشروع ردود فعل سلبية من (ش ن ع ك) وخاصة ارامكو التى التجأت الى المحاكم الدولية من جهة والى الضغط بطرقها المتعددة من جهة أخرى ، الى أن كسبت القضية أمام هيئة تحكيم دولية فى جنيف سنه ١٩٥٨ وأجبرت السعوديين على التخلى عن مشروعهم .

وفى الخمسينات كانت للسياسة السعودية توجهات عديدة: فهى فى حرب مع المصالح البريطانية على الواحات الواقعة على الحدود السعودية بين أبو ظبى وعمان ·واحات البرمي)، كما أنها فى اتفاق فى وقت وخلاف فى وقت أخر مع النظام السياسى الناصرى فى مصر ، ووفاق مع الولايات المتحدة وخلاف أيضا الى حد تصفية قاعدة الظهران الجوية فى منتصف الخمسينات ولم تكن ادارة الملك سعود هى الادارة التى ترغب الولايات المتحدة أن تراها مستمرة فى السعودية البلد الهام استراتيجيا لها.

كانت الادارة السعودية وقتها غير دقيقة في تصريف الأمور المالية مما دفعها الي حافة الافلاس والالتجاء الي أرامكو لتمويلها على حساب دفعات لكميات نفطية لم تستخرج من باطن الارض .

ومن جهة أخرى كانت الطموحات الى تحسين وضع الدولة تجاه أرامكو موجودة ومستمرة بوجود عبد الله الطريقى التكنوقراطى الذى تسلم قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره ادارة شئون البترول والمعادن فى السعودية.

وقد حاول تحسين موقف بلاده التفاوضى مع الشركة . ففى عام ١٩٥٧ منحت السعودية امتيازا جديدا لشركة النفط العربية (اليابانية) كان يشكل علامة نوعية بارزة فى تاريخ الامتيازات السعودية، اذ تحصل السعودية بموجب هذا الاتفاق على ٥٦٪ من الدخل الصافى لجميع نشاطات الشركه كان طموح الطريقى ومساعدوه كبيرا ، وقادت نشاطاته الى عقد أول مؤتمر نفطى عربى فى رحاب المجلس الاقتصادى للجامعة العربية فى ١٩٥٩ ، حضرته جميع الأقطار العربية المنتجة للنفط ومراقبون عرب فى الخارج . لقد أثارت التخفيضات فى الأسعار التى قامت بها (ش ن ع ك) فى نهاية الخمسينات مرتين، أثارت حفيظة الأقطار المصدرة للنفط ، ولعب عبد الله الطريقى - الذى تسلم فى ذلك العام أول وزارة للنفط فى السعودية - دورا ايجابيا فى انشاء منظمة الأقطار المصدرة للنفط فى سنة ١٩٦٠ ، بالاشتراك مع ايران وفنزويلا والعراق والكويت .

وقد أشار اعلان المنظمة فى بغداد الى :

(ان الأعضاء لم يعد بعد بوسعهم البقاء دون مبالاة أمام الموقف الذى ظلت تتخذه شركات البترول حتى الآن لتفرض تيرها فى تعديل الأسعار، وان الأعضاء (أعضاء المنظمة الجديدة) ملزمون بالمطالبة بأن تحافظ شركات النفط

على ثبات أسعارها، وعدم تعرضها لكل التقلبات غير الضرورية ، كما أن الأعضاء ملزمون بالسعى بكل الطرق المتوفرة لديهم لاعادة الأسعار الحالية الى المستويات التى كانت سائدة قبل اجراء التخفيضات).

استمرت السعودية فى محاولة رفع دخلها من النفط وضبط مصروفاتها الداخلية بعد أن تولى الحكم الملك فيصل الرجل السياسى ذو الخبرة الطويلة ، فحصلت السعودية على اتفاق مع شركة نفط فرنسية سنة ١٩٦٥ كانت شروطه مواتيه للسعوديين، ومنها أنه تحصل شركة (بترومين) شركة النفط الوطنية السعودية، والتى أنشئت فى نوفمبر سنه ١٩٦٢ ، على مشاركة متكافئة فى الأعمال الجديدة ورغم الشروط الايجابية فإن الشركة الفرنسية لم تكتشف نفطاً تجاريا .

لقد كان اليمانى أول المبشرين بفكرة المشاركة مع شركات النفط، وكانت دعواه ان المشاركة سوف تخدم شركات النفط العالمية الكبيرة العامة فى المنطقة وتنقذها من التأميم. وقد وصل اليمانى فى مفاوضاته مع (ش ن ع ك) الى اتفاق المشاركة فى نيويورك سنه ١٩٧٢ . وفى وسط أجواء عربية عامة تطالب بالتأميم، وافقت الرياض في اخر سنه ١٩٧٢ بصورة مبدئية على المشاركة التى تفاوض عليها اليمانى. الا أن سقوطها فى الكويت وارتفاع الاسعار اللاحق لحرب اكتوبر جعلا السعودية تحذو حذو الكويت فى المشاركة بـ٦٠٪ فى سنه ١٩٧٤ . وبعد مفاوضات طويلة بين الحكومة السعودية وارامكو أعلن استيلاء الحكومة على الأخيرة فى ٣ سبتمبر سنه ١٩٨٠ .

وفى الثمانينات أصبحت السعودية أكبر مصدر للنفط فى الشرق الأوسط وأصبحت قراراتها هى التى تحدد الأسعار، عن طريق تحديد كمية المنتج لديها . ولقد أعلنت أكثر من مرة عن عزمها على خلق فائض نفطى فى السوق العالمية للتقليل من أزمات الدول الرأسمالية .



لقد كانت ثنائية الأسعار التى ظهرت بين السعودية والامارات من جهة وبين بقية الأطار المصدرة للنفط من جهة أخرى فى مؤتمر الأوبك فى الدوحة (قطر) فى ديسمبر ١٩٧٦ مؤشرا هاما للدور السياسى الذى يلعبه النفط، وأصبح واضحا خاصة بعد الحرب العراقية/ الايرانية التى أثرت على الانتاج النفطى فى البلدين أن السعودية هى حجر الزاوية فى العلاقات النفطية الجديدة ، وقد أدت سياستها فى زيادة الانتاج إلى خفض الأسعار، وأثر ذلك ليس فقط فى سرعة استهلاك مواردها النفطية وانما أدى أيضا إلى خفض إنتاج بعض بلدان الأوبك إلى نسبة تصل إلي ٤٥٪.

وكانت النتيجة أن الأوبك لا تستطيع أن تتصرف ضد رغبة السعودية، وتكرر ذلك من جديد فى مؤتمر الأوبك فى جينيف فى صيف ١٩٨١ ، عندما استطاعت السعودية أن تمرر وجهة نظرها فى تجميد الأسعار وأن تبيع نفطها باقل من سعر الأوبك .

وعموما فان أهمية النفط انما تنبع من كون السعودية تعد عملاقا نفطيا حيث انها واحدة من كبريات الدول البترولية ويضم بتروليا ومن ثنايا شركات ضخمه، والاقتصاد السعودى أخذ فى الاعتماد على موارد أخرى غير بترولية وأن كان النفط لا يزال يحتفظ بأهميته فى التطور وتحديث الاقتصاد السعودي، وتأسيسا على ذلك فان وجود – قوة النفط السعودى – نجد ذاته يحقق للسعودية مصالح كبيرة فى علاقاتها الدولية والاقليمية وخاصة فى الخليج العربى وقد نجحت الجهود السعودية فى استخدام النفط لتحقيق أهداف التنمية . وتحديث كافة مؤسساتها ومرافقها بشكل أبهر الباحثين العرب والغربيين.